فقه الوحدة الإسلامية

د. السيد محمد علي الحسيني

منشورات الحسيني

فقه الوحدة الإسلامية

تأليف
العلامة الدكتور السيّد محمّد عليّ الحسينيّ

منشورات الحسيني

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾(١)، ذلك أن المشهد الحالي بصورة عامة في العالمين العربي والإسلامي، تجنح للأسف البالغ جدّاً باتجاه ما تطرحه هذه الآية الكريمة والذي يجسد واقعاً مرعباً تتقافز فيه مختلف أنواع الاحتمالات السيئة وتضع الأمور كلها على ظهر مركب منهك منخور يسير نحو يمّ متلاطم أمواجه كالجبال.

هنالك إشكالية غريبة من نوعها لدى الجنس البشري بشكل عام وليس لدى عرق أو جنس دون غيره، وهي رغبته الجامحة بكل ما هو ممنوع وغير مسموح به، ذلك أن الإنسان وفي الوقت الذي توجد فيه كل أنواع الأشياء والأمور المباحة التي يمكن الاستفادة منها بكل راحة وطمأنينة، تجده يلهث خلف أشياء وأمور محظورة تكلفه الكثير من المال والجهد والسمعة حتى، غير أنه ولكون دوافع وحوافز المنع لديه دون المستوى المطلوب، فإنه لا يستطيع الإفلات من براثنها. الأمة الإسلامية باختلاف طوائفها ومذاهبها، نجدها اليوم وبأسف بالغ تنأى بنفسها

عما دعاها الله تعالى ورسوله الكريم إليه من وحدة، وتسير نحو الطريق الخاطئ الذي حذر القرآن الكريم المسلمين مراراً وتكراراً منه، طريق يدعو إليه الشيطان، وكيف لا؟ فطريق الشقاق والاختلاف السلبي الذي يؤدّي إلى إراقة وسفك الدماء وزرع بذور الكراهية والحقد، هو فعلاً طريق الشيطان، ومن هنا، فإن الفرحة المزيفة والواهية التي تشعر بها كل طائفة ومذهب إسلامي ظنّاً منها بأنها **"الفرقة الناجية"**، إنما هو أضغاث أحلام، وسنثبت ذلك في الفصول القادمة من هذا الكتاب.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾، نعم فأصحاب كل مذهب إسلامي يرون في أصحاب المذاهب الأخرى أناساً خارجين عن الطريق القويم، ذلك أن ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾، تعني بالضرورة بأن كل طائفة أو مذهب إسلامي فرح وجذلان بما لديه من فقه وأحكام وأصول وفروع دين وما إليه، معتبراً أن ما لديه يجسّد الإسلام الصحيح وغيره الإسلام المزيف أو المشوّه، وغيره من المفاهيم المختلفة المثيرة للتعجب من حيث كون مثل هذه المفاهيم لم تطرح من قبل، بل هي مختصة بهذا العصر دون غيره. فرحة كل مذهب وطائفة بكونها صاحبة النهج الأصح، هو تماماً كمن يناقش أحداً غيره وقد حكم عليه سلباً منذ البداية، بمعنى أن هذه الفرحة المزيفة وهي حقّاً مزيفة تخدع الناس وتجعلهم أسرى أفكار ورؤى محددة وينأون بأنفسهم عن الآخرين الذين يعتبرون إتماماً وتكميلاً له. والحقيقة فإن هذا الفهم الخاطئ، أي الاعتقاد بكمال وسداد الرأي وبطلان رأي الآخرين، إنما هو أمر مناقض ومخالف

للإسلام جملة وتفصيلاً.

الإسلام المحمدي الأصيل قد بُني على أساس المحاججة والمناظرة وإفساح المجال للآخر والاستماع لرأيه والسعي لمحاججته بالأساليب المنفتحة والتنويرية التي دعا إليها القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، ومهما كان مقدار الحق والأحقية لدى أيّ مذهب إسلامي فإنه لا يعني أبداً اعتبار المذاهب الأخرى في ضلال أو على باطل، ذلك أن من نطق الشهادتين فهو مسلم، وليس من حق أيّ مسلم آخر التشكيك والطعن فيه ورفضه، فكيف إذا كان الحال مع مذهب أو مذاهب برمتها، وإن الإسلام لا يقبل إطلاقاً هكذا نهج وتعامل، وإنما يرفضه من الأساس. فالإسلام حضن كبير ورؤوم يتسع لكل من نطق أن "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، إذ كيف نسمح لأنفسنا بإقصاء ورفض وتكفير إخوان لنا في الدين والعقيدة، في الوقت الذي يقول فيه الرسول الأكرم ﷺ: **"فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم"** (متفق عليه عن سهل بن سعد). وقوله ﷺ: "خير له مما طلعت عليه الشمس"(أخرجه الطبراني عن أبي رافع". أو كما قال ﷺ: **"خير لك من الدنيا وما فيها"**، فكيف نسمح لأنفسنا وبأيّ حق تكفير من يقف إلى جنبنا وهو يؤدي الصلوات الخمس ويزكي ويحج ويؤمن بالكتاب والنبي والميعاد وما إليه؟

كثيرة ومتعددة الإشكاليات التي تعاني منها أمتنا الإسلامية، لكن من الواضح بأن أخطرها وأكثرها تأثيراً كان ولا يزال شق وحدة الأمة وتشتيت كلمتها وتفرقة شملها، ولأن عظمة الإسلام وحيويته تكمن

دائماً في وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها، فليس هناك موضوع وقضية أهم من هذه القضية، ولذلك لا يوجد هناك إشكال من أن قضية وحدة الأمة الإسلامية تقع في قمة سلم الأولويات الملحّة لها.

قال المصلح الديني البارز جمال الدين الأفغاني: (**انشغلنا بغسل القدم ومسح القدم حتى لم نجد لنا موطئ قدم**)، ونحن لا نقول بأنه لم يبق لنا موطئ قدم وإنما نقول إن الخلاف والشقاق والاختلاف السلبي بين أبناء الأمة الإسلامية لو استمر بالصورة الحالية، فإننا سنشارك جميعاً في دفع الأمة الإسلامية نحو مصير ومستقبل مجهول لا يعلم سوى الله تعالى عاقبته، ولا بدّ لنا أن نتدارك الأمر ونبذل كل ما بوسعنا من أجل الوقوف بوجه حالة هي في الحقيقة ليس لا تتفق مع الإسلام فحسب وإنما تعارضه وتخالفه بكل صراحة ووضوح.

عصرنا هذا، ليس عصر إطلاق التصريحات والتنظير والكلام المطنب الذي لا طائل من ورائه، وإنما هو عصر العمل، عصر تجسيد ما تقول بالفعل، فقد مضى ذلك الزمان الذي كان فيه الكثيرون يطلقون الكلام على عواهنه ويرسمون عوالم ومشاهد وأمور ليس لها وجود إلا في مخيلتهم، هذا العصر هو عصر التقدم العلمي والتقني الذي لما صار للزمن أهمية قصوى فيه وبات كل كلمة وجملة تطلق لا تذهب سدى وإنما هناك من يتابعها ويمحصها تمحيصاً، وهنا نودّ أن نشير إلى ما واجهناه نحن أنفسنا بهذا الصدد، ذلك أننا وخلال زياراتنا للبلدان الغربية واللقاءات المكثفة التي عقدناها مع شخصيات سياسية وثقافية ودينية

رفيعة المستوى، كنا وعندما نطرح الآيات والأحاديث وقبس من تأريخنا العربي. الإسلامي المشرق بشأن البعد الإنساني والاعتدالي في الإسلام، فإنهم "أي الشخصيات الغربية"، كانت تخاطبنا بأن كلامنا هذا جميل ورائع جدّاً لكنه مجرد كلام، وأن الذي يتمّ لمسه ورؤيته على أرض الواقع هو العكس من ذلك تماماً، بل وإن بعضهم كان صريحاً وذهب أبعد من ذلك عندما قال لنا ما أهمية كلامكم إزاء ما تفعله التنظيمات المتطرفة نظير القاعدة وداعش والميليشيات الشيعية؟

إنهم ينتظرون عملاً وليس كلاماً فقط، وهذا من حقهم تماماً، فديننا الحنيف وخصوصاً القرآن الكريم، يطالبنا بالفعل والعمل الذي يثبت خلوص النوايا والأقوال التي نطلقها، وإننا ونحن نعيش عصراً صارت الأمور تجري بسرعة أكبر بكثير من تلك التي نتصورها، لا بد أن نعيد النظر في الكثير من الأمور المرتبطة بأمورنا وتدارس وبحث الأسباب والعوامل التي أوصلت أمتنا إلى هذه الحالة، ولا ريب من أن الاختلاف والتضارب وعدم الوضوح والاتفاق فيما بيننا كان وسيبقى من أهم الأسباب وأكثرها تأثيراً.

هناك آية كريمة أخرى، كلما صادفتها أو حضرت في ذهني تجعلني في حالة من البحث والتقصّي والتساؤل عن حقيقة أين تقف المذاهب الإسلامية كلها من هذه الآية الكريمة، وهل إنها تفقه وتفهم المعنى الحقيقي والعميق لها؟ الآية هي: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾(٢)، وأتساءل إلى أيّ مدى تتطابق

توجهات ومآل المذاهب الإسلامية كلها مع توجهات ومآل هذه الآية الكريمة وأخريات مشابهة لها في المعنى العام؟ لا مناص من الاعتراف وبمرارة أن هناك فواصل ومسافات فارغة على أكثر من صعيد فيما بينهما، وهذا ما يولد في حدّ ذاته أكثر من سؤال وتساؤل وعلامات استفهام وتعجب والسؤال الكبير الذي لا بدّ من طرحه هل إن كل مذهب وطائفة إسلامية تعتقد أو ترى في نفسها وطروحاتها وأفكارها ومناهجها تمثل مفهوم الأمة الإسلامية؟ أو بمعنى أدق وأكثر وضوحاً ووضعاً للنقاط على الحروف: ما مدى إيمان وقناعة المذاهب الإسلامية ببعضها من حيث علاقتها بالإسلام وتمثيلها له؟ من المؤكد أننا نجد أنفسنا هنا أيضاً إزاء وضع لا يدعنا أو لا يسمح لنا بأن نصفه بالإيجابي، وإنما هناك ظلال حالة من الضبابية تهيمن عليها بحيث تسمح ليس فقط بالشك والتوجس وإنما بالاختلاف السلبي أيضاً.

هنا، نودّ لفت الأنظار إلى أنه قد انطلقت فكرة تأليف الكتاب: (**فقه الوحدة**) للحاجة إليه في وقت نرى تشرذم الأمة وانقسامها وتنازعها وابتعادها عن جوهر الإسلام، وارتفاع أصوات وأقلام الفرقة والفتنة والتطرف والتكفير من جهة، ومن جهة أخرى نجد هناك تفعيلاً للرؤى والأفكار السلبية على أرض الواقع وتراجعاً واضحاً للرؤى والأفكار الإيجابية التي تدعو للوحدة والتآلف والانسجام وتقبّل الآخر. ونجد من الضروري أن نوضح بأنه وبعد زيارتنا الأخيرة للحضرة النبوية المحمدية الشريفة في المدينة المنورة والسلام على الحبيب المصطفى

محمد ﷺ وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وزيارة البقيع والسلام على الآل والأصحاب مشكلة إنارة إيجابية وشعلة حقيقية في العقل والنفس، فالنبي والآل والأصحاب كانوا إلى جنب بعضهم البعض في بناء صرح الإسلام والدعوة له ومضوا معاً وبلغوا رسالة الله معاً، وجاهدوا وصبروا وهاجروا معاً، ونشروا الدعوة معاً، مشكلين وحدة إسلامية واقعية فتوفقوا وأفلحوا معاً، رضي الله عنهم وأرضاهم فكما اجتمعوا معاً في الدنيا دفنوا معاً في بقعة واحدة ما كان يجب على الأمة أن تتجاهل المعاني العميقة التي تتداعى عنها، حتى إننا نجدهم مصداقاً وتجسيداً للآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾(٣)، الدرس الكبير الذي يجب علينا جميعاً الانتباه له ومنحه الاعتبار والقيمة الأكبر في توجهاتنا لفهم الإسلام، هو أن النبي الأكرم ﷺ وآله عليهم السلام وأصحابه رضي الله عنهم، كانوا يتجاوزون الخلاف والاختلاف ويضعونه جانباً عندما يجدونه متعارضاً مع مصلحة الإسلام والأمة الإسلامية، فيد الله سبحانه وتعالى مع الجماعة وليس مع الفرد، وهذا الدرس الهام والبليغ جدّاً يبدو واضحاً بأننا كمذاهب إسلامية لم نتعامل ونتعاطَ معه كما تعامل وتعاطى معه بناة الإسلام.

الملاحظة الهامة جدّاً والتي يجب أن نلفت النظر إليها هي أن مختلف الطوائف والمذاهب الإسلامية قد أعطت وللأسف جلّ اهتمامها للأمور والقضايا التي ترسخ الاختلاف والانقسام في داخل الأمة

الإسلامية ولم تعطِ عشر أعشار ذلك الاهتمام للأمور والقضايا التي تدعو للوحدة والتآلف والتعاضد بين مكونات الأمة الإسلامية، وهذا الأمر يمكننا ملاحظته جيداً ودونما عناء، ذلك أننا نشعر بتعب وإجهاد من أجل إيجاد أفكار ومفاهيم وطروحات من التأريخ الإسلامي تدعو للوحدة والتآلف، في حين إننا نجد أمامنا تلالاً من الأفكار والطروحات المشبوهة والمثيرة للشكوك في التأريخ الإسلامي والتي تدعو للفرقة والاختلاف والتموضع الطائفي، وإن مجرد التمعن في هذا الأمر يثير الآلاف من التساؤلات ويطرح الآلاف من علامات الاستفهام، ذلك أن الإسلام الذي أكد في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾. وأكد أيضاً وكما أسلفنا في بداية حديثنا هذا: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾، يبدو واضحاً كل الوضوح في رفضه القاطع للتشرذم والتجزؤ والاختلاف بين أبناء الأمة الإسلامية، والسؤال هو: لماذا التأكيد على الاختلاف وتجاهل التوحّد والتآلف؟ ولماذا نجد أن أفكار ومفاهيم الاختلاف والانقسام هي الغالبة ولها وللأسف البالغ القدح المعلى؟ الحق إن الردّ يأتينا وبصورة واضحة من القرآن الكريم الذي أكد: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾(٤)، ذلك أن الله سبحانه وتعالى ومن خلال تأكيده على أهمية وقيمة الجماعة والوحدة والتآلف وضرورة التمسك بها بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي أكدت السياق نفسه، فإن الذي توضح هو أن هناك شذوذاً عن هذا السياق الذي هو الأصل والأساس في الإسلام والاتجاه بدله

لسياق يركز على التبعيض والانقسام، إذ إن إلقاء نظرة على صفحات من تأريخ المذاهب الإسلامية، نجد للأسف هناك الكثير من الممارسات والأخطاء الفاحشة كرفض بل وحتى تكفير الآخر وإهدار دمه، رغم أن كليهما يرددان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بقناعة وإيمان، وقطعاً فإن هناك برأينا سببين أساسيين وراء ذلك وهما:

أوّلاً: الجهل المفرط بالإسلام وتعاليمه الحنيفة.

ثانياً: التعصب لحقيقة صغيرة (المذهب أو الطائفة) وإهمال الحقيقة الأكبر(الإسلام).

نحن ومن خلال عودتنا للكتاب وللسُّنة النبوية وللتأريخ الإسلامي وتبحرنا فيه بعيداً عن التعصب والانغلاق المذهبي وما إليه بكل أشكاله، فقد وجدنا أنفسنا أمام حقيقة يتجاهلها ويتخطاها معظمنا حاليّاً بسبب عامل الانغلاق الطائفي والتلقائية الموروثة، أي نتصرف كما تصرف آباؤنا وأجدادنا من دون أن نفكر بصحة أو عدم صحة ما نقوم به. كوننا مسلمين وننطق الشهادتين، لا يعطينا ذلك صك غفران وبراءة من كل خطأ وزلل نقع فيه، بمعنى أن القرآن الكريم كما جادل المشركون في بداية الإسلام ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ (٥)، فإن هذا الجدال وهذا الخطاب مستمر ولم يتمَّ إلغاؤه، فالمسلم مطالب دائماً بالعودة إلى عقله من أجل تحكيم الأمور إذا ما التبست عليه، وإن

المسلمين من كافة المذاهب الإسلامية مدعوون لتحكيم العقل بالنسبة لحالة تفضيل الرؤية المذهبية الضيقة على الرؤية الرحبة للإسلام والتساؤل بأيّ حق يجوز للمسلم إهدار دم أخيه المسلم وإباحة ماله وعرضه؟

موضوع هذا الكتاب الذي يعتبر واحداً من أهم وأكثر المواضيع حساسية وتأثيراً على الواقع القائم للأمة الإسلامية وعلى مستقبل الإسلام والمسلمين، يحتاج إلى دقة متناهية في الطرح وضرورة الانتباه إلى أقصى حدّ من عدم الانجراف والانجرار في متاهات ومساحات فكرية وفقهية كنا ولا زلنا في غنى عنها. الأمة الإسلامية التي عاصرت عصوراً ومراحل تأريخية مختلفة وشهدت خلالها الكثير من الأحداث والتطورات، وعاصرت وواجهت مراحل عصيبة والكثير من الفتن التي سعت للتمويه على الحقائق وقلبها، هي اليوم وفي عصرنا هذا بأمسّ الحاجة إلى إعادتها إلى السكة الحقيقية والواقعية التي كانت عليها في بدايات الرسالة المحمدية السمحة، وإننا نجد بأنه من الضروري جدّاً أن ينصبّ جهد العلماء الأفاضل من مختلف المذاهب الإسلامية باتجاه يخدم جمع شمل الأمة ورص صفوفها وضمان وحدة كلمتها، وهذا الجهد المخلص الذي سيباركه الله سبحانه وتعالى فيما لو خلصت النيات، لا بدّ من أن يتجاوز حدود الطائفية والمذهبية ويتعداها، إذ لو خضعت لتلك الحدود فإنه وكما يقول المثل العربي المعروف: **"وكأنك يا أبو زيد ما غزيت"**، ولا غرو من أن العلماء الأفاضل من كافة المذاهب الإسلامية والأمر نفسه بالنسبة للمفكرين، لا بدّ من أن يعلموا بأن الدعوة للمذهبية لا تخدم الإسلام

بشيء فحسب، وإنما أيضاً كانت على الضد منه، ولذلك فإننا مطالبون جميعاً بالعمل بروح ونفس أبعد ما تكون عن المذهبية والطائفية كي يكون العمل خالصاً لله تعالى وللأمة الإسلامية.

واحدة من أهم وأخطر المشاكل التي نعاني منها وتعتبر أكبر عائق في طريق تقدمنا، هي أننا أمة تعيش أو بالأحرى تعتاش على الماضي بل وحتى يمكن القول من إنها أسيرة الماضي، حيث إن المميز والملفت للنظر فينا، أننا ننتظر دائماً ونفتقد لروح المبادرة، خصوصاً عندما نقف أمام ركام هائل من المسائل السلبية التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا وعن القرون الغابرة، وعوضاً عن محاولة السعي لمعالجتها والتصدي لها بروح ونفس عصرنا الذي نعيش فيه ونتعامل معه تبعاً لذلك، فإننا نبقى نراوح في الأطر السابقة وفي بوتقة ما قد قاله فلان ورددده فليتان!

الكثير من النصوص التي بين يدينا، تفتقد للبعد المقدس، أي إنها ليست في مستوى ومصاف النص القرآني أو الحديث النبوي الشريف، لكن الذي يثير الذهول هو أننا نتعامل ونتعاطى مع الكثير من تلك النصوص"غير المقدسة"، والتي هي مجرد آراء واجتهادات مشابهة لأية آراء أو جتهادات يتم الإدلاء بها في عصرنا هذا أو أيّ عصر آخر، وهنا تبرز مشكلة أخرى وهي حاجتنا إلى تنقيح وتشذيب جانب كبير من التراث الفكري الوارد إلينا من العصور السابقة وضرورة التدقيق فيها وعدم حملها على عواهنها، خصوصاً تلك التي تداعت ويتداعى عنها الكثير من اللغط والجدل والاختلاف والانقسام.

الحاجة تكبر يوماً بعد يوم لعملية مراجعة وإعادة نظر دقيقة في مجمل الأمور التي فتحت وتفتح شروخاً في جدران أمننا القومي والاجتماعي وتضعنا عرضة لمخاطر وتهديدات من ماضٍ ذهب وانتهى، ولكننا نتعامل معه بصورة تجعله الحاضر الآمر الناهي فينا، وبقدر الحاجة الماسة لعملية تدقيق وإعادة نظر في التراث الذي سردنا ذكره، فإننا بحاجة ماسّة أيضاً لتسليط الأضواء على الصفحات المشرقة في تراثنا ولا سيما المتعلقة والمرتبطة بعصر الرسالة والخلفاء الراشدين، إذ من الممكن أن نتمكن من خلال تلك العمليتين إيجاد أرضية ومناخ فكري جديد يمهد لطروحات خلاقة تنهي التأثيرات السلبية للجانب السلبي من النصوص التراثية التي ألمعنا لها.

إننا ندعو من خلال كتابنا هذا (فقه الوحدة الإسلامية)، إلى العودة إلى نبع الإسلام الرقراق واغتراف الحقيقة الزلال منه، وإننا نجد من صلب واجبنا الشرعي دعوة كافة أبناء أمتنا الإسلامية للعمل من أجل الخروج من دائرة الانغلاق والمذهبية الصماء والانطلاق إلى عالم الإسلام الرحب، وهذا لا يعني تكفيرنا بالمذهب وإلغائه بل وعلى العكس من ذلك إنما نعيد هذا المذهب وأتباعه إلى دائرة الإسلام ونجعله في خدمة الإسلام، وليس العكس، كما يحدث للأسف لحد الآن. والنقطة الأهم التي نريد وبكل ما في وسعنا من جهد من التركيز عليها وجعلها في دائرة الضوء، هي التأكيد على المتفق عليه بين المذاهب وجعله الأساس وقطب الرحى باتجاه فقه وحدوي مع الإقرار بالاجتهاد ومندوحته، ولكن الأخذ بفقه

الوحدة أولى والتركيز على أهمية هذه القاعدة باعتبارها المنطلق الذي يمكن من خلاله الدفع والتحفيز بصورة جادة نحو المزيد من التلاحم والتعاضد والتكاتف بين المسلمين من مختلف المذاهب الإسلامية، داعين إلى الله العلي القدير أن يتقبل جهدنا المتواضع هذا ويجعله زاداً لآخرتنا إن شاء الله.

محمد عليّ الحسيني

لبنان ١٤٣٩ هـ ٢٠١٧

www.mohamadelhusseini.net

الفصل الأول

الإسلام والوحدة

الإسلام والوحدة

ما الجديد الذي جاء به الإسلام قبالة المجتمع الجاهلي وقيمه المختلفة؟ ما الذي حمله هذا الدين الجديد في ثناياه من سرّ وقوة تأثير بحيث قلبت هذا المجتمع رأساً على عقب وغيّرت كافة أفكاره ومفاهيمه وممارساته؟

المجتمع الجاهلي، كان مجتمعاً يعبد الأوثان وتمزّقه الصراعات القبلية والمناكفات بحيث تجعل الآن والأوان مفتقداً، وتجعل حياة الإنسان عرضة للقتل في أية لحظة. الفرد في المجتمع الجاهلي الذي كان يعبد مجموعة من الأصنام على اعتبار أنها آلهة، كان يعيش في ظل قيم قبلية صارمة لا تجد فيها سوى النزر اليسير من العدالة والإنصاف، وكان يخضع بالضرورة لهذه القيم مثلما يخضع أيضاً لعبادة الأوثان، هذا الإنسان الفرد الجاهلي كمجتمعه كان قلقاً وغير مستقر لأنه يعلم بأن الردى يتربص به وقد يأتيه في أية لحظة، ولذلك فإن الفرد والمجتمع الجاهلي كليهما يعيش حياة يهيمن عليها القلق وعدم الاستقرار النفسي والطمأنينة بصورة ملفتة للنظر. قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، هكذا طلب نبيّ الإسلام ﷺ من قريش في بداية دعوته للإسلام، ولئن كان هذا الطلب في ظاهره يبدو بسيطاً وواضحاً للغاية إلا إن إطلاقه في ذلك العصر وأمام مجتمع يؤمن

بتعدد الآلهة، كان طلباً غير عاديّ بالمرة، ولذلك فإنه جُوبه برفض قويّ منذ البداية، لكن مع مرور الأيام باتت الصورة تتوضح أكثر عن الإسلام ولذلك بدأت قريش بالتوافد عليه لأنها علمت بأن الإسلام يأخذها من حياة معقدة وصعبة ومنغلقة على نفسها تحف بها المخاطر إلى حياة بسيطة شفافة منفتحة على العالم وتغمرها الطمأنينة والسلام والاستقرار، وهذا هو جوهر وماهية التوحيد الذي هو قلب الإسلام وروحه، حيث إن الإيمان بالله تعالى والخضوع له دون غيره، هو عماد الدين الإسلامي، وإن الخضوع والانقياد الكامل لله تعالى والخروج من دوائر الخضوع المختلفة كما كانت الحياة الجاهلية تمليها، جعلت الإنسان والمجتمع يشعران بأنهما تخلّصا من أعباء وتركة ثقيلة كانا ينوءان من وطأتها وصارا في عالم واضح المعالم لا لبس ولا غموض فيه.

إذن فالإسلام بدأ من الدعوة للتوحيد والذي هو كما أسلفنا قلب وروح الإسلام والقطب الذي يدور رحى الإسلام عليه، وبقدر ما هو يدعو الإنسان للإيمان بقوة واحدة تهيمن عليه فإن هذا الإيمان يمنح قوة استثنائية للإنسان بأن يجعله متوحد العقل والنفس والوجدان، بمعنى يجعل منه فرداً متماسكا قويّاً مقتدراً لا يخاف ولا يخضع سوى لقوة واحدة فقط، على عكس العصر الجاهلي الذي كان فيه هذا الإنسان نفسه ممزقاً ومشتتاً وضعيفاً، ووحدة العقل والروح والفكر والجسد التي جمعها الإسلام في شخصية الفرد المسلم الموحد كانت الأساس لصناعة المجتمع والأمة الإسلامية وجعلها بديلة عن القبيلة وغيرها.

الحقيقة التي يجب أن ننتبه إليها ونأخذها بنظر الاعتبار والأهمية، هي أن موضوع وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم على الحق يعدّ من أهم الموضوعات وأخطرها، وهو ليس موضوعاً جديداً على الأسماع والعقول، غير أن أساليب المتحدثين فيه ومناهجهم مختلفة ومتنوعة إلى حدّ كبير، فمن الدعاة من يقدم طرحاً في موضوع الوحدة تغلب عليه العواطف الجياشة والأمنيات الجميلة، فيدعو إلى وحدة غير منضبطة بالشرع فلا أصول يجتمع عليها الناس ولا مبادئ، ولا تمايز فيها بين طوائف الأمة، لا فرق بين متبع للكتاب والسُّنة ومستمسك بهدي السلف الصالح، وبين مبتدع في الدين ومحدث فيه ما ليس منه.

ومن دعاة الوحدة أيضاً من يحفّ مفهوم الوحدة بضوابط وقيود تجعله من المستحيلات التي لا يمكن تحقيقها في الواقع العملي إلا في نطاق ضيق جدّاً.

ومن دون هؤلاء وأولئك دعاة إلى الوحدة أهل فقه وبصيرة وتوازن واعتدال، يدعون إلى وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم على الحق، فيوازنون بين فريضة الاتباع وضرورة الاجتماع، نسأل الله أن يوفقنا لنكون من أهل الفقه والبصيرة في الدين ومن أهل التوازن والاعتدال حتى لا نقع في إفراط أو تفريط في معالجة هذا الموضوع المهم. ومن الضروري جدّاً قبل أن ندخل في صلب الموضوع والاستطراد المفيد فيه، أن نوضح مصطلح وحدة الأمة الإسلامية وما الذي يعنيه على وجه التحديد.

مصطلح وحدة الأمة الإسلامية

وحدة الأمة الإسلامية تطلق على المنتمين والمنضوين إلى الدين الإسلامي ويؤمنون بأصوله وقواعده الكلية ويهدفون لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه، وهم بذلك يكونون مصداق للآية الكريمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾(٦)، وفي هذه الآية وصف الله عز وجل المسلمين بأنهم خير أمة، وموجبات تلك الخيرية هي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله تعالى، وأتى بجميعها على صيغة الجمع ليدل على وجوب اجتماعهم واتفاقهم.

تعريف الأمة كما جاء في قاموس المعجم الوسيط؛ جماعة من البشر تتوفر فيها عناصر القومية، التأريخ. اللغة. العادات. الثقافة. الدين. الجغرافية، والأمة ترمز إلى النواحي الثقافية والحضارية للمجموعة الإنسانية.

التعريف أعلاه والذي هو تعريف عام للأمة كمصطلح، لا ينطبق على الأمة الإسلامية، ذلك أن الأمة الإسلامية مصطلح يطلق على الذين يدينون بالإسلام في سائر أرجاء العالم ويشتركون بالضمير الإسلامي الواحد والمصالح والهموم والغايات.

لماذا الوحدة الإسلامية؟

يرى الدين الإسلامي في الوحدة مطلباً ضرورياً ملحّاً لا يمكن أبداً الاستغناء عنه أو تجاهله تحت أيّ مبرر أو دافع، بل إنه أكّد عليه بصورة قطعية لا تحتمل أيّ تأويل أو تفسير، كما جاء في آيات عديدة في القرآن الكريم منها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾(٧)، وكذلك ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨ ﴾(٨)، أو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾(٩)، وهذا السياق القرآني الواضح يدعو إلى وحدة مبنية على أساس المبادئ والقيم التي بُني عليها الإسلام، أي وحدة فكرية. عقائدية تبني العقل على أساس ركائز ومقومات راسخة وتهذب النفس وتنقيه من الشوائب والأدران بما يجعلها في مأمن من المؤثرات السلبية عليها.

الدعوة إلى الوحدة الإسلامية هي في الحقيقة دعوة للوحدة الإنسانية، خصوصاً وأن الآيات السارة الذكر تؤكد على وحدة الجنس البشري وتسعى لطرحه كنموذج أمثل للإنسانية، خصوصاً وأن هذه الوحدة لا تبنى على ما قد جاء به رسولنا الأكرم ﷺ فقط، وإنما كافة الرسل عليهم السلام، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾(١٠)، وهذه الشمولية التي طرحها الإسلام في بنائه لمقومات الوحدة التي يدعو إليها إنما تؤكد على الطابع والمضمون والتوجه العالمي للإسلام وسعيه لأن يكون متقبلاً وحاوياً وضامناً لكل الأديان السماوية الأخرى تحت جناحيه، وهذا ما ينزع عن الإسلام كل معاني العنصرية والتعصب والانغلاق والانعزال عن الإنسانية، فالإسلام دين يدعو للانفتاح وتقبل الآخر ومحاججته بالأدلة والقرائن العقلية وليس رفضه وإلغاءه.

الوحدة التي يدعو إليها الإسلام ليست وحدة مصلحية ومرحلية مبنية على أساس أمور محددة من أجل تحقيق ثمة أهداف معينة، بل هي وحدة بالغة الضرورة والأهمية تعتمد على الإيمان بالله وعبادته والخضوع والانقياد له وحده عز وجل، وذلك ما نجده متجسداً ومتمثلاً بكل جلاء في الآيتين الكريمتين: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾(١١)، و﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾(١٢)، فالوحدة المطلوبة لا بدّ أن تجمع بين مكونات الأمة على أساس عبادة الله وتقاته. والوحدة في الإسلام من الضرورات الملحة التي تستمد قوتها وديمومتها من الإيمان المترسخ في القلوب، فالله سبحانه وتعالى يؤكد على ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾(١٣)، أو كما يقول الرسول الأكرم ﷺ: **"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"**(١٤)، أو كما جاء في الحديث الشريف: **"مثل المؤمنين في توادّهم**

وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(١٥)، وكذلك الحديث الشريف: **"المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم"**(١٦)، وهنا نرى أن الإسلام الذي يكنّ أهمية خاصة لرابطة الدم والقرابة ويحثّ على صلة الرحم بقوة، فإنه يؤسس هنا لصلة جديدة مبنية على مقومات الإيمان بالله وتقاته، فصلة الأخوة المطروحة هنا في القرآن والأحاديث الآنفة الذكر، إنما ترتكز على أساس الإيمان، فالإسلام إذ يقرر الوحدة الإسلامية كضرورة من ضرورات الإيمان يربطها بجذوره الأساسية، ويوثقها بأصولها، في العقيدة، والشريعة والأخلاق. ومجال العقيدة ترتبط هذه الوحدة بعقيدة المسلمين الأساسية، وهي عقيدة التوحيد، وفي رحاب هذه العقيدة التي تنفى عنها أية صورة من صور الشرك الخفي منها أو الظاهر، يتربى المسلمون على الوحدة تربية تتغلغل في نظرتهم إلى وجودهم في هذه الحياة. أما في مجال الشريعة فإنه ترتبط هذه الوحدة بخضوع المسلمين لنظام تشريعي واحد، واحد في كيانه، واحد في مصدره، واحد في أهدافه. وفي هذه الأخلاق تتوثق هذه الوحدة بقيام المجتمع الإسلامي على أساس من القيم الإسلامية التي وضحها الكتاب وبينتها السُّنة، وصارت أصلاً لأخلاق المسلم: **"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم"**(١٧). وإذ يقرر الإسلام الوحدة أصلاً إنسانيّاً، وضرورة من ضرورات الإيمان، وعنصراً متغلغلاً في أصول الدين، يبين في الوقت نفسه الطريق إلى تحقيق هذه الوحدة والمنهج العلمي المؤدي إليها، هو حبل الله، وحبل الله هو القرآن، كما

ورد في الحديث الصحيح، يقول صاحب تفسير المنار في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ إن المختار هو ما ورد في الحديث المرفوع من تفسير حبل الله بكتابه، ومن اعتصم به كان آخذاً بالإسلام، أما حبل الله فهو خيط الضوء وسط المتاهة الظلماء يقصد إليه من يقصد النجاة، ولا يضل عنه ذو بصر أو بصيرة، يتحرك إليه الأفراد، وتهاجر إليه الجماعات الممزقة، فإذا هم هناك جميع يربطهم حبل متين، وجاء في حديث المصطفى ﷺ: **"إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه"**.(١٨)، قال النبي ﷺ لأصحابه: **"أليس تشهدون ألا إله إلا الله وأنا رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلّوا ولن تهلكوا بعده أبداً"**.(١٩) هذا النهج والأسلوب الذي يدعو إليه النبي الأكرم ﷺ، يؤكد على أن الاعتصام بحبل الله والتمسك به منهج وحدة، بالإضافة إلى الجوانب الحياتية الأخرى التي يشتمل عليها وإذا كان الاعتصام بحبل الله منهج الوحدة المطلوبة بين المسلمين، فإنه بعد ذلك أو قبل ذلك منهج الاتصال بالله سبحانه وتعالى. ثم إنه أيضاً منهج التوقّي من الضياع والهلاك كما جاء في الحديث الشريف أعلاه.

والذي يجب ملاحظته أن الأمة الإسلامية من بين سائر أمم الأرض تختص بطبيعتها الحية الأصيلة التي نشأت بها، وسارت على هداها، وصنعت بها أمجادها، وبنت حضارتها مرتكزة على العقيدة الحقة النيرة

التي تقوم على التوحيد الخالص الذي حررها من الخضوع لغير الله، وطهرها من أدران الجاهلية، ونقلها من حضيض التمزق والتفرق والتخلف والفساد إلى ذرى الوحدة والتقدم والاستقامة، وهي أمة ذات نظام فريد كامل شرعه الله للناس، رصيد إيمان لا ينفد، ومصدر قوة لا تعرف الهوان، ومنهاج حق وعدل لا يرضى بظلم، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾(٢٠).

إن في أمتنا هذه تلك الحصانة الطبيعية الفريدة التي تجعلها قادرة بحول الله على التغلب دائماً على أشد الأزمات التي تعصف بها، صامدة في وجه أقسى التحديات التي تواجهها، ولم تعرف في تاريخها المجيد أبداً أن أيّ محنة يمكن أن تزعزع ثقتها بوجودها، أو تنشر ضباب اليأس في نفوس أبنائها، أو تزرع في كيانها بذور الشك في قدرتها على الحياة، واستئناف السير من جديد دون سقوط أو تعثر، إنها تأبى في أشد الظروف قسوة أن ترضى بالدنية والذل والاستسلام، وقد مرت بها في تاريخها الطويل أيام عصيبة ونكبات شتى لو أصابت غيرها لقضت عليها وأبادتها وجعلتها أثراً بعد عين، ولكنها كانت بالنسبة لها صقلاً لعزيمتها وشحذاً لقوتها، وإيقاظاً لروح الحياة فيها، وبرهنت حقّاً أنها تستعصي على الذوبان.

إن هذه الحقيقة ينبغي أن يتحرك في ضوئها كل فرد في هذا العالم الإسلامي، مهما عصفت من حوله الفتن والأزمات، ومهما اشتدت عليه المحن والنكبات، فأعداء هذه الأمة أعداء عقيدتها ووحدتها ووجودها

الذين يعملون على أن يعوقوا مسيرتها، ويشلّوا حركتها، إنما يحاولون في الحقيقة أن يخمدوا ضياء هذه الروح في كيانها، وأن يزهقوا دفقها في وجدانها.

إن هذه الروح الحية الوثابة في الأمة الإسلامية يجب أن نربّيها بالوعي الدائم واليقظة التي لا يعتريها خمود أو ركود، هي لنا اليوم كما كانت بالأمس فجر الأمل المشرق الزاهر، ودفق الحياة الحرة الكريمة، وهي الراية التي نمضي في ظلالها نحو النصر والوحدة والعزة، والقوة والتمكين بحول الله وقوته.

إن كل أمة من الأمم مرّت أو تمرّ بمرحلة تحوّل كبير في حياتها، وبواعث عميقة في خصائص وجودها، وفي نفوس أبنائها، وفي مصادر ثقافتها، وفي طبيعة مجتمعها، بحيث يمكن الجزم بأن أيّ أمة لا يمكن أن ينالها التغيير أو يشملها التحول من غير أن تخضع للسنن الكونية التي تسير وفق نظام رباني محكم دقيق، فتكون هذه السنن المقدمات الطبيعية التي تتوالى في تسلسل منظم حتى تؤول إلى النتائج المنشودة.

تلك حقيقة لا يمكن المكابرة بها ولا تخفى آثارها، ولا يعتبر الحكم على أمة أو تقويم أوضاعها، حكماً صحيحاً أو تقويماً مقبولاً إذا لم يرتكز على هذه الحقيقة أو يضعها في الاعتبار المناسب.

وإن الأمة الإسلامية التي أراد الله لها أن تكون قوّامة على الناس، وحمّلها مسؤولية الهداية والقيادة، وجعلها خير أمة أخرجت للناس بما

تحمل من أمانة العقيدة والدعوة إلى الحق وتحرير البشرية من الطغيان، وإنقاذهم من الجهل والفساد والضلال.

إن هذه الأمة قد مرّت بمرحلة قوة لا حد لها بحيث خفقت راية التوحيد في أصقاع متنائية في أنحاء المعمورة، وأحدثت في الدنيا في حقبة قصيرة من الزمن أوضاعاً جديدة، كريمة طيبة بما نشرت من مبادئ الإيمان والحق والسماحة وقيم الخير والحرية والعدالة والمساواة.

وإذا تحدثنا عن الوحدة الإسلامية وحاجتها فلا بدّ لنا من بيان وتوضيح بعض ما يعرقل مسيرتها وتقدمها، فذلك مهمّ وضروري من أجل أن نعمل على تذليلها.

هناك أسباب كثيرة تعيق حركة الوحدة، فيها الاختلاف السياسي، والتعصب للمذاهب والآراء، الذي جعل كثيراً من الغلاة يستبيحون لأنفسهم تأكيد آرائهم بتفسير بعض الآيات القرآنية تفسيراً ضيقاً يطابق أهواءهم، وبوضع أحاديث كاذبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أدى إلى افتراق المسلمين فرقاً شتّى بسبب هذا التعصب، وكان أشده خطراً ما اتصل بالعقائد، فقد وصل في بعض الأقطار الإسلامية إلى تكفير بعضهم بعضاً.

واختلاف الآراء في الأحكام الفقهية الاجتهادية لا ينبغي أن يكون داعياً إلى التعصب لرأي منها والحكم عليه بأنه هو وحده هو الصواب، وبأن غيره هو الخطأ، فقد يكون الأمر على العكس من ذلك، وفهمُ الأئمة

المجتهدين للدين -فهماً صحيحاً نصّاً وروحاً-، هو الذي أملى عليهم هذا القول المأثور عن أكثر من واحد منهم: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، ولم يرضَ الإمام مالك – رضي الله عنه – أن يحمل الخليفة العباسي الناس على كتابه **"الموطأ"**، لأن غيره ممن لهم رأيهم واجتهادهم وعلمهم كانوا موجودين في بلاد كثيرة، وقد يكون الصواب معهم. ويتصل بهذا، الفتوى بغير علم، ونسبة حكم لله لم يقل به، ونهى سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾(٢١).

ومنها الانحراف في السلوك بالمغالاة والتطرف، وترك القصد والاعتدال، وقد أمرنا أن نتمسك بهما، والنصوص في ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾، وقوله:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾، وقوله: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾،(٢٢). وقول النبي ﷺ لمن عزموا على الصيام أبداً، وعلى قيام الليل أبداً، وعلى عدم التزوج أبداً: **"أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"**، وقوله: **"إن الدين يسر ولن يشاد أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا..."**(٢٣).

وإذا كان واقع الأمة الإسلامية كما ذكرنا آنفاً، فكيف السبيل إلى

الوحدة والتضامن الإسلامي بين الشعوب الإسلامية في حياتنا المعاصرة بدءاً من القاعدة إلى القمة. وذلك لأن التربية الإسلامية هي الطريقة المثلى لإعداد المسلمين، وتوجيههم، ورعاية جوانب نموهم العقلية الإدراكية، والوجدانية الانفعالية، والسلوكية العملية في ضوء تعاليم القرآن الكريم والسُّنة النبوية اللذين تضمنا مبادئ وأسس التضامن الإسلامي.

أجل، لقد استطاعت التربية الإسلامية أن تسهم في تحقيق التضامن الإسلامي والوحدة بين المسلمين، وهي لا تزال تستطيع أن تحقق ذلك في حياتنا المعاصرة، لأن المسلمين جميعاً إخوة في العقيدة والإيمان وتحقيق الأهداف المشتركة، والتراحم والتعاون والتواصل ما بينهم ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾.(٢٤)

ومن هنا يثار سؤال، وهو أن الأمة الإسلامية عندما كانت متحدة الأفكار والأوضاع والأهداف وصلت إلى ذرى المجد من الحضارة، فهل أدركت هذه الأمة ما بلغته من ذرى المجد، وهل نالت ما حققته من روائع النصر، وما وصلت إليه من عجائب الفتح؟ وهل استطاعت أن تبني ما شادته من حصون العزة وأن تقيم ما أقامته من دعائم الحضارة، وأن تكون مع النصر في كل ميدان، دون أن تسلك لكل ذلك دربه، وتأخذ له أهبته، وتعدّ له عدته، وتعطيه من عصارة فكرها، ودم أبنائها، واستبسال الصفوة المختارة من رجالها؟

لا شك أن ذلك كان فضلاً من الله كبيراً، ونعمة سابغة أنعم الله بها

على عباده الأخيار، ولكن ذلك كله كان مرتكزاً أيضاً على سنن الله التي لا تتخلف، وذلك حتى تكون حياة المسلمين في سيرهم نحو أهدافهم وفق خطى مرسومة ومناهج منتظمة وقواعد متناسقة. فلا بدّ لهذه الأمة أن تستلهم روح الحياة وأمل النهوض من جوهر عقيدتها وخصائص رسالتها، ومن سفر بطولتها في ألق ازدهارها وفجر انتصاراتها، ففي ذلك كله معالم طريقها ووحدة صفوفها وأهدافها، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أوّلها ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾(٢٥). و﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾.(٢٦)

دعائم الوحدة الإسلامية

لا يمكن للوحدة الإسلامية أن تتم على أسس ومقومات انفعالية وأحاسيس جياشة كما قد يتبادر للبعض، وإنما تقوم على ثلاث دعائم قوية وراسخة هي:

١- وحدة العقيدة: المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، يؤمنون بوحدانية الله تعالى، ويؤمنون بالملائكة وبالكتب وبالرسل وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾(٢٧)، من هنا، فإن عقيدة المسلمين في دينهم وفي الله وفي جميع أركان الإيمان واحدة ولا يوجد اختلاف بينهم في أصول الدين ومبادئه الأساسية كما أسلفنا. وفي حديث جبريل، عرف النبي ﷺ الإيمان بأنه: **"أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونؤمن بالقدر خيره وشره"**(٢٨).

عقيدة المسلمين على مرّ الأزمنة والعصور كانت كما ذكرنا، ومن أنكر منها شيئاً فقد خرج من دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾(٢٩).

٢- وحدة الشعائر والشرائع: جميع ما يطبقه المسلمون في عباداتهم من شعائر لا تختلف عن بعضها فكلها واحدة، والأمر نفسه يمكن سحبه على الشرائع التي يحتكمون إليها في مختلف جوانب الحياة. قال عز وجل:

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ (٣٠).

قال السعدي رحمه الله: **"ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق"**(٣١)، فقد شرع الله للمسلمين من الدين شعائر يعظمون بها الله تعالى ويتقربون بها إليه سبحانه، وأعظم تلك الشرائع هي أركان الإسلام وهي بعد الشهادتين: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: **"بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"**(٣٢)، وهذه الأركان لا تستثني أحداً من المسلمين، وقد روعي في تشريعها تحقيق قوة الأمة الإسلامية وتماسكها وتعاون أفرادها فيما بينهم، ولذلك فإن أتمّ صور تطبيقاتها ما أدى إلى تحقيق هذه المقاصد العظيمة والغايات الجليلة.

ولعل من أبرز محاسن هذه الشرائع الإسلامية مراعاة الجماعية، فجلّ الأقضية في الإسلام ليس إلى الأفراد، وإنما خاطب بها الشارع الحكيم الجماعة المسلمة ممثلة في ولاة الأمر ومن ينوبهم، كما في الأمر بالقتال في سبيل الله في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤ ﴾(٣٣)، وكذلك فيما يتعلق بجمع الزكاة وتقسيمها على المستحقين كما جاء في قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ

عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ (٣٤)، وكذلك الأمر بإقامة الحدود كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ (٣٥).

وكذلك إذا تأملنا في مقاصد تلك الشرائع نجد جملة منها لتحقيق مصلحة الأمة الإسلامية من حيث قوتها وتماسكها وتعاون أفرادها، وبالنظر في الأمثلة السابقة نرى في الأمر بالقتال لحماية الضعفاء ورفع الظلم عنهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ (٣٦)، وكذلك وفي سبيل حفظ المسلمين من إراقة دماء بعضهم البعض كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ (٣٧).

وتبدو مقاصد قوة الأمة الإسلامية وتماسكها وتعاون أفرادها واضحة وجلية في شعيرة الصلاة حين تؤدى جماعة في المساجد، وبالأخص في الجمع والجماعات والأعياد، وهي واضحة وجلية أيضاً في مناسك الحج حين يلهج الحجاج بالتوحيد، وحين يدفعون إلى منى، ثم إلى عرفات، وهكذا في كل تنقلاتهم بين المشاعر المقدسة،لا تمييز بين أبيض وأسود، ولا بين عربي وأعجمي.

وعند تطبيق هذه الشرائع فإن الإسلام لا يفرق بين كبير وصغير، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين حاكم ومحكوم، فكلهم سواء أمام شرائع الإسلام، (عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول ﷺ: **"أتشفع في حدّ من حدود الله؟)"**، ثم قام فاختطب، ثم قال: **"إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"**(٣٨).

٣. وحدة المصادر والمراجع: للدين الإسلامي مصادر ومراجع محددة يتلقى منها المسلمون جميعاً العقائد والعبادات والأخلاق والشرائع، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾(٣٩).

فالحكم في جميع أمور الدين إلى الله ورسوله، ولا يكون الرد عند الاختلاف إلا إليهما، أو إلى ما دلّا عليه من مناهج الاستدلال وطرق الاستنباط.

فوائد الوحدة والتآلف والاجتماع بين المسلمين:

أكد وشدد القرآن الكريم والسُّنة النبوية جنباً إلى جنب على أهمية الوحدة والتآلف والتحابب والتآخي والاجتماع بين المسلمين كما أكدا وشددا أيضاً على رفض التفرقة والتباغض والكراهية والشقاق والتباعد بينهم، وقطعاً فإن الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي أكدت على الوحدة والتآلف وما إليه بين المسلمين كثيرة بحيث صار هذا الموضوع ليس من المسلمات عند المسلمين فقط، بل ومن الأمور البديهية التي لا تحتاج إلى أيّ نقاش أو مجادلة.

سبب كل ذلك التأكيد يعود إلى أن فوائد تحقيق الوحدة والتآلف بين المسلمين كثيرة وتعمل وتساهم على بناء مجتمع صحي وأفراد إيجابيين يعكسون صورة مثالية ونموذجية عن الإسلام، وأهم هذه الفوائد:

١- إن الاجتماع يساعد المجتمع على مواجهة التحديات، فنحن إذا اجتمعنا نستطيع أن نصمد أمام التحديات العصرية، ولن تستطيع الأمة أن تواجه هذه التحديات إلا بالاجتماع.

٢- يساعد على إظهار عظمة الإسلام، من القوة والاتحاد.

٣- تحقيق الألفة والعدالة والمحبة والتآخي، فالاجتماع سيحقق كل هذه المعاني عندما نصلي في مسجد واحد، ونقف في صف واحد، نركع جميعاً، نسجد جميعاً، نحج جميعاً، كل هذا فيه معنى الترابط والتلاحم

والألفة، وعدم التفريق بين المسلمين.

٤- القضاء على العصبية القبلية، فإننا إذا اجتمعنا في المسجد صلى فيه الجميع الكبير والصغير والشريف والوضيع والغني والفقير، كلهم يخضعون، يسجدون لله تعالى فالعلاقة بيننا هي علاقة الدين المبنية على المحبة والتآلف والتآخي.

٥- القضاء على ما يحاول أن يفعله المحاربون من المشركين من تفريق كلمة المسلمين، وجعلهم فرقاً وأحزاباً، فنحن إخوة، وإن كان هذا من مصر، وهذا من الشام، أو العراق، أو الباكستان، أو اليمن، أو السودان، أو من أيّ مكان طالما أنه مسلم، فالذي يجمعنا هو الإسلام، لا الأماكن، ولا القبائل، ولا العصبيات، ولا غير ذلك.

٦- تحقيق البركة، فالاجتماع فيه بركة في أمور الخير كلها، حتى في الطعام، فقد جاء بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع. قال: « **فلعلكم تفترقون**». **قالوا: نعم. قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه»**. فالاجتماع فيه بركة حتى في الطعام، ونحن المسلمين نجتمع على الطعام بخلاف غيرنا من الغربيين والشرقيين، حيث تجد كل واحد منهم يأكل وحده، وهذا صنيع البهائم، حيث تحاول كل بهيمة أن تنفرد بالطعام وحدها، حتى لا يشاركها غيرها، أما نحن فإن الإسلام أمرنا أن نجتمع حتى على الطعام، وذلك لحصول البركة.

٧- إنه يخيف الأعداء ويلقي الرعب في قلوبهم، فاليهود لو تحقق لديهم أننا مجتمعون لما تجاوزوا شبراً واحداً من أرض المسلمين، لكن لما نظروا في أحوال المسلمين فرأوا هذا التفرق فعلوا ما فعلوا، إذن فالاجتماع يخيف الأعداء، ويلقي الرعب في قلوبهم، وهذا يذكرنا بقصة الأوس والخزرج لما كانوا متفرقين متناحرين كانوا في ضعف، فلما جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة النبوية وجمعهم أصبحوا قوة ضاربة في الجزيرة العربية، ومن هنا شع نور الهدى، وانتشر الإسلام، وهاب الناس هذه الأمة المتآلفة المتحدة.

٨- تنشيط الإنسان، وإحياء روح المنافسة، وإبعاده عن الرذائل والمحرمات، فالشخص يكسل عن العمل إذا كان وحده، أما إذا كان مع الجماعة نشط، كما أنه قد يقع في بعض المحرمات في حال كونه منعزلاً عن الجماعة، أما إذا كان وسط إخوانه، فإن هذا مدعاة لإبعاده عن ذلك، فالاجتماع دواء ناجح لكثير من الأمراض النفسية المنتشرة اليوم، مثل الاكتئاب والقلق، وغير ذلك، كل هذا سببه العزلة، والبعد عن الصلوات في المساجد، والبعد عن حضور الخير والندوات، وما شابه ذلك.

٩- طرد الشيطان وإغاظته، لأنه يهم بالواحد، وهو عن الاثنين أبعد، كما جاء في الحديث: « **ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية**». يعني أن الذئب إذا انفردت الماعز، أو الضأن أكلها، فإذا كانت في جماعة ضعف عن ذلك، فكذلك الإنسان إذا اجتمع مع إخوانه، فإن

هذا يضعف الشيطان.

١٠- تحقيق وعي الأمة بفهم ذاتها فهماً صحيحاً، مما يساعد على توحيد أنماط التفكير والسلوك، وأساليب البحث والنظر على أساس إسلامي صحيح.

١١- الوحدة تساعد المجتمع الإسلامي على مواجهة التحديات.

١٢- الوحدة تساعد المجتمع الإسلامي على التحرر من التبعية الفكرية والحضارية، والتي تتولد عن عدم فهم الذات فهماً صحيحاً واعياً.

١٣- تساعد على صياغة صحيحة من أجل الإبداع الحضاري وتثير طاقاته الإبداعية، وتقدم النموذج الإسلامي السليم للإنسان الحضاري.

١٤- تساعد على إبراز ما للإسلام من آثار عظيمة على المسلم؛ إذ يورثه القوة والعزة والمنعة.

١٥- تحقيق المفاهيم الإسلامية الحقيقة للأمة، بعقيدتها وأخلاقها، مما يتبلور في النهاية في شكل حضارة إسلامية حقيقة معبرة عن المجتمع الإسلامي.

١٦- المحافظة على التراث الثقافي واللغة العربية (لغة القرآن) واستمرارها.

١٧- القضاء على العصبية القبلية، وعدّ القاعدة الدينية الاجتماعية أساساً يتسع لجميع الأمم والشعوب.

١٨- الاجتماع والوحدة يحققان مطلباً إسلاميّاً أصيلاً حثّ عليه الإسلام في صلاة الجمعة، وصلاة الجماعة، وأداء الحج.

١٩- في الاجتماع والوحدة تقوية لجانب المسلمين، ورفع روحهم المعنوية، انطلاقاً من الاعتقاد بأن يد الله مع الجماعة، ومن كانت يد الله معه كان واثقاً من نصر الله عز وجل.

٢٠- الاجتماع والوحدة قوة متجددة للفرد والأسرة والمجتمع، بل ولكل العالم الإسلامي.

٢١- الاجتماع يخيف الأعداء ويلقي الرعب في قلوبهم ويجعلهم يخشون شوكة الإسلام والمسلمين، ومن ثم يكون في الاجتماع عزة للمسلمين في كل مكان.

٢٢- إن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها.

٢٣- الاجتماع والوحدة وسيلة من وسائل الأخلاق الفاضلة وذلك بانغماس الفرد في البيئات الصالحة، وذلك لأن من طبيعة الإنسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها، ويتعايش معها ومع ما لديها من أخلاق وعادات وسلوك.

٢٤- الوحدة والاجتماع يزكي في الأفراد روح التفوق والرغبة في إظهار ما لديهم من قدرات، وهذا الدافع لا يتحرك إلا من خلال الجماعة.

٢٥- في وجود الفرد داخل الجماعة وازع أساسي له كي يبتعد عن الرذائل خشية ما يصيبه من ضرر لو اطلع الآخرون على هذه الصفات القبيحة، ومن هنا يكون للاجتماع دوره الفعال في مكافحة الجريمة والرذيلة.

٢٦- بالاجتماع وخاصة مع الصالحين والأسوياء ما يجعل المرء يشعر بأخلاق الجماعة ويحاول تقليدها واكتساب أخلاقها، ثم يتحمس للدفاع عنها.

٢٧- في الاجتماع دواء ناجع لكثير من الأمراض النفسية: كالانطواء والقلق، إذ إن وجود المرء مع الآخرين يدفع عنه داء الانطواء ويذهب القلق، وخاصة إذا علم أن إخوانه لن يتخلوا عنه وقت الشدة، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

كيف السبيل إلى تحقيق الوحدة الإسلامية؟

هنالك إشكالية نعاني منها في عالمنا الإسلامي ويكاد أن يصبح ظاهرة طاغية لا سبيل لإخفائها أو التستر عليها، وهي إشكالية عدم تطابق وتجانس النظرية مع التطبيق، أو بكلام أكثر وضوحاً وأقرب للفهم، عدم تطابق كلامنا مع أفعالنا، وهذه الإشكالية لا تواجهنا في هذا المجال **"أي الوحدة الإسلامية"**، وإنما في معظم المجالات، فإشكالية النظام العربي الرسمي مع الشعوب (والشيء نفسه ينسحب على بلدان العالم الإسلامي)، هو التناقض وعدم الترابط بين ما تدعيه الأنظمة والحكومات القائمة نظريّاً وبين ما يتمّ على أرض الواقع.

الحديث عن الوحدة الإسلامية وشغف المسلمين بها من كل الطوائف والمذاهب الإسلامية وتطلع العلماء الأفاضل بالسياق نفسه، هو غير الواقع القائم، بل ولا نكون قساة إذا ما قلنا بأن الشغف والتمني والطموح من جانب المسلمين وعلمائهم من مختلف المذاهب، هو غير ما يفعلون في الواقع.

هذا التناقض الكبير الذي نلمسه جميعاً ويمارس الكثيرون نوعاً من خداع النفس والتمويه عليها عندما يطرحون أفكاراً ورؤى وأماني لا تجد من مجال لتطبيقها وتفعيلها على أرض الواقع لأنها تصطدم بقوة بثقافة وفكر وممارسات وقيم دفعتنا نحو مذهبية منغلقة ومنطوية على نفسها حتى وإن لم نعترف بذلك، والمصيبة الكبرى أننا وفي الوقت الذي

نعلن فيه أمام الجمع ووسائل الإعلام والأماكن والاجتماعات الجماهيرية بإيماننا بالوحدة بين جميع مكونات الأمة الإسلامية، لكننا عندما نعود إلى أنفسنا فإننا نعود إلى أفكارنا ورؤانا التي كبّلت عقولنا وأفق أفكارنا بأدران وزنخ التجمد والتحجر والانغلاق الطائفي.

لا يكفي إطلاقاً التمني وإطلاق الأمور على عواهنها والاكتفاء بالدعاء والتوسل إلى الله تعالى لكي تتحقق الوحدة ما لم نخطُ إليها ونهيئ السبل والأرضية والمناخ الملائم لتحقيقها، وصدق الشاعر أحمد شوقي عندما قال:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ويجب علينا أن لا ننسى الأهمية القصوى للعمل والحركة في الإسلام، وأحد الأخطاء الشائعة السلبية التي تعودنا عليها هي أننا نلوذ بالدعاء من أجل تحقيق أمانينا وطموحاتنا من دون أن نخطو خطى عملية مفيدة ومطلوبة بذلك الصدد. وسوف نكون أكثر صراحة وشفافية إلى حدّ الإيلام عندما نتساءل: منذ عقود طويلة ونحن في بلدان العالم الإسلامي ندعو في الأعياد التي مرت بنا، أن يوحد الله تعالى بين قلوبنا ويجمع شملنا وجمعنا ويوحد صفوفنا، ولكن هل تحقّق شيء من ذلك؟ للأسف البالغ نقولها وبمنتهى الصراحة، كلا، وليس لا، وبين الكلمتين فرق كبير، فالأولى أداة نفي تفيد الردع فيما الثانية مجرد أداة نفي، بمعنى إن واقعنا بعد عقود من تكرار الدعاء ذاته وعدم تحقق شيء منه "أي

من الدعاء"، يسير نحو الأسوأ وليس الأحسن، فأين يكمن الخطأ؟ لا غرو من أن الخطأ والعيب يكمن فينا جميعاً فرداً فرداً، إذ إن حالنا يشبه حال ذلك الرجل الذي هرع إلى النبي ﷺ بعد إتمام الصلاة ليخبره بأن ناقته قد فقدت مع أنه توكل على الله عندما تركها بباب المسجد، فقال له النبي ﷺ: هل عقلتها؟ فقال الرجل: كلا، فقال النبي ﷺ: اعقلها وتوكل. ونحن ندعو ونتضرع من دون أن نفعل شيئاً على أرض الواقع، وكأننا نريد من الله تعالى وملائكته أن يحققوا لنا رغباتنا وأمانينا من دون أن نتحرك وفي الحركة بركة كما يقال، وهذا برأينا بيت الداء ومكمنه الذي يجب أن ننطلق منه للعمل من أجل هذا الهدف الكبير، أي الوحدة الإسلامية.

لكي نجعل من الوحدة الإسلامية أمراً واقعاً وحقيقة قابلة للتطبيق، نجد لزاماً على أنفسنا كأمة إسلامية أن نبادر إلى العمل في ضوء خمسة مرتكزات رئيسة ترتبط الواحدة منها بالأخرى، وهذه المرتكزات تشكل آلية وخارطة طريق واضحة المعالم من أجل قيام وتشييد صرح الوحدة الإسلامية الشامخ بعون الله ومشيئته تعالى، هذه المرتكزات الخمسة هي:

أوّلاً: الإيمان واليقين الكامل بالوحدة بين المسلمين: وهو إيمان ويقين يجب أن يكون بيننا وبين أنفسنا وأمام الله سبحانه وتعالى، وهو يعني بالضرورة التزاماً منا جميعاً بالمسؤولية من أجل تحقيق هذا الهدف النبيل وليس انتظار شخص أو عدة أشخاص لكي يقوموا بهذه المهمة. من

المهم جدّاً أن نجعل من التزامنا بمسؤولية تحقيق الوحدة الإسلامية قويّاً وراسخاً إلى الحد الذي نغرسه في عقلنا الجمعي ونجعله واحداً من المواضيع الأساسية التي لا مناص من العمل من أجل تحقيقها.

ثانياً: التركيز على القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية:

هذا المرتكز بالغ الأهمية وضروري إلى أبعد حدّ، فمنه سننطلق لوضع اللبنات القوية لبناء صرح الوحدة الإسلامية، إذ هناك نقاط كثيرة تجمع المسلمين وتوحدهم، سواء كان على مستوى العقيدة أو الفقه أو غيرها، ولنا تجربة ناجحة كما تقدم في مشروع الشيخ القمي والشيخ شلتوت ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني والسيد شرف الدين والشيخ سليم البشري وغيرهم. فهناك قواسم مشتركة لا بدّ من غرسها في أذهان الأمة الإسلامية وجني ثمارها بمشروع وحدوي لا يمكن أن يفتّ عضده أعداء الإسلام مهما جندوا له من أفكار مضادة.

ثالثاً: التأسيس لثقافة الحوار والرأي والرأي الآخر وبمنتهى الوضوح:

بقناعتنا لا يوجد دين آمن بمبدأ وثقافة الحوار وتقبّل الآخر كما هو الحال مع ديننا الحنيف، بل وإن ثقافة الحوار من المسلمات التي شدد عليها القرآن الكريم إلى أبعد حدّ، ففي الآية ١٢٥ من سورة النحل يقول عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ

﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾، وكذلك في الآية ٣٤ من سورة فصلت، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾، ونعتقد بأن الآيتين واضحتان أشد الوضوح خصوصاً من حيث طرح الكيفية الفكرية والأخلاقية الواضحة جدّاً للنقاش والتحاور وتقبل الآخر، ونحن وللأسف البالغ نفتقر إلى هذا الأسلوب من التحاور بيننا كمذاهب إسلامية ونجامل، بل ونرائي والعياذ بالله على حساب الحق والحقيقة.

رابعاً: مبدأ التسامح والتضحية والإيثار وحب الآخر:

للأسف البالغ نحن ورثنا ثقافة خاطئة إلى أبعد حدّ من حيث عدم تعلمنا وتربّينا على منهج التسامح وحب الآخر أو الآخرين، بل إننا تعودنا على ثقافة العنف والإكراه والقسر وما إليه من نتائج وتداعيات بالغة السلبية.

خامساً: المكاشفة والمصارحة الفكرية والعقائدية وعدم إلزام الآخر بها:

الوحدة الحقيقية والبنّاءة هي تلك المبنية على الصدق والشفافية بحيث يعرف كل فرد ما يؤمن ويقتنع به مقابله، ذلك أن النماذج الاستبدادية في تحقيق الوحدة القسرية بأن يتم إلغاء أو إقصاء طائفة أو مذهب أو تهميشه، لن تكون وحدة إسلامية واقعية كما دعا إليها الله تعالى ورسوله ﷺ.

النبي ﷺ والوحدة الإسلامية:

أولى النبي الأكرم ﷺ، اهتماماً استثنائيّاً لقضية وحدة المسلمين وضرورة التآلف والتآخي والتعاضد بينهم وعدم السماح لأيّ شكل من أشكال الاختلاف السلبي والتناحر والتشتت، خصوصاً وأن التنازع والفتن والاختلافات والانقسامات عامل سلبي من حيث تأثيره على وحدة الصف الاجتماعي، بالإضافة إلى أنه ورقة رابحة بيد الأعداء، وأن إلقاء نظرة على مواقف النبي ﷺ خلال عمره الشريف والتي لفت فيها النظر بقوة إلى الأهمية القصوى للوحدة والتعاضد ورفض الإضرار بها بشدة، وأن هناك نماذج بهذا الخصوص، لعل من أهمها الموقف المثالي الذي اتخذه النبي ﷺ من قبيلتي الأوس والخزرج اللتين نصرتاه وآوتاه في بداية دعوته.

ورد في سيرة النبي ﷺ وهو في المدينة، أن جاهليّاً في المدينة المنورة وهو من اليهود غاظه ما رأى من ألفة المسلمين، وأسقط لكم هذه الحقيقة على واقعنا، مع أعدائنا ورقة رابحة وحيدة هي التفرقة بين المسلمين، هي إثارة الفتن الطائفية بين المسلمين، هذا اليهودي غاظه ما رأى من ألفة المسلمين، غاظه ما رأى من صلاح بينهم، بعد الذي كان بينهم من عداوة وبغضاء في الجاهلية.

لذلك أمر شابّاً على شاكلته أن يجلس مع الأوس والخزرج، وأن يذكرهم بيوم بعاث، يوم اقتتالهم، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوه

فيه من أشعار، فتفاخر القوم نزوة جاهلية، ثم تنازع الأوس والخزرج، ثم تواثب رجلان من الحيين، وتقاولا، فقال أحدهما: إن شئتم رددناها الآن جذعة، أي حامية، وغضب الفريقان، وكادت تقع الفتنة، بلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم غاضباً فيمن معه من المهاجرين، حتى جاءهم فقال:

"يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم؟ أبعد أن هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم دعوى الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟". فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوّ لهم، وبكوا، وعانق الرجال بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين.

لقد وصف النبي ﷺ الخصومة بالكفر، ثم إن الله جل جلاله أنزل بهذه الحادثة قرآناً فقال . دققوا بكلام الله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ

وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ (٤٠). لو نظرنا في هذه الآيات وما تحملها في طياتها من أفكار ومعانٍ، لعلمنا بأن النبي ﷺ قد حاجج الأوس والخزرج بأن التشتت والتفرق والمواجهة بين المؤمنين هو الكفر بعينه، خصوصاً وأنه "أي النبي عليه الصلاة والسلام"، قد أكد لهم في حديثه أعلاه بأن العودة إلى الشقاق والاختلاف بعد أن ألّف الإسلام بين قلوبهم، تعني العودة للكفر، ومن هنا من المهم جدّاً الانتباه إلى هذه النقطة البالغة الحيوية والحساسية، أي إن الاختلاف السلبي والتشتت والمواجهة بين المسلمين، هو كفر، وهذا ما يقوله ويؤكده النبي ﷺ بناءً على القرآن الكريم ذاته، ولهذا فإنه جدير بنا جميعاً أن ننتبه إلى هذه النقطة كثيراً ونضعها باعتبارنا ونفكر ليس مرة واحدة وإنما مليون مرة عندما يكون خصمنا مسلماً، فمواجهة المسلم للمسلم كفر، بغضّ النظر عن مذهبه، إذ ليس هناك من بإمكانه أن يخرج أحد المذاهب الإسلامية من الإسلام أو يعتبرها غير مسلمة، ومن هنا فإننا جميعاً كمسلمين ومن أيّ مذهب أو طائفة كنا، وطالما اعتبرنا أنفسنا مسلمين فإنه فرض علينا الالتزام بما قد أمر به رسولنا وحبيبنا وقائدنا محمد ﷺ بهذا الخصوص.

الإمام عليّ بن أبي طالب والوحدة:

للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مواقف متميزة من الوحدة والاجتماع والتآلف تتسم ببعد وأفق إنساني لفت أنظار مفكري وفلاسفة العالم قبل المسلمين، وما يمنح مواقفه خصوصية فريدة من نوعها تستمد جذورها الأساسية من الكتاب المبين والسُّنة النبوية الشريفة، وكيف لا والرجل تربى ونشأ على يد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفي عمق الرسالة فهو لم يطرح مفهوماً معيناً ومجرداً للوحدة والتآلف وإنما طرح مقومات وأسس أدب التواصل والحوار، ولنطلع معاً على نماذج من أقواله ومواقفه بهذا الصدد.

قال عليه السلام: **الناس صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق".** (٤١)

وقال عليه السلام أيضاً: **"كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتتبرؤون، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم إياهم، وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءهم ودماءنا، وأصلح ذات بينهم وبيننا، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان منهم من لهج به - لكان أحب إليَّ وخيراً لكم. فقالوا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك".** (٤٢)

وقال عليه السلام أيضاً: **"لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق**

فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه".(٤٣)

هذه الأقوال الواضحة في مقاصدها والعميقة في معانيها، سعى الإمام عليّ عليه السلام، إلى التأسيس لثلاثة مبادئ أساسية هي:

١- الإنسان أخو الإنسان في الدين ولم يقيده عليه السلام بقيد التشيع أو التسنن، وكذلك هم أخوة في الخلق في أصل الخلقة والمنشأ، من الجدير الانتباه إلى هذا الأمر وإيلائه الأهمية التي توازيه من حيث القيمة والمعنى والمقصد.

٢- الالتزام بأدب الحوار فلا يجوز السب والشتم؛ بل يجب وصف مساوئ الأعمال بالتي هي أحسن، فتأثيرها يكون أبلغ وأنجع.

٣- قد يقع الخطأ في العقيدة للشبهة أو لغيرها، فلا يجوز هتك حرمة هذا الإنسان- أيّ إنسان كان- بغضّ النظر عن لونه وعرقه وهويته، ولو كان ممن خرج عليه وقاتله عليه السلام.

اليوم، نجد أمتنا الإسلامية بجميع مذاهبها، في أمسّ الحاجة لهكذا أسلوب ونمط في التعاطي مع البعض ومع الآخر، إذ إنه كما حدد القرآن الكريم نمطاً وأسلوباً لمخاطبة الإنسانية كلها من خلال تعبير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، وحدد في الوقت نفسه نمطاً وأسلوباً لمخاطبة المسلمين من خلال تعبير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، لكنه لم ينتقص من الناس ولم يطلب من المؤمنين التميز عنهم والاستعلاء عليهم، وهذا تحديداً ما جسده وأكده الإمام عليّ عليه السلام في كلامه ومواقفه التي نحن بصددها.

ما ورد في السُّنة النبوية الشريفة بشأن الوحدة والتآلف:

وردت في السُّنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة تؤكد ما ورد في القرآن الكريم من الأمر بالوحدة والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة، ومن تلك الأحاديث:

١. قوله ﷺ: **"إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"**.

قال النووي رحمه الله: **"وأما قوله** ﷺ "ولا تفرقوا": فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألّف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام، واعلم أن الثلاث المرضية إحداها: أن يعبدوه، الثانية: أن لا يشركوا به شيئاً، الثالثة: أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا".(٤٤).

٢. قوله ﷺ: **"عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة"**(٤٥). وقد تكرر منه صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بلزوم الجماعة في أحاديث أخرى كثيرة.

٣. قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **"سمعت رجلاً قرأ آية سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم خلافها، فأخذت بيده فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "كلاكما محسن". قال شعبة أظنه**

قال: **"لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا"**.(٤٦).

قال المناوي رحمه الله: "يعني أن الأمم السابقة اختلفوا في الكتب المنزلة فكفر بعضهم بكتاب بعض، فهلكوا، فلا تختلفوا أنتم في هذا الكتاب، والمراد بالاختلاف: ما أوقع في شك أو شبهة أو فتنة أو شحناء ونحو ذلك..."(٤٧).

تلكم جملة يسيرة من نصوص الكتاب والسُّنة التي تدل على وجوب وفرضية وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم على الحق.

وقد اتفقت كلمة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان على الأمر بلزوم الجماعة، فكلهم بلا استثناء كانوا من دعاة الوحدة والاجتماع على الحق، ولم يكونوا من دعاة الفرقة والاختلاف.

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: **"كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السُّنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله"**.(٤٨).

الأحاديث النبوية الواردة بخصوص الوحدة والتآلف والمحبة والتآخي بين المسلمين:

تتوضح أهمية الوحدة والتآخي والتآلف والاتحاد بين المسلمين من خلال الاهتمام الاستثنائي للإسلام عموماً ولنبينا الكريم ﷺ خصوصاً بذلك، ونجد من الضروري إدراج الأحاديث النبوية الشريفة بهذا

الصدد من أجل لفت الأنظار إلى هذا الموضوع ولكي يكون بعون الله قبساً ومناراً لنا جميعاً.

أخرج الطبري عن عبد الله بن مسعود"رضي الله عنه" قال: "حبل الله الجماعة".

في صحيح مسلم عن أبي هريرة "رضي الله عنه" قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال"**.

عن أنس بن مالك "رضي الله عنه" أن رسول الله ﷺ قال: **"لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام"**. رواه الإمام أحمد، وأصله في صحيح مسلم عن أبي هريرة.

عن زكريا بن سلام يحدث عن أبيه عن رجل قال: **انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يقول: "أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم من الفرقة"**. ثلاث مرار، قالها إسحاق.(٤٩).

عن النعمان بن بشير "رضي الله عنه" عن رسول الله ﷺ قال: **"الجماعة رحمة، والفرقة عذاب"**.(٥٠).

وقال رسول الله ﷺ: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه**

بعضاً". وقال: "المسلم أخو المسلم".

وعن أبي الدرداء قال رسول الله ﷺ: "ما من ثلاثة لا تقام فيهم الصلاة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية".

عن عمر بن الخطاب"رضي الله عنه" أن رسول الله ﷺ قال: "إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم في الله". قالوا يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: "هم قوم تحابّوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لنور على نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس". وقرأ هذه الآية:﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾(٥١).

وقال ﷺ: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".(٥٢).

قال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".(٥٣).

قال ﷺ: "حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه".(٥٤).

قال ﷺ: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن يك ظالماً فاردده عن ظلمه،

وإن يك مظلوماً فانصره".(٥٥).

قال ﷺ: "دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل".(٥٦).

قال ﷺ: "أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحبّ إليَّ أن أعتكف في هذا المسجد. يعني مسجد المدينة. شهراً".(٥٧).

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: "أن رجلاً زار أخاً له في قرية فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه".(٥٨).

قال ﷺ: "من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً".(٥٩).

وقال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".(٦٠).

قال ﷺ: **"إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم"**. (٦١).

عن عوف بن مالك"رضي الله عنه" عن رسول الله ﷺ قال: **"خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم، وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة"**. فمعاداة ولاة الأمر، والخروج عليهم من أعظم أسباب الفرقة، وإنما أهلكت الأمم الخالية بفرقتها، فالفرقة من أعظم أسباب الهلاك.

التمعن في الأحاديث أعلاه والتدبر فيها بدقة وأناة، تدل وبصورة واضحة جدّاً على أن نبي الإسلام ومعلم الإنسانية الأجدر، لم يدعُ إلى الوحدة الإسلامية اعتباطاً أو من دون طائل وإنما قام بإنارة الطريق الذي يؤدي إلى تحقيق ذلك الهدف الإلهي النبيل، حيث إن الوحدة لا تتحقق من عمليات تلقائية صماء أو بفعل أمور خارجة عن الإرداة البشرية، وإنما تعتمد وتبنى على أساس مقدمات وأسس أولية لا بدّ منها، ومن هنا فإن الرسول الأكرم ﷺ، عندما كان يطلق الأحاديث النبوية الشريفة تلو الأخرى والتي تشدد على تقوية دعائم وركائز العلاقات الاجتماعية بأقوى صورها، ويحثّ الأمة الإسلامية على التقارب والتآزر والتعاضد والتآخي فيما بين شرائحها ومكوناتها، فإنه ﷺ، كان يريد أن

يدل الأمة الإسلامية ويرشدها إلى الطريق الأصح والأقوم من أجل بناء وتشييد الصرح الإسلامي كما أمر به الله سبحانه وتعالى وكما طالبنا به النبي ﷺ.

الآيات القرآنية الواردة بخصوص الوحدة والتآلف والتآخي بين المسلمين:

عندما قدمنا أحاديث الرسول الأكرم ﷺ على الآيات القرآنية الكريمة بشأن الوحدة والتآلف والتآخي بين المسلمين وقبلها مواقف الإمام عليّ عليه السلام، فإننا والعياذ بالله لم نقصد تقديم المهم على الأهم، ولكننا سعينا من أجل إعداد الأذهان للانتقال من المهم إلى الأهم، أو بكلمة أخرى بصورة تدريجية لكي يتم استيعاب الأمور وفهمها وهضمها كما يجب.

القرآن الكريم قد أكد وفي مواضع كثيرة على الأهمية القصوى للأمور المتعلقة بمواضيع نظير الوحدة والتآلف والتآخي بين المسلمين، إلى الحد الذي اعتبر فيه الخارجين عن وحدة الصف بمثابة الفتنة والمراقين ممن ينالون العقاب الآخروي على ذلك، وندرج أدناه الآيات القرآنية الكريمة بهذا الخصوص:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ (٦٢).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ ﴾(٦٣).

قال تعالى: ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢ ﴾(٦٤).

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾(٦٥).

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾(٦٦).

وقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾ (٦٧).

قال عز وجل: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١ ﴾(٦٨).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ

﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ (٦٩).

النقطة المهمة والحيوية التي يجب علينا أن ننتبه إليها في الآيات الكريمة أعلاه التي أوردناها، أنها لم تدعُ إلى الوحدة والتآلف والتآخي بين المسلمين بصورة قسرية واعتباطية أو حتى بطريقة تلقائية من دون مقدمات ومبادئ محددة تدعو وتمهد لذلك، بل إنها وكما نرى حددت أسساً ومنطلقات ومعايير أخلاقية وإنسانية ترسم الطريق المناسب الذي يحقق الأهداف المرجوة، ذلك أن القرآن الكريم وقبل أن يطالب المسلمين بالاتحاد والتآلف والتآخي، قام بإعدادهم لذلك وجعلهم في مستوى الأمر الحيوي المطلوب منهم، وعندما نقارن بيننا وبين أسلافنا الصالحين ونغبطهم على حسن تعاضدهم وتكاتفهم وتآخيهم، فإن السبب الأساسي يعود إلى التزامهم بما قد طلب القرآن الكريم منهم من أسس ومعايير ومبادئ أخلاقية تقود إلى ذلك، أولئك كانوا يفعلون ما يقولون على العكس منا نقول ما لا نفعل!

وإننا نرى في الآيات الكريمة أعلاه من أنه لما كان الإسلام هدي الله للبشرية جمعاء، وهو الدين الذي جاءت به الرسل جميعاً من عند الله، فإن دعوة الإسلام إلى وحدة الأمة الإسلامية لا تعني دعوة إلى عصبية ممقوتة منغلقة على نفسها، ولا تعني دعوة إلى تمزيق الروابط الإنسانية، وإنما هي "في الوقت نفسه" دعوة إلى الوحدة الإنسانية يصنع الإسلام

نموذجها الأصيل، وركيزتها الفذة في وحدة الأمة الإسلامية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾، ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾.

والوحدة التي يدعو إليها الإسلام ليست زينة لحياة المسلمين أو حاجة طارئة يميلون إليها حين يدعوهم حافز من حوافز المصلحة الدنيوية، ولكنها ضرورة من ضرورات إيمانهم، يدعون إليها حين يدعون إلى عبادة الله الواحد، وتقواه.

وهذه المعاني الشاملة تتضمنها الآيتان الكريمتان: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾

والوحدة التي يدعو القرآن الكريم من خلال الآيات أعلاه المسلمين إليها، ضرورة من ضرورات فطرتهم التي جمعتهم على الإسلام، ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾. فالقرآن الكريم يدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية على أساس من وحدة الجنس البشري التي يقرّها الإسلام بصورة قاطعة لا تحتمل تأويلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾. التمعن في هذه الآيات والتدبر فيها بعمق ومقارنتها بين ما يجري اليوم على أرض الواقع بالنسبة للأمة الإسلامية وعلى وجه الخصوص من قبل المذاهب الإسلامية، نجد أن هناك حالة من الشذوذ والانحراف عن الخط القرآني الأصيل الذي جعل ويجعل وحدة الأمة فوق كل الاعتبارات، خصوصاً وأنها تتطابق مع المطالب العقلية والموضوعية وتتفق معها تماماً، كما أن هذا الطرح القرآني عن الوحدة الإسلامية يتعارض ويتناقض تماماً مع ما قد طرح ويطرح بشأن الفرقة الناجية، وجعل ذلك مقياساً ومعياراً لتفتيت وتقسيم وتشرذم وتبعيض الأمة، ومن هنا فإننا وجدنا من المناسب جدّاً إيلاء أهمية خاصة لموضوع الفرقة الناجية والتي كما يبدو أن هناك أكثر من مدعٍ لها.

الفرقة الناجية:

من الأمور التي تلفت الانتباه كثيراً وتستدعي أكثر من وقفة وتأمل، وتدعو إلى أن نأخذها بعين الاعتبار بصورة خاصة، الانصراف من جانب عدد لا يستهان به من علماء وأتباع المذاهب الإسلامية إلى مسائل جانبية تشذ وتنأى بنفسها عن السياق الأصلي والاعتيادي للدين الإسلامي، كما أن وبالدرجة نفسها، نجد نوعاً من النأي العملي عن الأمور الأساسية والجامعة في الإسلام، بحيث لا نجد صدًى لها إلا في بطون الكتب وعقول وأدمغة علماء الدين، في حين إن واقع أمتنا أحوج ما يكون إليه.

موضوع "الفرقة الناجية"، الذي يستند بالأساس إلى حديث نبوي هو: **"قال رسول الله ﷺ: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم؟ قال الجماعة"**. وقد روى هذا الحديث ابن ماجه واللفظ له، وابن أبي عاصم، واللالكائي، وكلهم من طريق عباد بن يوسف حدثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك به.

وقد قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: **"هذا إسناد فيه مقال راشد ابن سعد قال فيه أبو حاتم صدوق، وعباد بن يوسف لم يخرج له أحد**

سوى ابن ماجه، وليس له عنده سوى هذا الحديث. قال ابن عدي: روى أحاديث تفرد بها، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات" (٧٠). وعباد بن يوسف ذكره ابن عدي في الضعفاء وقال عنه: **"روى عن صفوان بن عمرو وغيره أحاديث ينفرد بها"**. وأورده الذهبي في المغني في الضعفاء وقال: **"ليس بالقوي"**. وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني: **"مقبول"**. أي حيث يتابع وإلا فليّن.

وهذا الحديث من روايته عن صفوان، ولم يتابع عليه، فروايته تعد منكرة لتفرده، مع عدم قوته، كما قال الذهبي: **"وإن تفرد الصدوق ومن دونه يعد منكراً، وإن إكثار الراوي من الأحاديث التي لا يوافق عليها لفظاً أو إسناداً يصيره متروك الحديث"** (٧١). ولهذا الحديث علة أخرى، وهي جنوحه نحو المخالفة، فقد خالفه جماعة من الثقات فرووه عن صفوان ابن عمرو بإسناد آخر من حديث معاوية بن أبي سفيان لا عن عوف بن مالك!

ومما يتم استخلاصه من شرحنا أعلاه، هو اجتماع ثلاث علل في هذا الحديث وهي: ضعف في راويه، وتفرده فيه، ورجحان رواية مخالفيه.

والمهم جدّاً أن نأخذ بعض الآراء المطروحة من جانب علماء ومفكرين إسلاميين بشأن حديث الفرقة الناجية، إذ ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في **"الموضوعات"** (١/ ٢٦٨) من طرق وقال: **"هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ...إلخ"**. فيما قال ابن تيمية: **"هذا الحديث لا أصل**

له، بل هو موضوع كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ولم يروه أحد من أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ". وقال الألباني: **"وهذا المتن المحفوظ [يعني: (كلهم في النار إلا واحدة)] قد ورد عن جماعة من الصحابة، منهم أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد وجدت له عنه وحده سبع طرق، وذلك مما يؤكد بطلان الحديث بهذا اللفظ الذي تفرد به أولئك الضعفاء، وخاصة ياسين الزيات هذا، فقد خالفه من هو خير منه: عبد الله بن سفيان، فرواه عن يحيى بن سعيد عن أنس باللفظ المحفوظ "**. أما في عصرنا هذا، فإن رأي الدكتور محمد عمارة يتلخص في أن واقع الفرق الإسلامية لا يمكن التعبير عنه بأيّ حال من الأحوال بالعدد ثلاث وسبعين فرقة، فهي عند الأشعري تزيد عن المئة، والشهرستاني عدّها ستّاً وسبعين فرقة، وابن حزم عدها خمس فرق، والملطي عدّها أربعاً، والقاضي عبد الجبار عدّها خمساً، والخوارزمي عدّها سبعاً.

في حين إن رأي الدكتور عبد الرحمن بدوي يمكن حصره في النقاط الثلاث التالية:

.إن ذكر هذه الأعداد المحددة المتوالية ٧١-٧٢-٧٣ أمر مفتعل لا يمكن تصديقه فضلاً أن يصدر مثله عن النبي.

. لا نجد لهذا الحديث ذكراً فيما ورد لدينا من مؤلفات القرن الثاني، بل ولا الثالث الهجري ولو كان صحيحاً لورد في عهد متقدم.

.أعطت كل فرقة لختام الحديث الرواية التي تناسبها، فأهل السُّنة جعلوا

الفرقة الناجية هي أهل السُّنة، والمعتزلة جعلوها فرقة المعتزلة وهكذا.

أما رأي الدكتور محمد سيد أحمد المسير فيمكن اختصاره في نقطتين هما:

.مفهوم الأمة في الحديث هو "أمة الدعوة" وليست **"أمة الإجابة"**. وأمة الدعوة المقصود بها هو كل البشر الذين أرسل الله النبي إليهم بالدعوة. وأمة الإجابة هم الذين أجابوا النبي إلى الإسلام.

.بافتراض أن المقصود بالأمة هو **"أمة الإجابة"**، فإن انحصار الصواب في فرقة واحدة من الأمة والتسليم بكل آرائها هو غير ممكن. إذ كل الفرق فيها الصواب والخطأ. والميزان الصحيح هو أن ترد المسائل مسألة مسألة إلى كتاب الله وسُنة رسوله.

وخلاصة ما سبق أن ذلك الحديث الذي يلقي بالأمة في النار إلا قليلاً منهم هو حديث ضعيف. وذلك الحديث الذي يقول بانقسام الأمة هو حديث آحاد **"صحيح لغيره"** أي أوهن درجات الصحة، فمن أراد أن يحكم به على عقائد الأمة فيبدع هذا ويفسق ذلك ويكفر هؤلاء ويقضي بالنار على آخرين، وتمسك فقط بما شذ من الآراء وما انحرف من الأفكار متكئاً على ذلك الحديث فليحذر كل الحذر من قولة في غير موضعها أو حكم ظني غير صحيح يحكم به على هذه الفرق يحمل به إثماً من اثنتين وسبعين فرقة من الأمة الإسلامية. والأهم من ذلك، أن الأخذ بهكذا حديث يزرع أسباب وعوامل ودوافع التفرقة والتبعيض والانقسام

بين مكونات الأمة الإسلامية ويشق صفوفها ويفرق كلمتها وينال من وحدتها، هو حديث يتعارض ويتناقض تماماً مع متون الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بخصوص الوحدة والجماعة في الإسلام، ونحن نرى أن الأهمية لا تكمن في التأكيد على مثل هذه الأحاديث أو موضوعات ذات صلة بها، بل إن الأهمية الكبرى تكمن في إيلاء الاهتمام الكامل بأمور ومواضيع تحفز وتشجع وتدعو إلى جمع شمل الأمة وتوحيد كلمتها وتقوية عودها، فقد آن الأوان للأمة كي تستفاد من دروس وعبر القرون الماضية وتستخلص منها الدروس والعبر التي تساعدها على تجاوز وتخطي التحديات المحدقة بها.

مصطلح الفرقة الناجية، مثلها مثل العديد من المفاهيم والمصطلحات التي تسللت للدين الإسلامي واتخذت مكاناً وموضعاً لها كي تقوم باستخدامها ضده، لكن ولئن انخدع الكثيرون بهذا المصطلح المتناقض والمتعارض مع الأفكار والمفاهيم الإسلامية ذات البعد والعمق الإنساني، فإن الخيرين والمؤمنين الصالحين من أبناء هذه الأمة قد وقفوا بوجه هذا المصطلح وغيره من المصطلحات التي لا تخدم الإسلام فقط وإنما تنال منه أيضاً، ولذلك فقد انبرى له المخلصون وشحذوا سيوف أفكارهم القاطعة لدحض هذا المصطلح الدخيل على الإسلام وإثبات عدم صحته، لكن وللأسف فإنه لا يزال هناك من يؤمن بهذا المصطلح وفي داخله قناعة بتكفير إخوانه في الإيمان، وهذا ما لا يتفق مع الأصول والمباني والأسس العامة التي بُني عليها الإسلام، وفي كل الأحوال، فإننا

نجد في مصطلح "الفرقة الناجية"، مصطلحاً شاذّاً لا يمكن أبداً اعتباره ضمن المصطلحات والمفاهيم الإسلامية لأنه وكما أسلفنا يتعارض ويتناقض مع المفاهيم والأفكار والرؤى القرآنية.

الخلاف والتجزأة والانقسام في الأمة الإسلامية:

قد يتصور البعض أن الحديث عن «**الوحدة الإسلامية**» في هذا العصر فيه نوع من المثالية وضرب من الخيال، نظراً لما آل إليه المسلمون من التفرق والاختلاف حتى أصبحوا طرائق قدداً، الأمر الذي يجعل من لمّ الشمل وإعادة اللحمة قضية عسيرة جدّاً.

وهذا في الحقيقة يدفع الكثير إلى اليأس والاستسلام للواقع المرّ، وهو لا يزيد الشقة إلا عمقاً والجرح إلا اتساعاً.

وفي المقابل هناك العديد من المخلصين الذين نذروا أنفسهم للتقريب بين المذاهب الإسلامية وسعوا جهدهم لردم الهوة المصطنعة وتضميد الجراح. هؤلاء انطلقوا في جهودهم تلك على أساس من الإحساس بالمسؤولية والشعور بالتكليف الشرعي والحرص على وحدة الصف.

وكل سعي في هذا المجال إذا أريد له النجاح فلا بدّ أن يقوم أوّلاً على دراسة وافية لعوامل التفرقة التي أدت بالمسلمين إلى ما هم عليه، وبعد ذلك التخطيط لإزالة تلك العوامل وتحصين المجتمع الإسلامي ضدها، واستبدالها بدواعي الاتحاد والألفة، ويمكن تقسيم تلك العوامل إلى قسمين:

القسم الأول: عوامل داخلية.

والقسم الثاني: عوامل خارجية.

أما العوامل الداخلية: فتتمثل في النوازع البشرية المختلفة من قبيل حب الرئاسة والتسلط وحب الذات ولو على حساب حقوق الآخرين مما يدفع إلى الظلم والجور، والإقبال على الدنيا بما يتجاوز الحدود الطبيعية، وهذه الأمور هي الأساس الذي يتولد عنه النزاع والضغائن والأحقاد، وربما جرّت إلى التعدي والطغيان وسفك الدماء وسحق الحريات، وما إلى ذلك من التجاوزات التي تفتت المجتمع وتشتت الأمة، كما أن الجهل يشكل عاملاً مهمّاً في بثّ الفرقة.

وهذا النوع من العوامل لا يخلو منه مجتمع بشري منذ بداية الخليقة وحتى الآن، ولعل من أهم أهداف الدين الإسلامي بل كافة الأديان السماوية معالجة هذه النزعات البشرية والقضاء عليها وذلك من خلال البرامج التربوية والقوانين الشرعية.

ونظام العبادات في الإسلام يهدف إلى هذه النقطة عندما يربي الإنسان على العبودية لله والطاعة المطلقة ويحرره من قيود الشهوات الحيوانية والنوازع النفسانية.

كما أن الدراسات الأخلاقية تتكفل بمعالجة هذا الجانب، ووظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقيقتها تشكل حالة من التكافل الاجتماعي للوقاية من تلك الأمراض، ونظام الحدود والتعزيرات أيضاً شرع لذلك الغرض.

وأما القسم الثاني: فهو عبارة عن العوامل الخارجية، ونقصد بها

العوامل الدخيلة على المجتمع الإسلامي، والتي تستهدف تجزئة هذا المجتمع، وتحطيم الأواصر، وبثّ الفرقة، وإثارة النزاعات والحروب لإضعاف المجتمع والسيطرة عليه، أو تشويه الإسلام والحيلولة دون انتشاره واتساع رقعته.

وقد يستفيد المخططون لهذه الأهداف من القسم الأول من العوامل ويعملون على تنميتها واستغلالها كأدوات فعالة لخدمة مآربهم، ونحن إنما فصلناها لأنها في نفسها تشكل أحياناً عوامل مستقلة وإن كانت أيضاً بالنسبة للقسم الثاني تشكل أرضية ملائمة لها وأدوات فعالة لخدمتها.

وبالطبع فإن أعداء الإسلام الذين يتربصون بنا الدوائر قد يستفيدون من الكثير من نقاط الضعف وينفذون إلى مخططاتهم من خلال العديد من الثغرات، ويستخدمون من الأدوات ما يتيسر لهم، وقد تختلف هذه الأدوات من زمان إلى زمان ومن مكان إلى آخر، وقد تصبغ الأدوات أحياناً بصبغة دينية، وأخرى بصبغة اقتصادية، وربما استخدمت وسائل محلية تخفى على الكثيرين ولا يدرك حقيقتها إلا ذوو البصائر.

وأشد الأدوات فتكاً تلك التي تعمل بوحي الأعداء دون أن تدري، بل ربما تصورت نفسها تخدم الدين وتحرص على مصالح المسلمين.

دور الخلافات الفكرية والمذهبية:

هنا رؤية مفادها أن الخلافات الفكرية والمذهبية على مستوى المعتقد وعلى مستوى المنهج الفقهي والأصولي تشكل عاملاً أساسيّاً من عوامل التشتت والافتراق، وسدّاً منيعاً أمام كل مساعي الوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية، ولأجل هذا كرّس أصحاب هذه الرؤية كل جهودهم في مجال معالجة هذه الخلافات، فراحوا يبحثون تارة عن نقاط الالتقاء وأخرى عن الطرق التي ربما توصل إلى تقريب وجهات النظر في مسائل الخلاف. ولعل البعض قد حقق نجاحاً ملموساً في هذا المضمار إلا أنه بقي محصوراً في حدود دائرة ضيقة، ولم تحل المشكل جذريّاً.

والحقيقة أن الاختلافات الفكرية لا تشكل عاملاً من عوامل الافتراق بقدر ما هي أداة تستخدم في إثارة النزاعات، وقد استخدمت بالفعل وجعلت أساساً لذلك.

إن الخلافات الفكرية بمنزلة اختلاف اللغة واختلاف القومية وأمثال ذلك، ليست في واقعها من عوامل الافتراق والنزاع، ولكنها تستغل من قبل دعاة التفرقة والتجزئة وتشكل أرضية خصبة لنشاطهم.

الخلافات الفكرية قد تكون في نفسها دليل حياة ودليل قوة شرط أن تكون وليدة حالة طبيعية وأن تبقى في حدود الدائرة الفكرية، فتعدد الآراء والنظريات من شأنه أن يثري الحركة الفكرية ويدفعها نحو التكامل والرشد. نعم هناك حالات من الخلاف الفكري تنشأ من التقليد الأعمى

والتعصب البغيض، فتولد حالة القصور الفكري والجمود، وهذه بلا شك من الأمراض التي تتطلب العلاج.

في الساحة الإسلامية هناك نوعان من الخلاف الفكري:

النوع الأول:

الخلاف بين المسلمين وغيرهم ممن لا يعتنقون الدين الإسلامي من الملاحدة أو أهل الكتاب، ولا شك أن هذه الدائرة من الخلاف ليست محل كلامنا، ولكنها يمكن أن تؤخذ نموذجاً لدراسة المنهج الذي رسمه الإسلام لنا في كيفية التعامل مع الخلافات الفكرية بشكل عام، وهذا النوع بشكل خاص.

ففي دائرة الخلاف مع الملحدين، لا يقطع الإسلام حبل الوصال معهم وإنما هو يخاطب عقولهم باعتبار أنه القدر المشترك بين كل البشر، ويتابع منهج الحوار الفكري ما دام ذلك ممكناً. إذ إن هدف الإسلام الأساسي هو الوصول بالناس **"كل الناس"** إلى الحق والارتباط بالحق ليس أكثر.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ (٧٢).

ولم ينكر الإسلام على الناس الشك في شيء إذا كان ذلك في طريق طلب الحقيقة وفي سبيل الوصول إلى اليقين وإنما أنكر على المشككين الذين يرفضون الحقيقة دون حجة ولا بينة، وإنما يدفعهم إلى ذلك حالة العناد والتقليد الأعمى.

هذا هو المنهج القرآني في طرح الحقيقة والدعوة إليها فهو تارة يدعوهم للتدبر في الآيات الكونية وأخرى يطلب منهم التأمل بأنفسهم وإعمال عقولهم وثالثة ينقض عليهم دعاواهم، وهكذا يرسم منهج الحوار مع الفكر ومخاطبة العقول.

ولا يلجأ إلى القوة والحسم إلا إذا مارسوا الطغيان ولجّوا في العناد وتنكروا للعقل والدليل، وهو مع ذلك يترك الباب مفتوحاً إذا ما استجابوا لنداء العقل وتخلوا عن العناد ورضوا بالحق.

ومن النوع الأول أيضاً الخلاف مع أهل الكتاب، لكن المسألة هنا تختلف من حيث سعة دائرة المشتركات، فهم يؤمنون بالله ويصدقون بالمعاد وبوجود الرسالات السماوية ـ بالجملة ـ، فالحوار معهم كان مبنيّاً على أساس المسلمات المشتركة.

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ (٧٣).

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ (٧٤).

وكذلك هنا لا يخرج عن دائرة الحوار الفكري ومخاطبة العقول

والاحتجاج بالمسلمات عندهم وإقامة الدليل والبرهان، إلا إذا أعرضوا عن هذا الأسلوب وأخذتهم العصبية ولجّوا في العناد، وهو مع ذلك يتدرج معهم في المقارعة والنزاع.

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ (٧٥).

فإذا تجاوزوا ذلك. وقد تجاوزوه بالفعل، وأخذوا يتآمرون على الإسلام والمسلمين. كان لا بدّ من الانتقال إلى ساحة الصراع العسكري واستعمال القوة.

النوع الثاني: الخلاف الفكري بين المسلمين أنفسهم.

هناك أصول مشتركة بين جميع المسلمين وهي الإيمان بالله وتوحيده والإيمان بنبوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وبالقرآن الكريم كتاب الله المنزل وبالمعاد «يوم القيامة».

ولا يشك أحد من المسلمين بأن القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة هما المصدران الرئيسان لمعرفة أحكام الشريعة والمعارف الإسلامية، ومع ذلك فهناك الكثير من الخلافات ترجع كلها إلى كيفية فهم الكتاب والسُّنة أحياناً، وإلى الطرق التي تثبت بها السُّنة النبوية الشريفة أحياناً أخرى.

فهي خلافات لا تمسّ الأصول الأساسية للشريعة، وإنما هي خلافات فكرية داخل إطار تلك الأصول تمليها طبيعة تعدد الأنظار والآراء وتفاوت درجات الإدراك والفهم. وهو بالتالي أمر لا بدّ منه في الجملة.

ومن المسلم أن هناك بعض الظروف التي قد تلعب دوراً في تعميق هذه الخلافات وتطويرها، فتخلق الأرضية المناسبة لاستغلالها من قبل أعداء الإسلام، وهذه الظروف كما يلي:

١- التأثر بالأجواء الاجتماعية الموروثة أو الدخيلة على المجتمع الإسلامي والتي تطبع الفكر بطابع خاص وتجعله أسيراً لنهج فكري معين يقوده إلى الوقوع في انحرافات أو سلوك اتجاه قد لا يصيب الحقيقة.

٢- التأثر بذوي النفوذ السياسي أو المكانة الاجتماعية الذي يجرّ عادة

إلى اتباع منهجهم الفكري والابتعاد عن المناهج الأخرى، وبالتالي يتحول ذلك إلى مذهب خاص له مؤيدوه والمدافعون عنه.

٣- الميول والمصالح السياسية والاقتصادية التي لها تأثيرها الكبير في تبني نوع خاص من الرؤية بما يتناسب مع تلك الميول. وقد تدفع أحياناً إلى تشجيع الوضاعين والدساسين الذين يتاجرون بالدين لمآرب شخصية، فيقومون بوضع الحديث، أو اختلاق تفسير وتأويل خاص يخدم تلك المصالح، فيؤدي إلى اختلاط الحق على الناس، وينشأ عنه تعدد في النظرات والآراء وربما أدى إلى ولادة فرقة أو مذهب.

٤- من أسباب تعميق الخلاف، الحركات السرية للمنافقين وغيرهم من الذين يهدفون إلى زعزعة أركان الدين الإسلامي وتشويه حقائقه، وذلك عبر أساليب كثيرة، كإثارة الشبهات والتشكيكات، وإدخال بعض الأفكار الغريبة بطريق وآخر، وربما مارسوا عملية الوضع أيضاً بالاتجاه الذي يخدم أهواءهم. وهذا النمط من العوامل أوجد هذه الكمية من الإسرائيليات التي ابتلي بها الحديث عندنا.

٥- والأهم من كل هذه الأمور، الدور الذي يلعبه أعداء الإسلام، باستغلال هذه العوامل والاستفادة منها في إثارة النزاعات وبذر الشقاق، وبثّ العداوات. وقد شهد القرن الأخير تصعيداً في هذا النشاط وحقق المستعمرون أغراضهم ومآربهم، عندما عمدوا إلى تقسيم العالم الإسلامي على أساس القوميات واختلاف اللغات والأقاليم، وأثيرت الحروب بين

المسلمين لأغراض لا تخدم إلا الاستعمار، وقد هزم المسلمون يوم تناسوا المشتركات بينهم والمصالح العامة، وتخلوا عن أسس وحدتهم وحبل اعتصامهم الذي يجمعهم ويؤلف بينهم وقدموا الانتساب إلى القومية وإلى الإقليم وإلى اللغة على الانتساب إلى الدين، على خلاف تعاليم الكتاب العزيز وسيرة الرسول الكريم ﷺ.

ولقد استطاع المستعمرون أن يصنعوا من الوطن الإسلامي الكبير كيانات صغيرة متعددة فاقدة لمقومات القوة والحياة والاستمرار، وحرصوا أشد الحرص على إضعافها وخلق المعضلات السياسية والاقتصادية لها لكي تبقى أسيرة الحاجة وفريسة الصراعات، ليتسنى لهم التحكم بمصائر شعوبها والسيطرة على ثرواتها ومقدراتها.

العالم الإسلامي اليوم وبفعل أولئك المستعمرين بات يشكل بؤرة الفقر والفاقة وميدان الصراعات المعقدة، بينما تدار عجلة الصناعة في الغرب بوقوده وزيته، وتقوم الماكنة الاقتصادية على خيراته وكنوزه المودعة فيه.

لم يعد أولئك المستعمرون اليوم بحاجة لإرسال قواتهم والمخاطرة بجيوشهم لقمع حركات التحرر، وتأديب من يفكر بالتمرد، أو يهدد مصالحهم الخاصة، فهم يمسكون بقيادة الجيوش في أكثر البلاد الإسلامية، ويتحكمون بالدفة السياسية فيها، فعملاؤهم يكفونهم المؤونة ويؤدون المطلوب على أفضل وجه.

ولسنا بحاجة إلى شواهد لإثبات ذلك وفي كل يوم لنا شاهد، وفي كل لحظة لنا دليل.

عوامل أم أدوات:

إن تعدد الآراء واختلاف وجهات النظر بين العلماء والمفكرين لا تشكل حالة مرضية وإنما هي دليل حياة، دليل قوة حركة العقل والفكر، والمؤسف أن الكثير من الناس يعتقد أن اختلاف وجهات النظر هو السبب الكامن وراء الفرقة والتشتت، فتراهم يشعرون بالجزع والأسى إذا اختلف الفقهاء في الفتوى مثلاً، أو تباينت الآراء في مسألة معينة، وقد غفلوا عن حقيقة مفادها أن إلغاء مثل هذه الاختلافات لا يتم إلا إذا عطل الفكر عند البشر ومنع العقل من ممارسة نشاطه.

نعم.. إن اختلاف وجهات النظر ثغرة قد يستغلها الأعداء وزارعو الفتن، فيتخذون منها ذريعة لبث الفرقة والنزاع والخصومة. ولأجل هذا يفترض بالمسلمين أن ينتبهوا إلى هذه الحقيقة ويتعاملوا مع الاختلافات الفكرية على أنها ظاهرة صحية، وأنها حالة طبيعية، ومن ثم يحصرونها في إطار البحث العلمي، ولا يسمحون لها بالتعدي والتجاوز لتصبح أدوات فتك وأسلحة دمار.

ولعل أوضح دليل على ما نقول، ما نجده من اختلاف الآراء بين علماء الفريق الواحد الذي قد يبلغ مقداراً لا يقل عن اختلاف الآراء بين الفرق المتعددة، ومع ذلك لا يؤدي في الحالة الأولى إلى الخصومة والنزاع، بينما في الحالة الثانية يشكل مادة لذلك، والسبب يكمن في طبيعة التعاطي مع تلك الاختلافات واستغلالها تارة في النزاع والخصومة وعدم استغلالها

في أخرى.

فاختلاف الآراء ليس عاملاً من عوامل الفرقة والتشتت بمقدار ما هو أداة تستغل فيها. مثله مثل السلاح الذي يدخر لحالات النزاع والحرب، فقرار الحرب لا يتولد عن وجود السلاح وإنما يتخذ لتوفر عوامل أخرى تؤدي إلى إشعال ناره، فإذا اتخذ قرار الحرب لجأ كل فريق إلى أسلحته ليفتك بالآخر.

وما نشاهده اليوم عندما تشهر المسائل الخلافية في النزاعات المذهبية فهو من هذا القبيل.

فلا بدّ إذن أن نميز بين عوامل الافتراق والتشتت وبين الأدوات التي تستخدم فيه. وبالتالي يفترض أن ينطلق العلاج على أساس القضاء على العوامل وصيانة الأدوات من الأعداء وعدم السماح لهم باستغلالها.

خطوات عملية في طريق الوحدة:

من خلال الاستعراض المتقدم يمكن أن نخلص إلى وضع برنامج توحيدي يتمثل بخطوات:

أوّلاً: ليس من الضروري أبداً تركيز الجهود التقريبية على أساس تقريب وجهات النظر، وتعليق كل الآمال على النجاح في هذا الجانب، وإن كان تقريب وجهات النظر والتقليل من الخلافات الفكرية في نفسه مطلوباً.

ثانياً: الإسلام واحد والحقيقة واحدة، والاختلافات ناتجة من اختلاف النظر وطريقة الفهم، فهي وليدة قصور الفكر البشري، وأثر الحوار الفكري في الأجواء الطبيعية كبير جدّاً في تكامل ذلك الفكر واقترابه من الحقيقة، فالمفترض أن يحرص الجميع على توفير الأجواء الملائمة والظروف الصحية للحوارات الفكرية وتشجيعها ورعايتها.

ثالثاً: الخطوات العملية على طريق وحدة المسلمين لا تنتظر نتائج الحوارات الفكرية ولا تتوقف عليها، بل تنطلق على قاعدة المشتركات التي وحّدنا الإسلام على أساسها، وهي شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

فمن قالها حقن دمه وعصم ماله، وصار له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، وهذه أهم قاعدة توحيدية.

رابعاً: قراءة كل فريق لغيره من الفرقاء لا بدّ أن تكون بعين الباحث

عن الحقيقة والواقع، لا بعين الباحث عن العيوب والثغرات، وتقصّي العثرات، فإن الكثير من الأقلام التي تصدت لدراسة الفرق والمذاهب، لم تتجرد عن عصبياتها وعدائها المسبق للفرق الأخرى، فساهمت تلك الكتابات بتعميق الجراحات وتشويه الصور.

في هذا المجال أحب أن أشير إلى أن القراءة الصحيحة للمذاهب والفرق هي التي تعتمد على ما كتبه أصحاب تلك المذاهب وعلماء تلك الفرق، يجب الرجوع إلى أهل الآراء لمعرفة آرائهم، فهم أقدر على عرضها وأدق في تصويرها، وتصوير أدلتها.

أما إذا رجع الباحث في دراسته لفرقة من الفرق ولمذهب من المذاهب إلى مخالفيهم فلن يحصل على نتائج دقيقة ولن يرى تمام الحقيقة ولن يقف على تفصيل معتقداتهم وآرائهم. والمؤسف أن هذا يحدث كثيراً بيننا والبعض منا يبني نظراته تجاه الآخرين على ذلك.

قد تسمع بحادثة بسيطة وشجار مختصر بين اثنين من أصحابك، وتكون في ذهنك صورة من خلال ما سمعت، لكنك ستفاجأ إذا استمعت إلى ذوي العلاقة لمقدار الاختلاف بين الواقع والنقل، هذا مع اتحاد الواسطة فكيف إذا تعددت، وكيف إذا رافق ذلك سوء ظن وعصبية وما شابه.

فنحن ندعو الباحثين إلى التجرد، والتحلي بالإنصاف، وأخذ معلوماتهم من المنابع الصافية والمصادر المباشرة.

وهناك نقاط أخرى تجدر الإشارة إليها، تتعلق بكيفية دراسة فكر الآخرين والتعرف إلى آرائهم:

الأولى: التفريق بين الرواية والرأي، فإن وجود رواية في كتب قوم لا يدل أبداً على أنهم يفتنون بمضمونها أو يعتقدون صحتها ويعملون بها، فكثيراً ما نراهم يثبتون النصوص في مصادرهم ويتركون أمر دراستها إلى مجال آخر أو إلى أهل الفن، فربما ناقشوا سندها أو متنها، وربما كانت معارضة بغيرها، وربما كانت تخالف الكتاب أو السُّنة القطعية مما يقتضي طرحها. والنتيجة أنه لا تلازم بين الرواية والاعتقاد.

الثانية: رأي أحد العلماء لا يمثل أبداً رأي الطائفة أو المذهب، وإن كان منتسباً إليهما. فكثيراً ما ينفرد شخص برأي خاص في مسألة من المسائل أو فرع من الفروع بينما يكون رأي الطائفة على خلافه، فلا يصح تحميل الطائفة ذلك الرأي. وهذا الخطأ قد وقع فيه بعض الباحثين، فوجهوا انتقاداتهم للطائفة بناء على ذلك القول الشاذ.

ولمعرفة رأي طائفة معينة في مسألة من المسائل لا بدّ من ملاحظة ما يجمعون عليه أو ما يكون مشهوراً بينهم يذهب إليه أغلب علمائهم ومفكريهم، ولا ينظر إلى الشاذ.

الثالثة: يفترض بالباحث أن يعتمد الأسلوب العلمي بالبحث، وأن يتجنب المغالطات، والدخول في النزاعات المبنائية، ونقصد بها المسائل الخلافية التي يرجع الخلاف فيها إلى الاختلاف على المبنى العلمي

المعتمد، فمثلاً قد يكون هناك قاعدة أصولية مقبولة عند شخص وغير مقبولة عند آخر، أو رواية تصح بحسب قواعد هذا الفريق ولا تصح على قواعد ذاك الفريق، فلا بدّ من حصر البحث في القاعدة المختلف فيها وسوق الأدلة لإثبات أو نفي ذلك المبنى، دون الدخول في الفروع المرتبة التي ستكون بطبعها تابعة للمباني.

وأخيراً فإنه ليس من الضروري أبداً نقل الخلافات إلى دائرة أوسع والالتزام بما لا يلزم، وترتيب آثار العداء تجاه من نختلف معهم إذا لم نوفق من خلال الحوار للوصول إلى وفاق في الرأي واتفاق في النظر.

وبعبارة أخرى لا بدّ من حصر الخلافات الفكرية في دائرتها وعدم السماح لأعدائنا باستغلالها والاستفادة منها، وعندئذ لن يكون هناك أيّ محذور من فتح الحوارات وتشكيل الندوات لتدارس نقاط الخلاف، ولا بدّ من تناسي الخلافات المذهبية وكتمانها فيما لو ظهر من أعداء الإسلام أيّ تحرك للعب على وترها.

ومن الخطوات العملية في مجال التقريب ولمّ الشمل إزالة الحاجز النفسي المصطنع الذي وضعه أعداؤنا بين أتباع الفرق والمذاهب المختلفة، وهذا الأمر له أهمية كبرى للوصول إلى الصورة الحقيقية والرؤية الصحيحة لبعضنا البعض. فإن البعد والجفاء يترك أسوأ الأثر على النفوس ويزرع الضغائن والأحقاد، وبالتالي يمهد الطريق لمثيري الفتن والنزاعات.

فنحن ندعو المجاميع العلمية والحوزات والمعاهد عند المذاهب

الإسلامية كافة أن تنفتح على بعضها، وتضع حداً لهذا الانغلاق على النفس، نحن ندعو علماء المذاهب والفرق الإسلامية لزيادة حوزاتنا العلمية ومعاهدنا وحضور الندوات والمباحثات العلمية، لا نقصد الزيارات الرسمية وذات الطابع الشكلي، وإنما نعني الزيارات الاستطلاعية العلمية المفتوحة، وبالمقابل نأمل أن يقوم علماء ومفكرو الشيعة بزيارات مماثلة باتجاه المذاهب الأخرى.

الجامعات والمؤسسات العلمية بإمكانها أيضاً أن تؤدي دوراً فعالاً في هذا المجال وذلك بافتتاح أقسام خاصة لدراسة المذاهب الإسلامية شرط أن يعهد إلى أساتذة كفوئين من كل مذهب إسلامي لتدريس مذهبهم.

لماذا يضع كل فريق سدّاً فولاذيّاً أمام النتاجات الكفرية للفريق الآخر، ولا تدرس إلا بخلفية البحث عن العيوب والثغرات إذا كنا نريد الحفاظ على نقاوة الفكر وصفائه فلا بدّ من إطلاق عنانه وإعطائه حريته.

لا يفوتنا أن نسجل أسفنا لما يعانيه الكتاب الشيعي في العديد من البلاد الإسلامية من حصار وحظر. فإن البعض يضع الكتاب الشيعي في لائحة الكتب الممنوعة، ويتعامل معها أسوأ مما يتعامل مع كتب الكفر والضلال، ومن الواضح جدّاً أن الانفتاح المذهبي على البعض والتقليل من الحزازات والحساسيات المتوارثة عبر قرون والتي كانت دائماً تساهم في زيادة الطين بلة، قد يكون واحداً من المعالجات المفيدة جدّاً نحو الدفع باتجاه فهم أكبر وأدق للآخر.

لِمَ يمنع الملايين من المسلمين المثقفين من الاطلاع على واقع المذاهب الأَخرى بينما يباح لهم قراءة المطبوعات المشحونة بالكفر والانحراف والفساد الأخلاقي؟.

لِمَ يسمح للإعلام الغربي المعادي للإسلام بالدخول إلى كل بيت ومَكتب ومدرسة من بلادنا الإسلامية، ولا يسمح للإعلام الإسلامي أن يأخذ مكانه؟.

إنه الواقع الأليم الذي نعيشه في العديد من البلاد.

منطلق الاتحاد أو الاتحاد في دائرة الحق:

لا شك أن الاتحاد عامل قوة، وكل مسلم في أعماقه رغبة شديدة وشوق كبير لرؤية الإسلام يشمخ علوّاً، وترف رايته على كل رابية، كل مسلم يحب أن يرى العالم الإسلامي قويّاً عزيزاً منيعاً، والإسلام عندما يدعو للالتزام بالجماعة وإصلاح ذات البين وينهى عن الفرقة والتشتت يريد بذلك التمحور حول الدين وحول الحق، وإلا فإن الاتفاق على كلمة الفكر والالتزام بالجماعة وإن كانت على باطل مما لا يمكن أن يدعو إليه الدين ولا يحبه الله.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**جماعة أمتي أهل الحق وإن قلّوا**». (٧٦).

وعنه ﷺ أيضاً: «**إن القليل من المؤمنين كثير**». (٧٧) .

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**الجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً**». (٧٨).

فالكثرة بما هي كثرة ليست غاية في نظر الإسلام وإنما المطلوب هو التزام سبيل الله والاجتماع على هذا السبيل والاتفاق عليه، لا مجرد الاتفاق والاجتماع كيفما كان وكيفما اتفق، وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم مراد الرسول ﷺ من الجماعة في الأحاديث المروية عنه في النهي عن مفارقة الجماعة، فإنه ليس المقصود مطلق الجماعة ولو كانوا جماعة

الباطل وأعداء الدين، ولذا كان التعبير الوارد فى بعض النصوص «جماعة المسلمين». فالحق هو الملاك، والإسلام هو الغاية، والاجتماع عليه يكسبه قوة ومنعة ويحقق أهدافه.

الوحدة والدعوة والتبليغ للمذهب

كل فرد منا يحمل قناعات ويبتني آراء، ويحب أن يعرض هذه القناعات والآراء على الآخرين إما باعتبار أنها من نتاجات فكره أو لأنها هي الحق والصواب بنظره، وإذا توسعنا قليلاً نجد أن أصحاب المدارس الفكرية كذلك يحبون عرض مدرستهم ودعمها بالأدلة والبراهين والدفاع عنها، وكذلك الأمر على مستوى المذاهب والفرق الكبيرة، فقد يتوهم البعض أن التبليغ والدعوة لمذهب معين ينافي الوحدة والاجتماع ويؤدي إلى الفرقة والخلاف.

والحقيقة أن التبليغ والدعوة بحد ذاتهما لا يؤديان إلى ذلك ما لم يرافقهما حالة من التعصب، وحالة من الجمود الفكري.

وقد قيل إن: «**الصراع الفكري دليل صحة ودليل يقظة ما لم يؤدِّ إلى انشقاق في صفوف الأمة ومواجهة عدائية**»، (٧٩) وهذا مما لا يحصل عادة في الأطر الصحيحة لعرض الأفكار والآراء وفي أجواء الحوار الفكري الخالص من شوائب الحقد والتعصب.

وهل يمكن لأمة أن تبلغ رشدها الفكري إذا أوصدت باب حرية الفكر وسدت منافذ الحوار وجمدت الطاقات المخزونة في العقول البشرية؟

والفرق كبير بين الاقتناع بالفكرة وتبني الرأي وبين التعصب لهما، بين قبول العقيدة لأن الدليل ساقه إليها وبين التقليد الأعمى، بين الحوار من

أجل الوصول إلى الصواب وبين الجدال بهدف إفحام الآخرين وتبكيتهم وإسقاطهم.

والنتيجة أنّا لا نرى أن من الشروط العملية للوحدة منع أرباب الفرق والمذاهب من الدعوة والتبليغ، بل ندعو لنبذ العصبية، والتجرد عن النظرة العدائية تجاه بعضنا البعض، ثم ليعرض كل إنسان فكره وعقيدته، وليكن ميزان العقل هو الأساس في قبول ذلك أو ردّه.

لقد اتبع هذا الأسلوب أكبر العلماء من مختلف المذاهب، لم يحل الاختلاف الفكري دون اجتماعهم وتحاورهم وأخذ بعضهم عن بعض. وإذا كان الاجتهاد قد قاد بعضهم إلى رأي، فإنه قد ساق الآخرين إلى رأي آخر، وما دام الدليل هو المحكم فالأمر في إطاره الصحيح وطريقه السليم، نعم عندما يحاول أحد أن يفرض رأيه فرضاً، ويقبل الدليل والبرهان إذا كان يؤيد فكرته ويرفضها إذا لم يكونا كذلك فعندئذٍ يمكن أن يقال إن هذا النحو من الصراع. الذي قد يسمّى فكريّاً وليس كذلك. أول الطريق نحو التشتت والفرقة. وليس إعلان الرأي والدعوة إليه هو السبب في ذلك، وإنما المشكلة أولئك الذين لا يتحملون الحوار الفكري القائم على القواعد الاستدلالية، ويتأذون ممن لا يقبل آراءهم أو ينقدها.

إن زرع وتنمية روح الإخوة وتقبل الحقيقة وغسل القلوب مرحلة متقدمة رتبة على الحوارات الفكرية، بل هي أرضية لا بدّ منها لإنجاحها

وتحقيق مآربها، وإلا كانت الحوارات ساحة لإشعال نار النزاعات وتغذية الصراعات.

إن دعاة التفرقة مرجفون. حسب تعبير الشيخ شلتوت. يتربصون بنا الدوائر ولا يعجبهم أن يروا المسلمين يداً واحدة على أعدائهم، وصفّاً واحداً في مواجهتهم.

إذا كان «**إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم**»، (٨٠) فلأن فيه حفظ الإسلام وقوته وتماسك أهله، ولأجله قال ﷺ في تتمة الحديث:

«**وإن المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» (٨١).

وبطبيعة الحال، فإن الدعوة والتبليغ للمذهب أمر لا يتعارض مع الروح البحثية الاستقصائية للإسلام وليس هناك من تثريب بصدده، لكن المشكلة تبدأ عندما تأخذ قضية الدعوة والتبليغ سياقاً تلميحيّاً إيحائيّاً يستشفّ منه عرض حقيقة أو التوصل إلى حقيقة على حساب دحض وتفنيد مذهب آخر، أو عندما يغلب على التبليغ والدعوة المذهبية طابع انطوائيّ يعتبر نفسه الأساس والأصل والبقية مجرد هوامش وحواشٍ وما إليه. مشكلة التبليغ المذهبي يتعاظم تأثيرها سلباً كلما أخذت طابع الهمز واللمز والطعن الضمني وما شابه، وهنا، نودّ أن نلفت الأنظار إلى حقائق بالغة الأهمية يجب أخذها بنظر الاعتبار وعلى محمل الجد عند

تناول التبليغ والدعوة للمذهب، وهي:

. الشعوب العربية والإسلامية لا زالت تعاني من أزمة الوعي الديمقراطي وفكرة تقبل الآخر، إذ إنها تفهم الديمقراطية على أنها تقبل أفكارها وطروحاتها من جانب الآخرين وليس العكس.

. المذهبية بخطها السلبي تكاد أن تطغى على الخط الأصيل للإسلام، بمعنى أننا يجب أن نبحث عن الإسلام من خلال المذهب في حين إن العكس هو الصحيح، ومن المهم جدّاً أن يكون هناك اتجاه عند التبليغ للمذاهب بمنح حيز واضح ملفت للنظر للإسلام ذاته من دون حشره في الإطار المذهبي.

. التفاضل بين الانتماء المذهبي والقومي وما إليه والسعي لإسقاط أحدهما على حساب الآخر، وإننا نرى من الضروري جدّاً أن يكون هناك فهم كامل بأن الله عندما خلق كل إنسان من جنس وعنصر معين فإنه لم ولن يطلب منه التخلي عن ذلك أو إلغائه، ذلك أنه وكما جاء في الآية ١٣ من سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾، فتقوى الله لا تعني إلغاء القومية أو القبيلة وإنما تجاوز حالة التعصب والانغلاق وتقبل المنتمي لقومية أو قبيلة أخرى والانفتاح عليه، وبدلاً من قول أحدنا أنا مسلم من المذهب الفلاني، فإن من الأفضل القول على سبيل المثال، أنا مسلم ببعد عربي وسُني.

. لا يكون من المناسب والملائم أبداً التبليغ المذهبي بأسلوب يوحي بأن هذا المذهب هو الأصح والأجدر بمعنى، لا نعود إلى قضية (الفرقة الناجية)، وإنما يجب التركيز على أن هذا المذهب يسعى لإغناء الفكر الإسلامي وليس حصره وحشره في إطاره كما يجري حاليّاً بصورة أو بأخرى.

. يجب التبليغ للمذهب على أساس ووفق سياق أنه**"أي المذهب"**، يسعى للتأكيد على أنه يمثل جزءاً من الإسلام وليس كله، أي إنه يطرح فهماً محدداً للإسلام من زاوية فهمه واستيعابه للمباني الشرعية.

. من المفضل بل والمستحب وبصورة مؤكدة عند التبليغ للمذهب الاستشهاد بأقوال وأمور وأحداث تأريخية وحتى معاصرة للمذهب أو للمذاهب الأخرى، بصورة توحي بأن المذاهب تكمل وتسند بعضها بعضاً وليس العكس.

. لا بدّ أن يسعى المذهب في حالة التبليغ إلى أن يسلك نهجاً انفتاحيّاً. اعتداليّاً يعطي فهماً بتقبله للمذاهب الأخرى وسعيه للتواصل معها.

. التبليغ المذهبي يجب أن يشدد على أن المذهب لا يعتبر بأيّ حال من الأحوال بديلاً للإسلام وإنما وكما قلنا يطرح فهماً ورؤية فكرية عنه من زاوية فهمه.

. عند التبليغ المذهبي، يجب تلافي وتجنب طرح النقاط والمسائل موضع

الخلاف بأسلوب يثير الآخر خصوصاً عندما يتم طرح الفهم والرؤية لتلك النقاط والمسائل من زاويته الخاصة، بل الأفضل والمستحسن أن يتم طرح رؤى وفهم المذاهب الأخرى، وهنا أجد من المفيد الاستشهاد بالأسلوب العلمي الراقي والجامع للعلامة محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان، حيث إنه وعندما يتصدى لتفسير الآية فإنه يطرح الرؤى المختلفة بشأنها، وبعد ذلك يطرح رؤيته، كما أنه من المفيد أيضاً الاستفادة من الأسلوب العلمي الاستقصائي لابن أبي الحديد في **"شرح النهج"**.

وخلاصة وزبدة القول، إن التوجه نحو الوحدة الإسلامية يتطلب تهيئة الأرضية المناسبة والملائمة لها بما يتفق مع الأصل، أي المباني الأصلية والأساسية للدين الإسلامي والتي بُني عليها من الأساس مع ملاحظة بالغة الأهمية وهي أننا يجب أن نتخذ من المبادئ والأسس والمعايير المطروحة وقتئذٍ إلى جانب القضايا والمسائل والمواقف التأريخية من فترة حياة الرسول الأكرم ﷺ وخلفائه الراشدين الأربعة "رضي الله عنهم"، إذ من المهم جدّاً على سبيل المثال لا الحصر، أن لا نمنح جل الاهتمام للخلافات التي دارت بعد مبايعة أبي بكر الصديق"رضي الله عنه"، وما دار وجرى بشأن موقف الإمام عليّ بن أبي طالب تحديداً، وإنما يجب أن نمنح الاهتمام الأكبر والحاسم لإقرار الإمام عليّ بن أبي طالب بالبيعة للخليفة الأول للرسول ﷺ، ذلك أن بيعته لم تكن بيعة مسايسة أو مداهنة أو أيّ أمر من هذا القبيل وحاشاه من ذلك، فهو قد جعل مصلحة الإسلام ووحدة صف المسلمين فوق كل اعتبار آخر، وهذه

هي الروح النابضة والدفاقة للجنوح للوحدة، والتفكير والأسلوب المنطقي في التعامل مع الأمور بعد أن تتشابك، والمطلوب منا شيعة وسنة أن نجعل من بيعة الإمام عليّ للخليفة الراشدي الأول، المعيار الأساسي الذي نهتدي به في هذا العصر وبشكل خاص وترك الأمور والمسائل الأخرى المرتبطة بالمسائل الفكرية والاجتهادات الفقهية والتنظيرات المختلفة بل وحتى بعض من الحوادث التأريخية التي تتضاءل قيمتها وأهميتها أمام بيعة الإمام عليّ للخليفة الأول، خصوصاً وأن كل مسلم يعلم علم اليقين بأن الإمام عليّاً عندما بايع أبا بكر فإنه بايعه عن إيمان ويقين وليس عن توجس وريبة وتقية كما قد يحلو للبعض طرحه أو حمله على هكذا محمل الإمام عليّ بريء منه براءة الذئب من دم يوسف.

الوحدة الإنسانية كما دعا إليها الإسلام:

لا خلاف في أن وحدة الأسرة الإنسانية، والقضاء على عوامل التشرذم والتفرق فيها من أهم الأهداف التي جاء الإسلام لتحقيقها، على صعيد الحياة الدنيوية هذه.

ولعل من أبرز ما يجسد هذا الهدف ويؤكده، كلمة "الحبل" التي عبر بها القرآن عن الإسلام، ثم أمره الناس جميعاً بالاعتصام بهذا الحبل الذي يمنعهم من التفرق بمقدار ما يمنعهم في الوقت ذاته من الضياع والهلاك، وذلك في قوله عز وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾.

والقرآن مليء بعد ذلك بالآيات التي تنهى عن التفرق والشقاق، وتوصي بالوحدة والاتفاق وتهيب بالناس، كل الناس، أن لا يكونوا كالجماعات والأقوام الذين خلوا من قبلهم، إذ أعرضوا عن السبيل العريض الذي يوحدهم ويجمع شملهم، واستعاضوا عنه بسبل متعرجة شتى، تفرقوا في متاهاتها، حيث أسلمتهم بدورها إلى أودية الضياع. إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾، كما يقول عز وجل أيضاً: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

ولكن ما هو المعنى المحدد للوحدة التي جاء الإسلام لتحقيقها ثم لحمايتها؟

إن من المهم جدّاً أن نطرح هذا السؤال، ولعل من أهم ما يحوجنا إلى طرحه، أن الناس كانوا، ولا يزالون، على الرغم من الحقيقة الإنسانية الواحدة الجامعة لهم، مختلفين في كثير من مشاربهم وعاداتهم، وأساليب تعاملهم مع الحياة ومرافقها، بل كانوا، ولا يزالون مختلفين في لغاتهم وألوانهم وانتماءاتهم العرقية والقومية.

من أجل هذا، كان لا بدّ من أن نتبين الحجم المحدد المطلوب لهذه الوحدة التي جاء الإسلام لإقامتها، ثم لحمايتها وتغذيتها، بحيث تدرك أن الخطب فيما وراء هذا الحجم يسير، وأن الوحدة إذا تمّ نسيجها داخل حدود هذا الحجم، عاد الاختلاف فيما وراء ذلك صوراً من التعدد الهامشي لا ضرر فيها ولا خطر منها.

إن الوحدة المطلوبة هنا، هي وحدة الرؤية العقلية إلى الكون والإنسان والحياة، بحيث يصدر الناس جميعاً من عقيدة واحدة بحقيقة الإنسان والحياة التي يتمتع بها، وبالمكونات التي من حوله، وليس المعنيّ بحبل الله في الآية السابق ذكرها إلا هذه العقيدة العقلية الشاملة، أما إضافة الحبل هو الله عز وجل، بل لا يملك أحد غير الله عز وجل الذي تفرد بخلق كل شيء، أن يعرفنا بها، ويبصرنا بهويتها.

ومن المعلوم أن الناس إن صدروا عن عقيدة واحدة في فهم هذه العناصر الثلاثة الجامعة لمعنى الكون، لا بدّ أن يتفقوا على أصول واحدة في التعامل مع الكون على أساسها، وهذه هي التي تشكل بدورها نسيج

وحدتهم وتضامنهم.

ولا شك أن من هذه الأصول الأخوة الإنسانية، وعبودية الإنسان لله ووحدة المبدأ والمصير في حياة الإنسان.

فإذا اجتمع شمل الأسرة الإنسانية تحت مظلة هذه الأصول، فمن حق أفرادها، بل من مقتضيات الفطرة في حياتهم أن تتلون منهم الخبرات والعادات وأساليب الحياة تماماً كما تتفاوت منهم القدرات، وتتعدد الألوان، وتتنوع اللغات.

ولولا هذا التلون والتعدد لما وجدت فيهم عوامل التساند والتعاون التي هي بدورها الغذاء الذي لا بدّ منه لتنمية واقع الوحدة والتآلف والتضامن.

ومن هنا ندرك أن كثيراً من مظاهر الاختلاف والتعددية في حياة المجتمع الإنساني إن هو إلا روافد وعوامل أساسية لتعميق معنى الوحدة والتضامن بين أفراده.

ونحن في خضم طرح رؤانا بخصوص **"فقه الوحدة الإسلامية"**، فإننا نتساءل: ترى هل تعد المذاهب الفقهية التي نراها اليوم في المجتمعات الإسلامية، واحدة من هذه المظاهر التي تغذي في الحقيقة والمآل نسيج الوحدة الإسلامية، في حياة المسلمين؟

ولكي يأتي الجواب مدروساً ومدعوماً بالمنطق، يجب أن نعلم أوّلاً معنى

المذاهب الفقهية، وعوامل نشأتها، ومن ثم تاريخ نشأة هذه المذاهب.

وهناك ثلاث نقاط محددة من أجل التمهيد للإجابة عن هذا السؤال.

معنى المذاهب الفقهية:

المذاهب الفقهية، حصيلة اختلاف الفقهاء في مسائل اجتهادية غير قاطعة الثبوت أو الدلالة، في نطاق الأحكام السلوكية.

وهذا يعني أن في مصدري الكتاب والسُّنة، ما هو غير واضح الدلالة على المعنى المطلوب، بل يحمل في طيّه أكثر من احتمال واحد. كما أن في السُّنة ما هو غير قطعي الثبوت، بل تطوف به احتمالات الصحة والحسن والضعف.

ثم إن هذا التعريف يوضح أن هذه الخلافات الفقهية التي هي مادة المذاهب الفقهية لا علاقة لها، من قريب أو بعيد، بالأصول الاعتقادية المتعلقة بحقيقة الكون والإنسان والحياة، أو بما يتفرع عن معرفة هذه الحقائق الثلاث، من سلسلة المعتقدات الإسلامية التي يتكون من مجموعها معنى الإيمان والإسلام.

نعم، إن لها علاقة بهذه الأصول الاعتقادية، ولكنها لا تزيد على أن تكون تحقيقاً لمناطاتها، واستظهاراً لكيفية تطبيقاتها.

وبيان ذلك أن اليقين بوجوب الخضوع للشريعة الإسلامية من أصول المعتقدات الدينية التي لا خلاف فيها. أما تحديد الشريعة وإبرازها من خلال نصوصها ومسائلها الجزئية، فهو الفقه الذي قد يتسرب إلى بعض مسائله عوامل الخلاف والاحتمال...

وعلى سبيل المثال: إن اليقين بوجوب تجنب البدع واحد من أصول المعتقدات الدينية التي لا خلاف فيها، أما تحديد الجزئيات التي ينطبق أو لا ينطبق عليها حد البدعة، فداخل في تحقيق المناط، ومن ثم ففيها ما قد يكون انطباق معنى البدعة عليه فيه شيء من الارتياب والاحتمال.

ولكن، لماذا كان في النصوص الفقهية في القرآن والسُّنة، ما قد يحمل أكثر من دلالة واحدة، ومن ثم كان فيه مجال واسع للاجتهاد والاختلاف.

الحكمة من ذلك أن يأتي مجموع الشرائع السلوكية ذا وجوه وطرق متعددة في استيعاب حاجات الناس ومصالحهم مهما تنوعت هذه الحاجات والمصالح، ومهما تطورت مع تطور الأزمان، وقد غدت هذه الحكمة واضحة جلية من كثرة ما تناولتها الدراسات والأبحاث المتنوعة.

عوامل نشأة المذاهب الفقهية:

يتضح مما ذكرناه في تعريف المذاهب الفقهية أن العامل الأساسي لها، وهو اختلاف الفقهاء، ينبغي أن يكون موجوداً في حياة المسلمين الفقهية منذ عصر النبوة، وهذا هو الواقع المعروف فعلاً، وإليك بيان ذلك:

لقد كان الوحي هو الحاجز الوحيد الذي يمنع تسرب الخلاف إلى الصحابة في استنباط الأحكام الفقهية من بعض النصوص القرآنية، أو الأحاديث النبوية، حتى إذا صادف أن مرت لهم ظروف أحوجتهم إلى معرفة حكم من الأحكام الشرعية التي لم يتضح وجه الدلالة عليها بيقين، وحيل بينهم وبين معرفته تلقياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لجؤوا إلى إعمال النظر والاجتهاد في فهمه، حسب إمكاناتهم وقدراتهم العلمية، فربما اتفقوا وربما اختلفوا في الاجتهاد والفهم، والاختلاف هو الغالب.

وقد كان لا بدّ أن يعرضوا اجتهاداتهم على رسول الله ﷺ، بعد انقشاع تلك الظروف عنهم، فلم نسمع ولم نعلم قط أن رسول الله عنفهم أو عاتبهم على ذلك الاجتهاد والاختلاف، بل سكت سكوت المؤيد لسعيهم الذي بادروا إليه، بقطع النظر عن تأييده، أو عدم تأييده للنتائج التي انتهوا إليها.

ولعلنا جميعاً نذكر أن من أبرز الشواهد الواقعية على ما نقول، حيرة نفر من الصحابة في فهم المعنى المراد من قوله ﷺ لأصحابه، يوم بني قريظة: (**ألا لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة**)، إذ كانت الشمس

أوشكت على المغيب، وهم لم يصلوا العصر بعد، والطريق بينهم وبين بني قريظة ما يزال بعيداً.

ترى أيطلب منهم رسول الله في هذه الحال أن يتركوا صلاة العصر ولو خرج وقتها حتى يصلوا إلى بني قريظة فيصلونها هناك كما أمرهم بذلك، أم المطلوب منهم أن يوجدوا في بني قريظة خلال وقت العصر، بحيث إذا حيل بينهم وبين هذا المطلوب لم يكن من فرق عندئذ بين أن يصلوا العصر في أيّ الأماكن شاؤوا، ولا شك أن المطلوب عندئذ هو الرجوع إلى الأصل وأداء صلاة العصر في ميقاتها المشروع.

إن المعنيين: كما نلاحظ، واردان ومحتملان، والمصير الوحيد الذي يملكه أولئك النفر الذين تخلفوا في الطريق هو الاجتهاد في بلوغ المعنى المطلوب وتحقيقه.

وقد أوقعهم ذلك المصير، كما نعلم، في اختلاف فيما بينهم، فمنهم من ظهرت له دلائل المعنى الأول، ومنهم من تجلت له دلائل المعنى الثاني، ولم يكن من سبيل إلا أن يتحمل كل من الفريقين مسؤولية اجتهاده، وما سكنت إليه نفسه. حتى إذا وصلوا إلى رسول الله وأخبروه بشأنهم، سكت سكوت المؤيد للفريقين، أي للذين قاموا فصلوا العصر قضاء، وللذين عاجلوا فوات الوقت فصلوها في طريقهم إليه.

وعندما رأى أحد الصحابة، وقد وصل متأخراً إلى المسجد، أن النبي ﷺ يوشك أن يركع، أسرع يركض في المسجد حتى لحق رسول

الله في الركوع، اجتهاداً منه بأن ذلك هو الخير. ولما فرغ رسول الله من الصلاة، وعلم بشأنه، نظر إليه قائلاً: (**زادك الله حرصاً ولا تعد**).

فقد أعجب النبي ﷺ باجتهاده، وشكر له حرصه على أن لا تفوته الركعة مع رسول الله، غير أنه لفت نظره إلى ما هو المفضل في علم الله وهديه، وهو التمهل والمشي الهوينا في المسجد. ولولا وجود رسول الله والوحي الذي كان مؤيداً به، لامتد من اجتهاد ذلك الصحابي مذهب مشروع في اختيار ما هو الأفضل في مثل هذه الحال.

إذن فالعامل الأساسي في نشأة المذاهب، هو اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة المحتملة. وقد رأى رسول الله هذا ولا يعارض تأييده له أن النبي ﷺ كان ينبه الصحابي المجتهد إلى الرأي الصواب أو الأصوب، كقوله لذلك الصحابي: (**زادك الله حرصاً ولا تعد**). وكقوله لعمار وقد أجنب في سرية فلم يجد ماء، فتمعك بالتراب، (**إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض، ثم تنفخ، ثم تمسح بها وجهك وكفيك**).

فقد كان النبي ﷺ يجمع بموقفه ذاك، بين تدريبه أصحابه على الاجتهاد في فهم ما غمض من الأحكام كلما اقتضت الحاجة، وتحويلهم إلى الحكم الصحيح - باعتباره نبيّاً مؤيداً بالوحي - كلما تنكب أحدهم في اجتهاده عنه.

هذا، ولم نشأ في هذا البحث المكثف أن نأتي على ذكر جزئيات العوامل

المتعلقة بنشأة المذاهب، مكتفين بينبوع هذه العوامل ومصدرها، ألا وهو الاحتمال القائم في الأدلة الفقهية الباعث بدوره على اختلاف الفقهاء، ولا شك أن لهذا الاحتمال أسبابه الجزئية، غير أنها مطوية في هذا العامل الرئيس، ولا غرض لنا في تفصيل القول عنها في هذا الصدد.

تاريخ نشأة المذاهب الفقهية:

يعود تاريخ نشأة المذاهب الفقهية إلى عصر الصحابة، وهو العصر الذي يلي وفاة رسول الله ﷺ مباشرة.

فقد كان فقهاء الصحابة، على الرغم من اتفاقهم في معرفة أكثر الأحكام الفقهية، يختلفون في فهم بعض يسير منها. فكانت الآراء التي يختص بها أحدهم تشكل مذهبه الفقهي الذي ينفرد به عن الآخرين. ولا شك أنه لا مدخل لقلة الآراء أو لكثرتها في تكوين المذهب الفقهي إذ إن حجم المذهب، اتساعاً وضيقاً، يكون تابعاً لحجم المسائل التي يتكون منها.

فحتى لو لم يكن للفقيه أكثر من رأي اجتهادي واحد في مسألة فقهية واحدة، فإن انفراده برأيه الخاص في تلك المسألة يجعل له في ذلك، بكل جدارة، مذهباً.

ومن هنا فقد كان لعبد الله بن عباس مذهب خاص به في جملة من المسائل الفقهية، وكان لعبد الله بن عمر مذهبه الخاص، أيضاً في جملة أخرى من المسائل، وكان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام مذهبه الخاص به في مثل ذلك... وهكذا.

ويعود السبب في عدم بروز مذهب كل من هؤلاء الصحابة، وعدم ارتباطه باسمه خلال التاريخ، كما هو الشأن في مذاهب الأئمة الأربعة، إلى أن أيّاً من مذاهب الصحابة لم يتح له أن يجمع، وأن يدون وينسب إلى

صاحبه خلال القرون كما قد أتيح لمذاهب الأئمة الأربعة. هذا بالإضافة إلى أن الأنشطة العلمية لأولئك الصحابة إنما تجلت في اجتهادات جزئية متناثرة، دون أن ينظمها منهج كلي، إذ لم تكن قد ظهرت الحاجة بعد إلى الاعتماد في الاجتهاد على موازين ومناهج تعصم عن الخطأ، أما تطور المذاهب الفقهية، فالبحث في ذلك يطول، ولسنا هنا بصدد تفصيل القول في ذلك. غير أن أهم ما يجدر لفت النظر إليه، أن من أهم العوامل التي أدت إلى تطوير المذاهب الفقهية، تفرق الصحابة، في خلافة عثمان وما بعدها في الأمصار المختلفة، وهو الأمر الذي طبع تلامذتهم من التابعين بطابع المكان الذي استوطنوا وأقاموا فيه.

وقد كانت مدرسة الرأي في العراق، ومدرسة الحديث في الحجاز، أول، بل أخطر مظهر من مظاهر هذا التطور الذي جاء نتيجة لهذا العامل الكبير.

غير أن نتائج إيجابية أخرى تلت هذه النتيجة السلبية، بل كانت ثمرة طيبة لها. من أبرزها هنا ظهور منهج يلتقي عليه الأطراف جميعاً للسير على أساسه في ضبط عملية الاجتهاد الفقهي، وهو النهج الذي يتمثل في قواعد تفسير النصوص أو ما كان يسمى بعلم أصول الفقه.

من أهم هذه النتائج الإيجابية أيضاً تلاقي مدرستي الرأي والحديث على طريقة عادلة مثلى منعت من الوقوع، الذي كان وشيكاً، في كلا طرفي الإفراط والتفريط.

ومن النتائج الإيجابية الهامة أيضاً ظهور علم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، والاهتمام بضبط الرواية وحمايتها من الزيف والدس.

ومن هذه النتائج كثرة الرحلات العلمية في سبيل الفقه والحديث، وكثرة الحوار والنقاش في المسائل الفقهية، الأمر الذي ضيق من حجم الخلافات الفقهية وجذب كثيراً من الآراء المتخالفة إلى ساحة الاتفاق.

ففي ظل هذه النتائج ظهرت المذاهب الأربعة، ومذاهب كثيرة أخرى لم تكتب لها الشهرة التي كتبت لتلك.

الاختلافات الفقهية كانت ولا تزال اختلافات تعاونية:

الآن، وقد تم بيان وجيز للنقاط الثلاث التي رأينا أن نمهد بها للإجابة عن السؤال الذي تطارحناه، نقول:

إننا لا نرتاب على ضوء ما قد ذكرناه الآن، في أن نشأة المذاهب الفقهية وتطورها وانتهاءها إلى التي هي عليها الآن، كل ذلك كان خير حماية للوحدة الإسلامية من التصدع والشقاق.

وقد يبدو غريباً في أذهان بعض الناس أن تكون اختلافات المسلمين في فهم الشريعة الإسلامية تعميقاً لعوامل وحدتهم وحماية لها من عادية التفرق والشقاق.

غير أن هذا الاغتراب صحيح عندما يكون مآل الاختلاف أن ينسب كل فريق صاحبه إلى انحراف في الفهم والسلوك، أو إلى الوقوع في خطيئة لا تغتفر.

غير أن الذي تبين لنا من معنى المذاهب الفقهية وعوامل نشأتها، أن الخلافات الفقهية التي تشكل العمود الفقري في تلك المذاهب، كانت خلافات تعاونية مبررة، لا خصومات أو شقاقات فكرية مجرمة.

ومعنى هذا أن نسيج الوحدة الإسلامية إنما تلاقت سداه ولحمته من هذه الخلافات التعاونية. إذ لولا الساحة التشريعية العريضة التي تكونت من مجموع الاجتهادات الفقهية المتعددة، لما أتيح للمساحات الإسلامية

الشاسعة والمتنوعة، أن تتلاقى وتتلاحم تحت مظلة شرعة واحدة. ومن ثم لما أتيح لها أن تخضع، على اتساعها، لنظام دولة واحدة.

وإن نظرة واحدة متدبرة إلى التفاعل الذي كان قائماً، في صدر الإسلام، وأيام الخلافة الراشدة وما بعدها، بين أنشطة المذاهب الفقهية من جانب، ومظاهر وحدة الدولة الإسلامية من جانب آخر، ليبرز ويؤكد الحقيقة التي نقولها. وما سمعنا في التاريخ قط أن خلافات المذاهب الفقهية كانت وبالاً على الوحدة الإسلامية في أيّ من عصورها الذهبية، وما ينبغي، ونحن نؤكد هذه الحقيقة، أن ننسى دور الفكر، واعتماد الفقهاء على قواعد تفسير النصوص التي تمّ تدوينها في أواخر القرن الثاني، في تحصين هذه المذاهب ضد عادية الشرود، وعوامل الانزلاق في المتاهات التي من شأنها أن تنتزع ثقة الأئمة والعلماء بعضهم ببعض، وأن تحيل اختلافاتهم التعاونية إلى اتهامات وشقاق.

ولا داعي إلى أن نعيد إلى الذاكرة ثناء أئمة المذاهب الأربعة بعضهم على بعض، وصلة الود والتقدير المتبادلين بين الإمام الشافعي والإمام أحمد، وإعجاب كل منهما بالآخر، وثناء الإمام الشافعي على أبي حنيفة وتلميذه محمد وأبي يوسف، وقول الشافعي عن الإمام مالك: "مالك معلمي وعنه أخذنا العلم"، أو ما ذكره الإمام أبو حنيفة عن تتلمذه على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "لولا السنتان لهلك النعمان"، كما من المهم والضروري جدّاً أن نطرح ما قاله الإمام مالك بن أنس عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "اختلفت إلى جعفر بن محمد زماناً فما كنت أراه إلا

على إحدى ثلاث خصال: إما مصلياً وإما صائماً وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله إلا على الطهارة، ولا يتكلم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد والزهاد الذين يخشون الله وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً(٨٢).

هذه الأمور والمسائل، لا بدّ من أن نضعها كمسلمين من مختلف المذاهب نصب أعيننا ونسعى لجعلها مناراً لنا في فهم وتقبل الآخر، فأئمة المذاهب في تعاملهم وتعاطيهم واحترامهم لبعضهم بعضاً كما رأينا فيما أوردناه، قد أثبتوا وبصورة عملية للأمة الإسلامية بأن المذهب لا يعني التفاضل والانفصال والابتعاد عن الآخر ورفضه، بل هو كما أسلفنا يعني امتداداً وتواصلاً مع الآخر، وهذا هو منطلقنا في فهم وطرح مبادئ وأسس فقه الوحدة الإسلامية بعونه ومشيئته تعالى.

الفصل الثاني

الخلفاء الراشدون
كقدوة وأسوة حسنة
لوحدة الأمة الإسلامية

الخلفاء الراشدون كقدوة وأسوة حسنة لوحدة الأمة الإسلامية:

لسنا نقول أو ندعي بأن المذاهب الإسلامية لا سامح الله تعالى باطلة أو غير شرعية، لكننا واثقون بأن أية دعوة أو تحريض أو حثّ على التفرقة والانقسام وبث الكراهية والتباغض بين مكونات الأمة الإسلامية هو أمر يتعارض تماماً مع كتاب الله وسنة نبيه ولا يمكن أبداً أن يتفق معهما.

دعوات التفرقة والانقسام التي انطلقت وتنطلق برأينا من الجهل الكامل أو المركب بشأن مبادئ الإسلام وتعاليمه الحنيفة التي تجعل وحدة الصف والكلمة فوق أيّ اعتبار آخر، وإن السعي لحمل وتفسير النصوص القرآنية والشرعية باتجاهات وسياقات تتعارض مع الخط العام للدين الإسلامي والمحدد في القرآن والسُّنة، إنما هو عمل باطل من أساسه والإيمان والعمل به باطل أيضاً، خصوصاً بعد أن يتضح الأمر لمن لا علم لهم بذلك لأسباب مختلفة.

نهج زرع أسباب الفرقة والانقسام في الجسد الإسلامي، والذي يعود البعض منه إلى معلومات وتفسيرات وتأويلات خاطئة ومحرفة ومشوهة لما كان سائداً من علاقة حميمة وصميمية بين الخلفاء الراشدين، وإن ما يتم تناقله هنا وهناك من أمور وقضايا وهمية منسوبة كذباً وبهتاناً للخلفاء الراشدين ولا سيما من حيث نسج أكاذيب ومزاعم واهية بشأن وجود اختلافات وصراعات فيما بينهم، إنما هو محض كذب وافتراء ما أنزل الله به من سلطان وهو بهتان على التأريخ الناصع والمجيد لعصر الخلفاء الراشدين.

العديد من الذين بنوا أسساً ومرتكزات لزرع أسباب الفتنة والاختلاف بالاستفادة من أمور وقضايا ملفقة منسوبة للخلفاء الراشدين، والتي تداولها ويتداولها البعض عن جهل وعدم وعي واطلاع على الحقائق التأريخية ومجريات أمورها، ولذلك نريد هنا أن نسلط الأضواء على هذا الجانب ونميط اللثام عنه لنوضح الحقيقة كما هي وليس كما سعى ويسعى البعض كذباً وبهتاناً لتصويرها والإيحاء بها.

سيرة الخلفاء الراشدين الأربعة:

عندما يسعى البعض لإلصاق تهمة أو فرية ما ضد إنسان معين، فإن ذلك الإنسان من حقه الدفاع عن نفسه وتوضيح الحقيقة والمطالبة بحقه لو لحق به أيّ مقدار من الظلم والسوء، وبطبيعة الحال فإن التطاول على أهم وأعظم عصر للإسلام والسعي للتطاول على رموزه وأعمدته الأساسية من بعد النبي الأكرم ﷺ، هو برأينا تطاول على الإسلام نفسه قبل أن يكون على هؤلاء، خصوصاً وأن نبي الإسلام ﷺ قد أشاد بهم في أكثر من موضع ومناسبة، ونجد من المناسب جدّاً قبل أن نخوض في المجريات والتفاصيل المستسقاة من التأريخ الإسلامي، أن نورد جملة من الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ، بحق الخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ "رضي الله عنهم"، والتي تبين مكانتهم ومنزلتهم وتقييم النبي ﷺ لهم.

الخليفة الأول:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

واسمه عبد الله بن أبي قحافة، وسماه النبي ﷺ صدّيقاً كونه صدقه فيما كذبه فيه أكثر الناس من خبر الإسراء والمعراج، فضلاً عن كونه أول من آمن به من الرجال، وهو رفيق النبي في هجرته، وصاحبه في الغار، وملازمه في كل حياته، وله فضائل كثيرة عرفها له النبي ﷺ وسجلها

له لتعرف له الأمة قدره، وقد ورد فيه قول الحق سبحانه:﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٨٣) روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه حدثه قال: **قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم ينظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»** رواه البخاري ومسلم. فوصف الله أبا بكر بالصحبة الخاصة المقتضية مزيداً من التشريف، وأشركه مع نبيه في المعية الإلهية المقتضية كمال العناية والحفظ.

ومن الأحاديث الواردة في فضل الصديق تصريحه ﷺ لعمرو بن العاص أن أبا بكر أحب الرجال إليه، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه : أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: **فأتيته فقلت: أيّ الناس أحب إليك؟ فقال: (عائشة، فقلت من الرجال؟ فقال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب فعد رجالاً)**(٨٤).

ومن دلائل فضله ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة، فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **إنه ليس من الناس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر**)(٨٥) وأمره ﷺ بسد كل «**خوخة**» أيّ كل باب يوصل إلى المسجد إلا باب بيته، وباب بيت أبي بكر إشارة «والله أعلم» إلى استحقاقه تولي الخلافة من بعده حيث

كان المسجد في ذلك الزمان قصر الحكم، وساحة القضاء، ومكان تجهيز الجيوش وعقد الرايات.

وقد شهدت له الأمة بالفضل فعن عبد الله بن عمر «رضي الله عنهما» قال: **كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم**(٨٦). فهذه شهادة من صحابي عرفت الأمة له قدره أن أبا بكر كان المقدم فيهم، وكان أفضلهم، وشهادة أخرى من الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي حاول البعض إقامة سوق العداوة بينه وبين أبي بكر «رضي الله عنه» إذ يقول «رضي الله عنه»: **" ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر، ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر؟ عمر"**(٨٧) .

الخليفة الثاني:

عمر بن الخطاب «رضي الله عنه»:

وهو من أوائل من أسلم، وكان إسلامه «كما وصفه عبدالله بن مسعود» فتحاً، وخلافته رحمة. وفرح المسلمون بإسلامه فرحاً عظيماً، فصلوا في الكعبة وكانوا لا يصلون قبل ذلك إلا في بيوتهم، وسار عمر في مسيرة الإسلام سيرة الرجال العظماء فدافع عنه ودافع عن نبيه ﷺ وهاجر مع من هاجر من المسلمين إلى المدينة، وكان نعم الصاحب لرسول الله الملازم له المتعلم منه، وكان من نوابغ الإسلام، ومن وزراء النبي ﷺ وخاصته،

ولا يقدم عليه في الفضل إلا أبا بكر الصديق «رضي الله عنه».

وقد وردت فضائله في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: **(والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قط إلا سلك فجّاً غير فجك)**(٨٨).

ومن فضائله ما رواه أبو هريرة «رضي الله عنه» قال: قال: رسول الله ﷺ: **(لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر)**(٨٩). **ومعنى محدثون أي: ملهمون يلهمون الصواب، وهي فضيلة عظيمة لعمر إذ اشتهر بآرائه التي ينزل القرآن الكريم بتأييدها.**

ومن فضائله قوة دينه التي شهد بها النبي ﷺ فعن أبي سعيد الخدري «رضي الله عنه » قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليّ عمر وعليه قميص اجتره، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين)**(٩٠).

ومن فضائله شهادة النبي ﷺ له بأنه من الشهداء، فعن أنس بن مالك «رضي الله عنه » قال: صعد النبي ﷺ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله، وقال: **اثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان.** ومعلوم من هو النبي والصديق وبقي الشهيدان وهما عمر وعثمان فهما اللذان ماتا مقتولين بيد أعداء الأمة ومنافقيها.

ومن فضائله شهادة النبي له بأنه من أهل الجنة فعن أبي موسى

الأشعري «رضي الله عنه» قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط «بستان» من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ افتح له، وبشره بالجنة، ففتحت له، فإذا أبو بكر فبشرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان)(٩١).

وشهد الصحابة الكرام بفضله كما في أثر ابن عمر السابق. وكما روى ابن عباس «رضي الله عنه» قال: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي فإذا عليّ بن أبي طالب، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: (ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر)(٩٢).

الخليفة الثالث

الراشد عثمان بن عفان أبو عمرو القرشي «رضي الله عنه»:

الملقب بذي النورين لزواجه من ابنتي الرسول ﷺ، كان من أوائل

من أسلم وهاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة المنورة، وهو ثالث الخلفاء الراشدين تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» بشورى من المسلمين واتفاق منهم.

من فضائله «رضي الله عنه» ما روته عائشة «رضي الله عنها» قالت: **كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)(٩٣)**. فهذه فضيلة عظيمة لعثمان «رضي الله عنه» إذ عرف عنه شدة حيائه، وربما إذا رأى النبي ﷺ على حالته تلك لم يتكلم بما جاء لأجله، ولخرج دون أن تقضى حاجته، فسوى النبي ﷺ ثيابه مراعاة له.

ومن فضائله أنه جهز جيش العسرة، واشترى مربداً «موضع تجفيف التمر» وتبرع به للمسجد، واشترى بئر رومة وجعلها وقفاً للمسلمين، فعن الأحنف بن قيس «رضي الله عنه»:قال: «**خرجنا حجاجاً، فقدمنا المدينة ونحن نريد الحج، فبينا نحن في منازلنا نضع رحالنا إذ أتانا آتٍ، فقال: إن الناس قد اجتمعوا في المسجد وفزعوا، فانطلقنا، فإذا الناس مجتمعون على بئر في المسجد، فإذا عليّ والزبير وطلحة وسعد بن أبي**

وقاص فإنا لكذلك إذ جاء عثمان وعليه ملاءة صفراء، قد قنع بها رأسه، فقال: أهاهنا عليّ؟ أهاهنا طلحة؟ أهاهنا سعد؟ قالوا: نعم، قال: فإني أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له؟ فابتعته بعشرين ألفاً «أو بخمسة وعشرين ألفاً» فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: اجعلها في مسجدنا وأجره لك، قالوا: اللهم نعم، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع بئر رومة غفر الله له فابتعته بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: قد ابتعتها بكذا وكذا، قال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك، قالوا: اللهم نعم، قال فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم، فقال: من جهز هؤلاء غفر الله له «يعني جيش العسرة» فجهزتهم حتى ما يفقدون عقالاً ولا خطاماً قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد، اللهم اشهد)(٩٤).

ومن فضائله بشارة النبي ﷺ له بالجنة، كما في حديث أبي موسى الأشعري «رضي الله عنه» السابق ذكره.

ومن فضائله ثناء الصحابة عليه فعن ابن عمر «رضي الله عنهما» قال: "كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم"(٩٥).

الخليفة الرابع
عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

أول من أسلم من الصبيان، وأول فدائي في الإسلام، حضر بدراً وأُحداً وغيرها من المشاهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستخلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة عند خروجه لغزوة تبوك.

من فضائله عليه السلام ما رواه سلمة بن الأكوع «رضي الله عنه» قال: **كان عليّ«رضي الله عنه» قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر، وكان به رمد فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج عليّ فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه، فإذا نحن بعليّ وما نرجوه، فقالوا: هذا عليّ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الراية ففتح الله عليه»**(٩٦).

ومن فضائله ما رواه سعد بن أبي وقاص «رضي الله عنه»: «**أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف عليّ بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي**»(٩٧). وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى كان تطييباً لخاطره ورفعاً لما توهمه من انتقاص في حقه بتخليفه على النساء والصبيان، فبين له صلى الله عليه وآله وسلم أن ليس في الأمر انتقاص لحقك ولا تنزيل لقدرك وإن كنت استخلفتك

على النساء والصبيان لك في هارون عليه السلام أسوة إذ استخلفه موسى عليه السلام على قومه من بعده فلم يظن في ذلك انتقاصاً، ولم يعد ذلك تنزيلاً من قدره، فطابت نفس عليّ عليه السلام لهذا البيان النبوي وسكنت نفسه.

ومن فضائله عليه السلام ما رواه سعد بن أبي وقاص «رضي الله عنه» قال: **لما نزلت هذه الآية:** ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ (٩٨) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**» (٩٩). فهذا الحديث يدل على أنه – رضي الله عنه – من أهله الخاصين وأقربائه الأدنين.

هؤلاء هم الخلفاء الراشدون، صحابة نبلاء، وسادة أشراف، اختارهم الله لصحبة نبيه في حياته، واختارهم لخلافته بعد وفاته، فقاموا بما أوجب الله عليهم خير قيام، فنشروا الدين، وبلغوه مشارق الأرض ومغاربها، وأقاموا العدل، ونبذوا الظلم، فأحبوا الناس، وأحبهم الناس، نسأل الله أن يرزقنا حبهم وأن يوفقنا للسير على خطاهم.

عن العلاقة الوثيقة بين الإمام عليّ عليه السلام بالصديق

انطلق البعض للإيحاء بأن هناك خلافاً واختلافاً بين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبين أبي بكر الصديق "رضي الله عنه"، والسعي المفرط للبناء على ذلك الوهم الذي لا وجود له سوى في مخيلات من يسعى شراً بوحدة صف وكلمة هذه الأمة، خصوصاً من حيث الزعم والادعاء بأن الإمام عليّاً كان رافضاً لخلافة أبي بكر، ذلك أن هناك الكثير من الأدلة الدامغة التي تدحض هذا الزعم وتفنده من الأساس، حيث إن الإمام عليّاً كان قابلاً وراضياً بخلافة أبي بكر ومصلياً خلفه وقابلاً منه الهدايا ومشاركاً له في كثير من الأمور ومساعدته ومؤازرته فيها.

وقد روي **"أراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله، فقدموا وأخروا، فاستشار عليّ بن أبي طالب فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت؟ فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيباً، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم"**(٩٩)

وفي رواية: **"سأل الصديق عليّاً كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبي حيث سمعته يبشر بتلك البشارة، فقال أبو بكر: سررتني بما أسمعتني من رسول الله يا أبا الحسن! يسرك الله"**(١٠٠).

ويقول اليعقوبي أيضاً: **"وكان ممن يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر عليّ ابن أبي طالب وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود"**(١٠١)، حيث قدم عليّاً على جميع أصحابه،

وهو دليل على عمق ورسوخ العلاقة مع بعضهم. وهناك عدد كبير من الروايات التي تشير إلى أن أبا بكر استشار أصحابه في مسائل كثيرة وعلى وجه الخصوص عليّاً عليه السلام فقدم رأيه ومشورته على غيره، كما نجد الكثير مما روي بهذا الصدد في البداية والنهاية لابن الكثير والرياض النضرة لمحب الطبري وكنز العمال وتاريخ الملوك والأمم للطبري وتاريخ ابن خلدون وغيرها من الكتب.

ومما ورد بشأن استشارة الصديق للإمام عليّ: **" إن رجلاً رفع إلى أبي بكر وقد شرب الخمر، فأراد أن يقيم عليه الحد فقال له: إني شربتها ولا علم لي بتحريمها لأني نشأت بين قوم يستحلونها ولم أعلم بتحريمها حتى الآن فأرتج على أبي بكر الأمر بالحكم عليه ولم يعلم وجه القضاء فيه، فأشار عليه بعض من حضر أن يستخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن الحكم في ذلك، فأرسل إليه من سأله عنه، فقال أمير المؤمنين: مُرْ رجلين ثقتين من المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والأنصار ويناشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه، وإن لم يشهد أحد بذلك فاستتبه وخلِّ سبيله، ففعل ذلك أبو بكر فلم يشهد أحد من المهاجرين والأنصار أنه تلا عليه آية التحريم، ولا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فاستتابه أبو بكر وخلى سبيله وسلم لعليّ عليه السلام في القضاء به.(١٠٢)**

هذا وكان يتمثل أوامره كما حدث أن وفداً من الكفار جاؤوا إلى المدينة المنورة، ورأوا بالمسلمين ضعفاً وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد

واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة، فأحس منهم الصديق خطراً على عاصمة الإسلام والمسلمين، فأمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليّاً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا ذلك حتى أمنوا منهم. (١٠٣)

وللتعامل الموجود بينهم، وللتعاطف والتوادد والوئام الكامل كان عليّ وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول ﷺ يتقبل منهم الهدايا دأب الأخوة المتشاورين ما بينهم والمتحابين كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية **"وأما عمر ورقية فإنهما من سبيئة من تغلب يقال لها الصهباء سبيت في خلافة أبي بكر وإمارة خالد بن الوليد بعين التمر"**.(١٠٤)"وكان اسمها أم حبيب بنت ربيعة"(١٠٥)

وأيضاً منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسنين محمد بن الحنفية.

"وهي من سبي أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد بن الحنفية"(١٠٦).

كما وردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس وأموال الفيء من الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وكان عليّ هو القاسم

والمتولي في عهده على الخمس والفيء، وكانت هذه الأموال بيد عليّ، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن"(١٠٧).

ولقد ورد في أبي داود عن عليّ عليه السلام أنه قال: **اجتمعت أنا والعباس وفاطمة وزيد بن حارثة عند النبي ﷺ، فقلت يا رسول الله! إن رأيت أن توليني حقنا من هذا الخمس في كتاب الله عز وجل فاقسمه حياتك كيلا ينازعني أحد بعدك فافعل، قال: ففعل ذلك قال: فقسمته حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ولانيه أبو بكر حتى إذا كان آخر سنة من سني عمر رضي الله عنه فإنه أتاه مال كثير، فعزل حقنا ثم أرسل إليّ، فقلت: بنا عنه العام غنى وبالمسلمين إليه حاجة فاردده عليهم، فرده عليهم**"(١٠٨).

هذا وكان يؤدي الصلوات الخمس في المسجد خلف الصديق، راضياً بإمامته، ومظهراً للناس اتفاقه ووئامه معه"(١٠٩).

وقال الطوسي في صلاة عليّ خلف أبي بكر: فذاك مسلم لأنه الظاهر"(١١٠).

عن العلاقة الراسخة بين الإمام عليّ عليه السلام والخليفة الفاروق "رضي الله عنه":

قيل ونشر الكثير من المزاعم والافتراءات بشأن الخلافات بين الإمام عليّ عليه السلام والخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه"، لكننا وعندما نطالع المصادر التأريخية من منابعها الصحيحة والمعتبرة، نجد خلاف ذلك تماماً، إذ نحن قبالة علاقة أخوية حميمة بالإمكان جعلها قدوة وأسوة حسنة للتأسي والاقتداء بها. الإمام عليّ عليه السلام يقول عن الخليفة الفاروق: **"ووليهم والٍ، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه"**(١١١). وقال الميثم البحراني الشيعي، شارح نهج البلاغة، وكذلك الدنبلي شرحاً لهذا الكلام: **"إن الوالي عمر بن الخطاب، وضربه بجرانه كناية بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه كتمكن العير البارك من الأرض"**(١١٢).

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي تحت هذه الخطبة، ويذكرها من أولها: **"وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب، وهذا الكلام من خطبة خطبها في أيام خلافته طويلة يذكر فيها قربه من النبي صلى الله عليه وآله واختصاصه له، وإفضاءه بأسراره إليه حتى قال فيها: فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلاً منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا فيه، ثم وليهم بعده والٍ، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه"**(١١٣).

كما يقول الإمام عليّ أيضاً في عمر الفاروق: **"لله بلاد فلان، فقد قوم**

الأود، وداوى العمد وخلف الفتنة، وأقام السُّنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي بها الضال، ولا المستيقن المهتدي"(١١٤). ويقول ابن أبي الحديد: العرب تقول: لله بلاد فلان أيّ در فلان... وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب، وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان عمر... وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي فقال لي: هو عمر، فقلت له: أثنى عليه أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: نعم"(١١٥).

ويصف الإمام عليّ عليه السلام الخليفة الفاروق وصفاً معبراً عندما استشاره في الخروج إلى غزو الروم، فيقول: **" إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين"(١١٦).**

ويكتب ابن أبي الحديد تحته شرحاً لهذه الخطبة "فتنكب مجزوم لأنه عطف على تسر وكهفة أي كهف يلجأ إليه، ويروي كانفة أي جهة عاصمة...، وحفزت الرجل أحفزه أي دفعته وسقته سوقاً شديداً وردءاً أي عوناً، ومثابة أي أمناً، ومنه قوله: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾، أشار عليه السلام أن لا يشخص بنفسه حذر أن يصاب فيذهب المسلمون كلهم لذهاب الرأس، بل يبعث أميراً من جانبه على الناس ويقيم هو في المدينة، فإن

هزموا كان مرجعهم إليه"(١١٧).

كما يقول الإمام عليّ عليه السلام، لما استشاره الخليفة الفاروق "رضي الله عنه" لقتال الفرس: **"إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة. وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه: فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً. والعرب اليوم، وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع! فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب، واصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك.**

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك، وطمعهم فيك. فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين، فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرت من عددهم، فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة"(١١٨). وهذا الكلام يوضح ما كان قد بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بأن الإسلام يبلغ مداه في عهد الخليفة الفاروق "رضي الله عنه"، ولذلك فإن الإمام عليّاً عليه السلام، يقول عنه: **ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده إلخ**. وهو يشير بذلك إلى ما قد قاله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

" ثم استحالت غرباً فأخذها عمر بن الخطاب، فلم أر عبقريّاً ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن".

وواضح أن الهدف والقصد من توجيهه بقوله: ونحن على موعود من الله: بأن الله وعد المؤمنين والعاملين الصالحات التمكن في الأرض والاستخلاف، فنحن المؤمنين وأنت أيها الفاروق أميرنا، والله ينجز وعده في عهدك وخلافتك، وينصر جنده الذين يقاتلون تحت رايتك وقيادتك الحكيمة وتوجيهاتك الرشيدة لأن دين الله لا بدّ له أن يظهر ويغلب - حتى يبلغ بجرانه، لأنك أنت القيم بأمره، ومدبر لقضاياه، وبك شأنه ومكانه، فإن أنت فقدت ضاع الأمر، وانتشر الجمع، وضعفت القوة، وانكسرت الشوكة، وافترق الناس حتى لن يرجى اجتماعهم واتحادهم بعد ذلك أبداً (فكان كما قال، فتحت أبواب الفتن بعد شهادته ولم تغلق بعده حتى اليوم، وقد ورد في ذلك المعنى حديث أيضاً) فإذا انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً.

وأيضاً أشار بذلك إلى دعاء النبي ﷺ: **"اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب".**(١١٩).

الملفت للنظر أن الإمام عليّاً عليه السلام، وبعد أن صار خليفة للمسلمين، فإنه كان يتأسى ويقتدي بالخليفة الفاروق كما سنرى، إنه "أي الإمام عليّ"، عندما قدم الكوفة "قيل له: **يا أمير المؤمنين! أتنزل القصر؟ قال: لا حاجة لي في نزوله، لأن عمر بن الخطاب كان يبغضه، ولكني نازل**

الرحبة، ثم أقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى ركعتين، ثم نزل الرحبة"(١٢٠).

وكذلك لما تكلم في رد فدك أبى أن يعمل خلاف ما فعله عمر، فهذا هو السيد مرتضى يقول: **فلما وصل الأمر إلى عليّ بن أبي طالب كلم في رد فدك، فقال: إني لأستحي من الله أن أرد شيئاً منع منه أبو بكر، وأمضاه عمر**"(١٢١).

ومن المفيد جدّاً هنا إيراد روايات ثلاث تأييداً لهاتين الروايتين، الأولى من حسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما أنه قال: لا أعلم عليّاً خالف عمر، ولا غير شيئاً مما صنع حين قدم الكوفة"(١٢٢). والرواية الثانية "أن أهل نجران جاؤوا إلى عليّ يشتكون ما فعل بهم عمر، فقال في جوابهم: إن عمر كان رشيد الأمر، فلا أغير شيئاً صنعه عمر"(١٢٣). والرواية الثالثة أن عليّاً قال حين قدم الكوفة: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر"(١٢٤).

وأما كون عمر رجلاً من أهل الجنة كما ورد في ذلك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رويناه، فلقد شهد بذلك عليّ بن أبي طالب وابن عمه وأحد قواده من المعتمدين وأمرائه الموثوقين عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد أورد هذه الرواية ابن أبي الحديد أن الفاروق لما طعن، وطعنه أبو لؤلؤة المجوسي الفارسي دخل عليه ابنا عم رسول الله ﷺ عبد الله بن

عباس وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم فيقول ابن عباس: فسمعنا صوت أم كلثوم (بنت عليّ رضي الله عنه) وا عمراه، وكان معها نسوة يبكين فارتج البيت بكاء، فقال عمر: ويل أم عمر إن الله لم يغفر لهم، فقلت: والله! إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين وسيد المسلمين تقضي بالكتاب وتقسم بالسوية، فأعجبه قولي، فاستوى جالساً فقال: **أتشهد لي بهذا يا ابن عباس؟ فكعكعت أي جبنت، فضرب عليّ عليه السلام بين كتفي وقال: اشهد، وفي رواية لَم تجزع يا أمير المؤمنين؟ فوالله لقد كان إسلامك عزّاً، وإمارتك فخراً، ولقد ملأت الأرض عدلاً، فقال: أتشهد لي بذلك يا ابن عباس! قال: فكأنه كره الشهادة فتوقف، فقال له عليّ عليه السلام: قل: نعم، وأنا معك، فقال: نعم"(١٢٥).**

لما غسل عمر وكفن دخل علي عليه السلام فقال: **ما على الأرض أحد أحب إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى (أي المكفون) بين أظهركم"(١٢٦).**

وأما ابن أبي الحديد فيذكر: **"طعن أمير المؤمنين فانصرف الناس وهو في دمه مسجى لم يصل الفجر بعد، فقيل: يا أمير المؤمنين! الصلاة، فرفع رأسه وقال: لاها الله إذن، لا حظ لامرئ في الإسلام ضيع صلاته، ثم وثب ليقوم فانبعث جرحه دماً فقال: هاتوا لي عمامة، فعصب جرحه، ثم صلى وذكر، ثم التفت إلى ابنه عبد الله وقال: ضع خدي إلى الأرض يا عبد الله! قال عبد الله: فلم أعج بها وظننت أنها اختلاس من عقله، فقالها**

مرة أخرى: ضع خدي إلى الأرض يا بني، فلم أفعل، فقال الثالثة: ضع خدّي إلى الأرض لا أم لك، فعرفت أنه مجتمع العقل، ولم يمنعه أن يضعه هو إلا ما به من الغلبة، فوضعت خده إلى الأرض حتى نظرت إلى أطراف شعر لحيته خارجة من أضعاف التراب وبكى حتى نظرت إلى الطين قد لصق بعينه، فأصغيت أذني لأسمع ما يقول فسمعته يقول: يا ويل عمر وويل أم عمر إن لم يتجاوز الله عنه، وقد جاء في رواية أن عليّاً عليه السلام جاء حتى وقف عليه فقال: ما أحد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى"(١٢٧). بل وإن الأهم من ذلك هو أن الإمام عليّاً عليه السلام قد شهد على حديث النبي صلى الله عليه وآله: "إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر"(١٢٨).

عن العلاقة الحميمية بين الإمام عليّ عليه السلام والخليفة عثمان بن عفان ذو النورين "رضي الله عنه"

عندما نبحث في التأريخ وندقق النظر فيه، نواجه الكثير من الحقائق والخفايا التي كنا نجهلها أو غير معلومة وواضحة لنا، لكن المشكلة أننا عندما نتصدى لتأريخ العلاقة التي ربطت وجمعت بين الخلفاء الراشدين "رضي الله عنهم" بصورة عامة من جانب وبين الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم)، وبين الخليفة عليّ بن أبي طالب من جانب آخر، نجد أن تلك العلاقة قد تعدت الجانب الديني والعقائدي إلى جانب المصاهرة ورابطة الدم.

أولئك الذين يسعون للإيحاء بخلافات ومشاحنات مزعومة بين هؤلاء الخلفاء وحاشاهم من ذلك، عليهم أن يعلموا بأن زعمهم وادعاءهم باطل من أساسه وهو مبني على محض افتراء وأمور لا وجود لها إلا في مخيلتهم.

الخليفة عثمان بن عفان "رضي الله عنه"، المعروف بجوده وحيائه ونال شرف القربة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالزواج من ابنتيه رقية وأم كلثوم، كما أنه عديل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأول مهاجر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جاد ذو النورين بماله وبصورة سخية من أجل دعم الإسلام وانتشاره، فقد اشترى على سبيل المثال لا الحصر بئر رومة حينما لم يكن لهم بئر يستقون منها الماء بعد هجرتهم إلى طيبة التي طيبها الله بقدوم

صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه، كما اشترى لهم أرضاً يبنون عليها المسجد الذي هو آخر مساجد الأنبياء.

وعندما نبحث في بطون التأريخ عن شذر من نماذج العلاقات التي ربطت بين الإمام عليّ عليه السلام وبين الخليفة عثمان "رضي الله عنه"، فقد بادر إلى مساعدة الإمام عليّ عليه السلام، في زواجه، وأعطاه جميع النفقات كما يقر بذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام بنفسه أني لما تقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طالباً منه زواج فاطمة قال لي: **بع درعك وائتني بثمنها حتى أهيئ لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما، قال عليّ: فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مئة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن! ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبي بخير"**(١٢٩).

ومن كلام للإمام علي عليه السلام في مدح الخليفة عثمان "رضي الله عنه" والشهادة لإيمانه وعلمه وصحبته: **"فدخل عليه فقال: إن الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئاً تجهله: ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم. ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه. وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صحبنا. وما ابن**

أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بالعمل منك، وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا. فالله الله في نفسك! فإنك «والله» ما تبصر من عمى، ولا تعلم من جهل"(١٣٠).

ومن نماذج قضايا تعكس روح الألفة والتفاهم والتقارب بين الإمام عليّ عليه السلام وبين الخليفة عثمان "رضي الله عنه" ما قد ذكره المفيد في"الإرشاد": **"إن امرأة نكحها شيخ كبير فحملت، فزعم الشيخ أنه لم يصل إليها وأنكر حملها، فالتبس الأمر على عثمان، وسأل المرأة هل افتضك الشيخ؟ وكانت بكراً قالت: لا، فقال عثمان: أقيموا عليها الحد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن للمرأة سمين سم للمحيض وسم للبول، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم المحيض، فحملت منه، فاسأل الرجل عن ذلك؟ فسئل، فقال: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالافتضاض فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمل له والولد ولده، ورأى عقوبته على الإنكار فصار عثمان إلى قضائه بذلك وتعجب منه"(١٣١).**

وأيضاً "إن رجلاً كانت له سرية فأولدها ثم اعتزلها وأنكحها عبداً له ثم توفي السيد فعتقت بملك ابنها لها وورث ولدها زوجها، ثم توفي الابن فورثت من ولدها زوجها فارتفعا إلى عثمان يختصمان تقول: هذا عبدي ويقول: هي امرأتي، ولست مفرجاً عنها، فقال عثمان: هذه مشكلة وأمير المؤمنين حاضر فقال عليه السلام: سلوها هل جامعها بعد ميراثها له؟ فقالت: لا، فقال: لو أعلم أنه فعل ذلك لعذبته، اذهبي فإنه عبدك،

ليس له عليك سبيل، إن شئت أن تسترقيه أو تعتقيه أو تبيعه فذلك لك"(١٣٢).

وروى الكليني في صحيحه عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال:

إن الوليد بن عقبة حين شهد عليه بشرب الخمر قال عثمان لعليّ عليه السلام: اقض بينه وبين هؤلاء الذين زعموا أنه شرب الخمر فأمر عليّ عليه السلام فجلد بسوط له شعبتان أربعين جلدة"(١٣٣).

وقد ذكر اليعقوبي "إن الوليد لما قدم على عثمان، قال: من يضربه؟ فأحجم الناس لقرابته وكان أخاً عثمان لأمه، فقام عليّ فضربه"(١٣٤).

نماذج أخرى من تراث أهل البيت بخصوص الخلفاء الراشدين والصحابة "رضي الله عنهم"

قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام من على منبر الكوفة: **"لا أوتى برجل يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري"**. والرواية متواترة وصححها الخوئي وقال عنها شيخ الطائفة: قالها على تقية، ولا أعلم كيف يقول على تقية وهو خليفة المسلمين في منبر الكوفة يا ترى مما كان يخاف وهو أمير المؤمنين؟(١٣٥).

قال الإمام الحسن العسكري في تفسيره مبيناً منزلة الصحابة الكرام عندما سأل موسى عليه السلام الله بضعة أسئلة - منها قوله: ... **هل في صحابة الأنبياء أكرم عندك من صحابتي قال الله عز وجل: يا موسى أما علمت**

أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع آل النبيين وكفضل محمد على جميع المرسلين.(١٣٦)

وقال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أوثق كتب الإمامية ليستيقن طالب الحق ويزداد الذين آمنوا إيماناً فيصفهم لشيعته المتخاذلين عن نصرته متأسياً بهم فيقول: **لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فما أرى أحداً يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاء للثواب.** .(١٣٨)

وقال الإمام عليّ عليه السلام في مدح الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما **وكان أفضلهم في الإسلام كما زعمت وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق والخليفة الفاروق، ولعمري إن مكانهما في الإسلام لعظيم وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد رحمهما الله وجزاهما بأحسن ما عملاً.** .(١٣٩)

ويقول محمد آل كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها: **وحين رأى «أي عليّ بن أبي طالب» . أن الخليفتين . أعني الخليفة الأول والثاني أي أبو بكر وعمر! بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود**

وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا بابع وسالم.(١٤٠).

ويقول عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يذكر بيعته لأبي بكر: ... **فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً.(١٤١).**

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلاً من قريش جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: **سمعتك تقول في الخطبة آنفاً اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين فمن هما؟ قال: حبيباي وعماك أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش، والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدي إلى صراط مستقيم.(١٤٢).**

ويروي المجلسي عن الطوسي رواية موثوقة عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال لأصحابه: **أوصيكم في أصحاب رسول الله، لا تسبوهم، فإنهم أصحاب نبيكم، وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئاً، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم! أوصاني رسول الله في هؤلاء.(١٤٣).**

ويقول الإمام الرابع عند الاثني عشرية وهو عليّ بن حسين يجيب كما روى علامتهم عليّ بن أبي الفتح الأربلي في كتابه كشف الغمة في معرفة الأئمة عن عليّ بن الحسين أنه: "قدم عليه نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم: ألا

تخبروني أنتم ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾؟ قالوا: لا، قال: فأنتم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم:﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخرجوا عني فعل الله بكم"(١٤٤).

أورد أبو النصر محمد بن مسعود المعروف بالعياشي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ رواية تنفي النفاق صراحة عن صحابة النبي ﷺ، رواها عن محمد الباقر وهو خامس الأئمة الاثني عشر المعصومين عند القوم: فعن سلام قال: "كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين فسأله عن أشياء - إلى أن قال محمد الباقر - أما إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله تخاف علينا النفاق، قال: فقال لهم: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إنا إذا كنا عندك فذكرتنا روعنا ووجلنا نسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل والأولاد والمال يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك، وحتى كأنا لم نكن على شيء أفتخاف علينا

أن يكون هذا النفاق؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا! هذا من خطوات الشيطان ليرغبنكم في الدنيا، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء، ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق خلقاً لكي يذنبوا".

وهذا خير دليل على أن الخطأ أو الذنب الذي يقع فيه الصحابي لا يعتبر قدحاً به - ثم يستغفروا فيغفر لهم إن المؤمن مفتن تواب أما تسمع لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾(١٤٥).

صرح كبير مفسري الشيعة عليّ بن إبراهيم القمي حيث ذكر قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ فقال: قال رسول الله ﷺ لحفصة رضي الله عنها يوماً: أنا أفضي إليك سرًا. فقالت: نعم ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي ثم من بعده أبوك". ذكره الكشاف يقصد عمر رضي الله عنه. فقلت: من أخبرك بهذا؟ قال: الله أخبرني"(١٤٦).

يقول جعفر الصادق لامرأة سألته عن أبي بكر وعمر: أأتولهما!! فقال: توليهما. فقالت: فأقول لربي إذا لقيته إنك أمرتني بولايتهما؟؟ فقال لها: نعم.(١٤٧).

وعن الإمام محمد بن عليّ بن الحسين الباقر "عن عروة بن عبدالله قال:

سألت أبا جعفر محمد بن عليّ عليه السلام عن حلية السيف؟ فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه، قال: قلت: وتقول الصدّيق؟ فوثب وثبة، واستقبل القبلة، فقال: نعم الصدّيق، فمن لم يقل الصدّيق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة"(١٤٨).

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه سئل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ففي الخبر: "إن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله ! ما تقول في حق أبي بكر وعمر؟ فقال عليه السلام: إمامان عادلان قاسطان، كانا على الحق، وماتا عليه، فعليهما رحمة الله يوم القيامة"(١٤٩).

يقول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يمدح المهاجرين من الصحابة في جواب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فيقول: "فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم"(١٥٠).

خياران أمام الأمة الإسلامية

بعد ما قد أوردناه وتحدثنا عنه بطرق متباينة آنفاً، وبعد أن صرنا على اطلاع وبينة من الأهمية القصوى لموضوع الوحدة الإسلامية وما قد تمَّ التأكيد عليه بصورة غير قابلة للإنكار في القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، وبعد أن تطرقنا إلى الجوانب الإيجابية للوحدة والسلبية للفرقة والانقسام، خصوصاً وأن هناك صفحات مجيدة من التأريخ العربي . الإسلامي أيام كانت الأمة متوحدة ومتراصة في صفوفها ولم تكن تنشغل ببعضها، مثلما أن هناك أيضاً صفحات سوداء من تأريخنا أيام التفرقة والتباعد والانقسام والبغضاء، فإننا نجد أنفسنا كأمة أمام خيارين لا ثالث لهما وهما:

أوّلاً: القبول والإيمان بالوحدة الإسلامية كما دعا إليها القرآن الكريم وطالبت به السُّنة النبوية الكريمة.

ثانياً: البقاء في حالة الضبابية وعدم الوضوح والتشتت التي هي بمثابة الجو والوسط المناسب لظهور وبروز الكثير من الأمور السلبية المعادية لآمال وتطلعات وطموحات الأمة الإسلامية.

هذا الخياران، واللذان جربت الأمة الإسلامية كلاهما وهي تعلم علم اليقين بأن الخيار الأول لأسباب قاهرة لا مناص منها إطلاقاً هو قدرها، لكن اختيار الخيار الأول ليس مجرد مسألة نظرية أو إطلاق كلام على عواهنه، وإنما هي قضية موقف مبدئي والتزام أمام الله سبحانه وتعالى

قبل كل شيء، كما أنها مسؤولية ومهمة وفرض وواجب من ضمن أساسيات الدين الإسلامي.

كثيرة هي الأسئلة التي يجب على الأمة الإسلامية أن تطرحها على نفسها وتجيب عنها بصراحة كاملة، وفي مقدمتها بل وأهمها وأخطرها على وجه الإطلاق: ما الذي حققته الفرقة والانقسام للأمة الإسلامية وللمذاهب الإسلامية على حدة؟ منذ سقوط الدولة العثمانية ولحد يومنا هذا، ما الذي استفدنا منه كأمة إسلامية من الفرقة والتشرذم؟ هل نجحنا في إيصال صوت الإسلام للعالم كما كان الحال في القرون الماضية أيام مجد وعز الإسلام؟ وهناك سؤال بالغ الأهمية وذو طابع خاص، يحمل في طيات إجابته الكثير من الدروس والعبر للأمة وهو: هل إن الرسول الأكرم ﷺ والخلفاء الراشدين "رضي الله عنهم" وأئمة أهل البيت والسلف الصالح، يرضون عن اختلاف وانقسام الأمة وتشرذمها وانشغالها ببعضها؟ ليس هناك من بإمكانه أن يجرؤ ويجاوب بالإيجاب عن هذا السؤال الذي يصفعنا جميعاً، فقد أعطى عصر الخلفاء الراشدين دروساً بليغة للأمة بخصوص قضية الوحدة الإسلامية ووضعها فوق كل الاعتبارات الأخرى، بل وكان دائماً لها الأولوية، في حين نجد أنه وفي عصور الانحطاط والابتعاد عن القيم والمعاني والمبادئ الأساسية لديننا الحنيف، بأن الأولوية كانت دائماً للاعتبارات والمصالح الضيقة والفردية والطائفية والمذهبية على حساب الإسلام نفسه قبل الأمة الإسلامية.

ما الذي جنته وتجنيه الأمة الإسلامية من الفرقة والتباعد والانقسام

والاختلاف وشق الصفوف؟ هذا ما نجد من المهم جدّاً الإجابة عنه لأهميته الكبيرة ووضع النقاط على الأحرف؛ حيث إن الأمة الإسلامية وخلال عصر الاختلاف والانقسام قد صارت في وضع أهم سماته وملامحه هي ما يلي:

.انشغال الأمة ببعضها وترك أعدائها الخارجيين.

.استبدال الأعداء الخارجيين الحقيقيين بأعداء وهميين تمَّ اختلاقهم من بين صفوفها.

.الانشغال بالنصوص والقضايا التي عليها الخلاف والاختلاف وتحفها الضبابية وعدم الوضوح وترك وإهمال النصوص والقضايا الأساسية المتفق عليها.

. حصر الإسلام في إطار مذهبي أو نظري ضيق بما يجعله في وضع لا يسمح له بالانطلاق عالميّاً.

. جعل التشكيك وظن السوء بالبعض أساساً ومعياراً للتعامل بين مكونات الأمة.

.ظهور فرق وجماعات متطرفة تتصيد في مياه الاختلافات والانقسامات العكرة وتستغلها من أجل تحقيق أهداف وغايات وأجندة مشبوهة لا علاقة لها بالإسلام لا من قريب ولا من بعيد.

.التمهيد لأجواء صالحة لظهور ونشوء الفتن بمختلف أنواعها.

. انعدام الأمن والأمان وطغيان الفلتان الأمني بمختلف صوره كما يجري في بعض البلدان التي تعاني حاليّاً من ذلك بكل وضوح.

-الفشل وذهاب القوة: شمولية الفشل لمناحي الحياة، وهذا يعني موت الأمة بأسرها، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بذهاب الريح، حتى تعود الأمة أعداداً بلا عدة، وأرقاماً بلا معنى، أي الحالة الغثائية التي لا تحافظ على موجود ولا تلوي على مطلوب، فيتداعى الأكلة إلى قصعة الأمة، فيطمع فيها كل قوي وضعيف، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

لقد عرف الخوارج عبر التاريخ بقوة العزيمة وشدة البطش، وعظيم الإخلاص لأفكارهم والتفاني لها، لكن مع ذلك كان يكثر بينهم الخلاف والنزاع لأتفه الأسباب، وكان هذا من عوامل هزائمهم المتكررة، وقد فطن لذلك المهلب بن أبي صفرة. الذي كان ترساً للمسلمين منهم. فكان يبعث إليهم من يبث الخلاف بينهم لتفريقهم وإضعافهم، فيكفى مؤنة حربهم وقتالهم.

.زعزعة الثقة بالعلماء والحكام والأمة، بل بالإسلام ومناهج العاملين والداعين إليه، فقد جرت عادة الناس في الربط بين الداعي ودعوته نجاحاً وفشلاً، ومن ثم إتاحة الفرصة لظهور تيارات من التشكيك والدعوة للانسلاخ من الدين على نحو ما ظهر في أوروبا المسيحية في مقدمات عصر النهضة، فانظر كم يجني أهل التنازع على الأمة ودينها

ورسالتها!

. إتاحة الفرص لاحتواء بعض الرموز أو بعض الجماعات أو بعض الدول من قبل أعداء الأمة والانفراد بها؛ إغراء وإغواء، على نحو ما حدث في محنة كعب بن مالك وقد هجره المسلمون فيمن هجروا من المتخلفين عن تبوك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضي الله فيه وفي صاحبيه، فكتب إليه. وهو في هذه الحال العصيبة، وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه. ملك غسان: أما بعد، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. قال كعب: فقلت حين قرأتها، وهذه أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرتها... إنها فتنة وبلاء وابتلاء لا يقوى عليه إلا الموفقون، ومن كان في ثبات كعب بن مالك وإيمانه، وقليل ما هم. ومن هنا يبرز مغزى قوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد".

.انتزاع البركة من الأفراد والجماعة ومن الأمة بأسرها، وتركها لنفسها، تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يجمع أمتي -أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم- على ضلالة، ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار".

. من آثار الافتراق: التخاذل المتبادل بين أفراد الأمة وجماعاتها ودولها وحكوماتها، وأن يسلم بعضهم بعضاً إلى الأعداء والفتن، بل والتحرش

بهم، وتهييج الأعداء عليهم؛ نكاية ووشاية وشماتة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه".

. الافتراق والتعادي يؤكد ما يقوله المستشرقون إن العالم الإسلامي لم ينعم بالهدوء إلا صدراً من جيل الخلافة الراشدة، وبعدها تعرضت دولة الإسلام إلى النزاعات والصراعات الداخلية التي لم تنقطع، وربما ربطوا ذلك. ظلماً وزوراً. بطبيعة الدين نفسه، وقد اشتهرت صراعاتنا السياسية على كافة المنابر وعلى الملأ حتى شاعت مقولة: اتفق العرب على أن لا يتفقوا، والعرب رحى الإسلام ومصدر قوته.

. الافتراق والتعادي يحرم الأمة من محاسن الاختلاف، وهو ما يعبر عنه باختلاف التنوع، وهو ثروة علمية ضخمة تميز بها التراث الفقهي الإسلامي، تدل على قوة إبداع، وعمق تفكير، وتوفر مساحة واسعة ومتنوعة من الآراء والاجتهادات تستفيد منها الأمة في مواجهة مستجدات الحياة المعاصرة، وتنوعها، وتفاوتها من بلد إلى بلد، ومن بيئة إلى بيئة، ولقد اشتهر عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله: "ما يسرني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لكان الناس في شدة، فلما اختلفوا كان الناس في سعة".

. التنازع والتفرق يصيب البعض بالإحباط والتثبيط فينزوي بعيداً، وينكفئ على نفسه مؤثراً السلامة كما تزين له نفسه، فتحرم الأمة من

خيره وجهده وإضافاته، وربما كان أسوة سيئة، ونموذجا سلبيّاً لغيره، فيقوى تيار الانعزال والانزواء، فتجمد حركة الأمة، ويضعف رصيدها في مجال الإبداع والتقدم.

. لولا التنازع والتمزق لما تسنى لأحد أن يملي على الأمة ويفرض عليها خيارات تخالف دينها ومصالحها ومستقبلها، لكن ما حيلة الضعيف إلا أن يخضع لإرادة الأقوياء، ومن خلال ذلك مررت ما يسمى بمشاريع التسوية الظالمة والهاضمة للحقوق، فتقدم التنازلات، وتنتزع الاعترافات، بل وأحياناً تقدم المبادرات والتبرعات لاسترضاء العدو الغاشم، أو للحصول على صك البراءة من تهمة الإرهاب ونحوه، ولسان الحال يقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

. التنازع والتفرق يشغل الأمة عن همومها العظام، وتحدياتها الجسام، وتستمرئ الأمة حرباً طاحنة فيما بينها، حتى يأكل بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً، كان الأولى أن توجه هذه الجهود والطاقات نحو البناء والتنمية ومواجهة الأعداء الذين يدورون حول الأسوار ويلوذون

بالأبواب؛ يتحينون الفرص، ويرقبون الصيد، عسى أن يفوزوا منه بغفلة.

فمن الخيانة للأمة أن يحمى الوطيس، وتنصب المناجيق، ويتقاذف الناس بكلمات هي أشد من الحجارة، وأنكى من السهام من أجل مسائل تحتمل أكثر من وجه وتقبل أكثر من تفسير، فهي من مسائل الاجتهاد، التي دلت على سعة هذا الدين ومرونته، المصيب فيها مأجور والمخطئ فيها معذور، وخطؤه فيها مغفور، بل هو. بنص الحديث. مأجور.

لهذا كان من الواجب على الدعاة والمفكرين الإسلاميين أن يشغلوا جماهير المسلمين بهموم أمتهم الكبرى، ويلفتوا أنظارهم وعقولهم وقلوبهم إلى ضرورة التركيز عليها والتنبيه لها، والسعي الجاد ليحمل كل فرد جزءاً منها، وبذلك يتوزع العبء الثقيل على العدد الكبير، فيسهل القيام به.

. التنازع والتفرق يفقد الناس والأمة الشعور بوحدة الجسد ووحدة الهم ووحدة المصير، مما يحدو بكل طائفة أن تتصرف بمفردها بمعزل عن الأمة، وربما أدى ذلك التصرف الانفرادي إلى مآسٍ تعود على الأمة جمعاء بآثارها وتبعاتها.

. إشاعة روح التفرق والتمزق، وبروز المزيد من النحل والطوائف المتناحرة، بل جرت العادة أن التيار الواحد ينقسم على نفسه مرات ومرات، حتى خرج تعدادها عن المألوف وتجاوزت المعروف، وبعضها

يقوم وليس له من مبرر؛ فإن اختلف ثلاثة مع جماعة شكلوا جماعة أخرى، وإذا فصل خمسة من تنظيم أنشؤوا تنظيماً جديداً، وإن طردت مجموعة من حركة كونت حركة تصحيحية!

خلاصة الأمر، فإن الأمة الإسلامية تقف اليوم أمام مفترق يؤدي إلى طريقين لا ثالث لهما، الوحدة أو الفرقة، بكلام آخر أكثر وضوحاً وأفصح تعبيراً؛ ما أراده الله ورسوله للأمة الإسلامية أم ما نهوا عنه نهياً قاطعاً وحذروا منه بشدة؟

لم يكن عليّ شيعيّاً ولا عمر سنيّاً

نشوء المذاهب الإسلامية التي تحدثنا عنها آنفاً بشيء من التفصيل، لم يكن على أساس سلبي أو دافع تجزيئي وانقسامي، وإنما على أساس إيجابي كان يهدف إلى خدمة الإسلام وتعاليمه والحرص على مبادئه ومعاييره وقيمه، والحقيقة الأكبر والأكثر خطورة وأهمية وتأثيراً، هي أن المذاهب لم يكن لها من وجود في عهد الخلفاء الراشدين"رضي الله عنهم"، وإنما ظهرت بعدهم، فلم يكن الخليفة عمر الفاروق"رضي الله عنه" سنيّاً ورافضاً للشيعة، مثلما لم يكن الإمام عليّ كرم الله وجهه، شيعيّاً ورافضاً للسُّنة، وكذلك الأمر بالنسبة لأبي بكر الصديق"رضي الله عنه" ولعثمان ذي النورين "رضي الله عنه" والأمر نفسه بالنسبة لبقية الصحابة، حاشاهم الله تعالى من ذلك، بل كانوا جميعاً يداً واحدة وقلباً واحداً ويسيرون في اتجاه واحد وهدف واحد هو إعلاء كلمة الإسلام.

العلاقات الاجتماعية وعرى الروابط القوية التي كانت تجمع الخلفاء الراشدين الأربعة "رضي الله عنهم" بشكل خاص إلى بعضهم وصحابة رسول الله ﷺ إلى بعضهم البعض والتي جعلت منهم وبحق مثالاً ونموذجاً للبنيان المرصوص، من حقنا أن نستفهم ونتساءل، ما الذي حدث وجرى لكي تتغير هذه الصورة بعد انتهاء العهد الراشدي؟ ماذا وراء هذا الكم الكبير من الأخبار والروايات المدسوسة والمشبوهة عن خلافات ومشاحنات وكراهية وحقد مفترض بين الخلفاء الراشدين"رضي الله عنهم"؟ لم يكن لا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان سنيّاً

مثلما لم يكن عليّ شيعيّاً، بل كانوا كلهم مسلمين وينتمون للإسلام قلباً وقالباً، وهذه حقيقة دامغة تصفع كل من يريد أن يتصيد في المياه العكرة ويسعى لقلب الحقائق وتشويهها.

إننا ندعو إخواننا من السُّنة والشيعة على حد سواء، ونسألهم جميعاً، على أكتاف من بُني الإسلام وصار صرحاً عظيماً هدَّ عرش كسرى وهدد عرش الروم؟ ألم يُبنى على أكتاف الرسول ﷺ وأصحابه نظير أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وغيرهم؟ بأيّ حق وبأيّ تبرير وتسويغ تشككون فيمن حملوا الإسلام من أساسه على أكتافهم؟ كيف يتجرأ الفقيه السُّني أن يتعرض لرموز جليلة مثل عليّ بن أبي طالب وعمار بن ياسر والمقداد ابن الأسود الكندي وغيرهم وهم الذين أفنوا حياتهم من أجل الإسلام؟ أم كيف يتجرأ الفقيه الشيعي على النيل من قامات مثل أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم وهم الذين لازموا الرسول الأكرم ﷺ وقدموا كل غالٍ ونفيس من أجل نصرة دين الحق؟ ألا يعلم فقهاء وأتباع الفريقين أن الإسلام قد بُني على أساس تلك الرموز الخالدة، وأن التعرض لها يعني التعرض للإسلام والتشكيك فيه من أساسه، فهل هذا يكفي لكي يصحو الجميع من غفلتهم وينتبهوا إلى أين يدفعون بالأمور أن تسير؟

ما يؤلم كثيراً ويبعث على الحزن ويدفع باتجاه الحيرة هو أن الدفع باتجاه التشكيك بالعلاقة والرابطة القوية الراسخة التي كانت تجمع بين الخلفاء الراشدين الأربعة، لا يمكن أن يتناسب ويتفق إطلاقاً مع الاتجاه للتأكيد على قوة العلاقة ورسوخها.

الاستمرار بحالة الدفع الحالية باتجاه التفرقة والاختلاف وتعزيز كل ما يساعد على التباعد والانقسام بين مكونات الأمة الإسلامية، يعني أن معاول الهدم والتشكيك في التأريخ الإسلامي المجيد في عهد الخلفاء الراشدين "رضي الله عنهم"، ستبقى مستمرة في عملها المشبوه، خصوصاً فيما لو لم يكن هناك من مساع حميدة لمواجهة هذه الحالة السلبية والوقوف ضدها بالصورة التي تضع النقاط على الحروف وتوضح الحقائق كما كانت وليس كما ترغب اتجاهات الاختلاف والانقسام أن تكون.

إننا لا ندعو أبداً إلى إلغاء المذاهب أو معاداتها أو رفضها، وإنما ندعو للعمل باتجاه الانفتاح على بعضها وتقبلها للآخر بالشكل والمضمون الذي يطرحه القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، وإننا إذ ندعو إلى التقارب فلا بدّ لنا أن نعلم ونتيقن أن هناك تباعداً فعليّاً ملموساً على الأرض، تباعداً يتم استغلاله على أفضل ما يكون من جانب أعداء الإسلام ومبغضيه، فالتقارب من ثم وسيلة لجمع الشمل ورأب الصدع، وتبادل حسن الظن، والتقدير من أجل صيانة وحدة الأمة، ولهذا لا يراد به إلغاء أصل الخلاف بين المذاهب، فما كان لأحد أن يحجر على عقول دعاها الله إلى النظر في ملكوته، أو يقصر الناس على إحدى طرائق الفهم أو بعض وسائل النظر، ولا يعني هذا تحبيذاً للاختلاف، أو دعوة إليه، وإنما كل ما يشير إليه أن الاختلاف في مجال الدراسات الفقهية لا يعد قدحاً، وأن الفقهاء في اجتهادهم لم يخرجوا على أصول دينهم؛ فقد نهى الكتاب العزيز عن التفرق والاختلاف، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ وَلَا

﴿تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ (١٥١)، فإذا عرفنا أن هذا النهي منصب على التفرق في أصل الدين والتوحيد، وما يطلب فيه القطع دون الظن أدركنا أن الاختلافات الفقهية -وهي تدور في فلك الأحكام الظنية ولا علاقة لها بأصل الدين والتوحيد -لا تنسحب عليها دلالة ذلك النهي.

ومن هنا، فإن أصل الدعوة للتقارب بين المذاهب هو العمل باتجاه تشذيبها من النزعات الانطوائية والانعزالية والانغلاقية ذلك أن ما نقول: "لا يعني التقارب إلغاء المذاهب، أو دمج بعضها في بعض، أو تغليب مذهب على آخر، فهذا ما لا سبيل إليه، ولا جدوى منه؛ لأن بقاء المذاهب في إطار المفهوم الإسلامي للاختلاف في الرأي من عوامل ازدهار الحياة الفقهية ونموّها، وتقديم الكثير من وجهات النظر التي ترى فيها الأمة سعة ويسراً في الأخذ والتطبيق بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان، وما دام التقريب لا يراد به إلغاء الخلاف بين المذاهب أو إلغاء المذاهب ذاتها، أو إدماج بعضها في بعض؛ فإن الغاية منه تنحصر في أن يسود بين المذاهب المعتبرة تعاون وثيق، وتفاهم عميق، وتقارب يزيل الشك ويؤكد صدق النوايا، ويعبر عن الأخوة الإسلامية"(١٥٢). وبطبيعة الحال لا بدّ من لفت أنظار الفقهاء الأجلاء من المذاهب الإسلامية إلى ضرورة وضع ضوابط ومنطلقات أساسية تغلق الباب أمام نوايا الاختلاف بسياقها السلبي وتضع حدّاً لها، وفي الوقت نفسه الحث والتحفيز على تسليط الأضواء والتركيز على الضوابط والمنطلقات الأساسية التي تعمل وتساعد على نوايا التقارب والتآلف والانسجام.

ركائز التقريب بين مكونات الأمة الإسلامية

من الواضح جدّاً أن العمل للتقريب بين مكونات الأمة الإسلامية، يجب أن يبدأ من فقه المذاهب التي يعتنقونها ويعملون بضوابطها، ذلك أنه ومن دون العمل من الأساس الفقهي لن تكون هناك نتيجة أو ثمار للجهود المبذولة، وأن التقريب بين المذاهب كما هو واضح وجليّ، ليس بذلك الأمر اليسير، بل فيه الكثير من التعقيد، غير أنه وفي الوقت نفسه ليس بالمستحيل، وهذا هو المنطلق الأساسي والأرضية والقاعدة الرئيسة التي يجب الانطلاق منها للعمل.

الدعوة للتقارب بين المذاهب والجهود المبذولة بهذا الصدد، لا تزال محصورة في الجانب النظري ويوجد بينها وبين الجانب التطبيقي مساحات من التباعد والتباين، ونحن نعتقد بأن هذه الدعوة لا بدّ من أن تعتمد على أسس شفافة وراسخة في الوقت نفسه لكي تؤدي دورها ومهمتها على أفضل ما يكون، ولا ريب من أن هناك ركائز أساسية يجب أخذها بنظر الاعتبار من أجل تحقيق التقارب وهي:

١. يجب الانطلاق من أصول الدين الإسلامي التي لا يوجد أي اختلاف بشأنها بين جميع مكونات الأمة الإسلامية، وهذه الأصول هي الإيمان بالله الواحد الأحد سبحانه وتعالى ربّاً، وبمحمد ﷺ نبيّاً وخاتماً للرسل والأنبياء للعالمين، وبالقرآن كتاباً منزلاً من عند الله عز وجل، وبالكعبة قبلة للمسلمين جميعاً وبيتاً محجوجاً، وبأركان الإسلام الخمسة

المعروفة، وبكل ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

الأصول المذكورة أعلاه تعتبر جوهر الإسلام وروحه النابض وكل من يؤمن بها فهو مسلم يحرم دمه على المسلمين، وفي الوقت نفسه فقد انعقدت بينه وبين سائر المسلمين في كل مكان أخوة في العقيدة مهما يكن المذهب الذي ينتمي إليه، وهذه الأخوة يحرم معها أن يخذل مسلم مسلماً أو يعاديه أو يؤذيه أو ينحاز إلى من يعاديه أو يؤذيه. وإن تأكيد أنه لا اختلاف بين المسلمين في الأصول هو المنطلق لتحقيق مفهوم التقارب، فقد وقر في الأذهان والمشاعر بسبب العزلة الطويلة التي فرضها تبادل العداوات من قديم، وما نجم عن هذا من جهل أتباع المذاهب بعضهم بعضاً، وتصديق ما شاع عنهم من أراجيف وترهات أعطت انطباعاً غريباً منفراً حمل على الخيفة والتوجس، فإذا ما أدرك الجميع أنهم لا يختلفون حول أصول العقيدة، التي يؤمنون بها، فإن تلك المشاعر الموروثة التي غذاها الجهل ومكّن لها طول الزمن ستخف حدتها، وتتوارى شيئاً فشيئاً، ومن ثم تصبح النفوس مهيأة للتآلف والتعارف، ويصبح لصوت التقريب صدى طيب في كل ديار الإسلام.

٢. عندما يكون هناك اتفاق بأنه لا اختلاف بين المسلمين على تعدد مذاهبهم الفقهية في الأصول يعد البداية الصحيحة للتقارب، فإن الاختلاف في الفروع يجب أن يدرس دراسة علمية تبتغي الوقوف على أسباب هذا الاختلاف وطبيعته مع مراعاة الأصل المتبع في عهد الخلفاء الراشدين"رضي الله عنهم"، وهذه الدراسة هي الوسيلة العملية لجعل

التقارب حقيقة واقعية؛ وذلك لأن الاختلاف في الفروع كان مصدر التعصب والتباين والعداء، وكان عدم الوقوف على أسبابه العلمية وموقف الأئمة منه يحول بين أتباع المذاهب والنظرة الموضوعية إليه، ويتخذون منه ذريعة للتعصب، والاتهام بالمروق من الدين أو الابتداع فيه. وهناك ملاحظات بالغة الأهمية يجب أخذها بنظر الأهمية والاعتبار يجب جعلها أسساً في التقريب في الاختلافات الفقهية وفي القضايا الفرعية، وهي:

.التسليم بأن اجتهادات الفقهاء وآراءهم ليست شرعاً واجب الاتباع، وإنما هي فهم بشري لنصوص الشريعة وقواعدها العامة، ولهذا تحتمل الصواب والخطأ، وليس لها صفة الثبات والخلود.

.كان من وراء اختلافات الفقهاء في الفروع أسباب علمية تشهد للأئمة بالحرص البالغ على تحري الحق والصواب، كما تشهد لهم بالعقلية الفاحصة والنظرة الثاقبة والفهم الواعي للحنيفية السمحة، ومعرفة هذه الأسباب في دراسة الاختلافات في الفروع يقضي عليها بالتقويم الموضوعي الذي لا يعرف الإفراط أو التفريط.

.الاقتناع بأن أئمة الفقهاء لم يتعصبوا لآرائهم، ولم يدع واحد منهم أن اجتهاده هو الصواب وحده، ولذا كان كل منهم يحترم رأي غيره ويطبقه، وإن لم يكن قد قال به سدّاً لباب الاختلاف، وتأكيداً أن كل الآراء يجب أن تلقى التقدير بدرجة سواء.

٣. عندما يكون الحكم على الشيء فرعاً عن تصوره، وإذا كان منهج الإسلام الدقيق في المعرفة العلمية يقوم على التثبت من كل خبر، ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾(١٥٣). وإن كثيراً من مظاهر التعصب والآراء بين أتباع المذاهب مردها إلى أن أتباع كل مذهب جهلوا ما لدى غيرهم بوجه عام، وحصروا أنفسهم في دائرة المؤلفات المذهبية الخاصة يدرسونها، ويرونها وحدها الزاد الفقهي الذي يغني، والنتيجة الحتمية لهذا الانكماش الفقهي الاقتناع بأن ما لدى المذهب من آراء هي الدين الذي لا يجوز لأحد أن يفرط فيه أو يخالفه، ويترتب على هذا تبادل التهم بين أتباع المذاهب، وزعم كل طائفة أنها على الحق دون سواها.

٤. للعمل من أجل إزالة أسباب النفور والجهل بين أتباع المذاهب والانكباب على مؤلفات المذهب دون غيرها، والوقوف على الآراء والاجتهادات في التراث الفقهي كله، من المهم مراعاة النقطتين التاليتين:

. التوسع في الدراسة الفقهية المقارنة خاصة في الجامعات وكليات الشريعة، وضرورة أن يتم ذلك في أجواء مفعمة بروح الانفتاح وتقبل الآخر.

. ضرورة وأهمية تعدد وتوسع دائرة اللقاءات والندوات العلمية بين

الفقهاء المعاصرين وجعل مكونات الأمة على اطلاع ودراية وتواصل مع الذي يدور بينهم.

٥. على الفقهاء والعلماء أن يهتموا بتوعية الرأي العام بالثوابت التي تجمع بين أبناء الأمة الإسلامية، وأن يوضحوا لهم أن قاعدة الالتقاء بين المذاهب الفقهية عريضة، وأن مظاهر الاتفاق أكثر من مظاهر الاختلاف وأن هذه المظاهر لا ينبغي أن تفرق بين أبناء الأمة الواحدة، فهي رحمة واسعة وتيسير، فلا يجوز أن تصبح مصدر فتنة وتمزيق.

٦. ولكي تنجح تلك الخطوات في تحقيق التقارب بين المذاهب ينبغي أن تتوقف الأقلام، وتكف الألسن عن لغة التشنيع والاستفزاز والتحامل، وإثارة المشاعر والخواطر على نحو يعمق سوء الظن والنفور والتباعد بين أتباع المذاهب، وذلك بترديد ما اشتمل عليه التراث الفقهي خاصة في عصور الضعف والتقليد من أحكام وأقوال لو صدقها المسلمون الآن لاستحل بعضهم دماء بعض، كما حدث في الماضي، بل وكما حدث في الحاضر القريب.

٧. إعطاء الأولوية القصوى للمسائل والقضايا الجامعة والمتفق عليها والتي هي الحاضن الأساسي للإسلام، وهذه المهمة يجب العمل من جانب الفقهاء من مختلف المذاهب من أجل تجسيدها لديهم مع التأكيد على أهميتها الاستثنائية.

٨. ضرورة أن يسعى الفقهاء من كافة المذاهب الإسلامية لتخصيص

باب أو حتى فصل من بحوثهم الفقهية يتم فيه التركيز على قضية وحدة الأمة صفّاً وكلمة.

٩. الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب لا تعني أبداً إلغاء ورفض الآخر، وهذا ما يجب التأكيد عليه ولفت انتباه الأمة الإسلامية من مختلف المذاهب إلى حقيقة أن الإسلام أو من آمن بالديمقراطية عندما سمح بالاختلاف الإيجابي التنوع والتباين في الآراء والمواقف من أجل بناء حضارة تقوم على أسس وركائز علمية وعملية وواقعية، وتعليمهم بأن تعدد المذاهب إغناء للإسلام وتقويته وليس إضعافه وتشتيته، ولذلك فإنه واجب شرعي على كل مسلم ليس أن يحترم المذاهب الإسلامية الأخرى فقط وإنما أن يدافع عنها إذا اقتضى الأمر.

١٠. تشكيل وفود مشتركة من فقهاء المذاهب الإسلامية للمشاركة والمساهمة في المؤتمرات العالمية لأتباع الديانات السماوية، واتخاذ مواقف معتدلة إيجابية من أتباع الديانات الأخرى بما يؤكد على روح التسامح لدى الدين الإسلامي.

الفصل الثالث

مبادئ فقه الوحدة الإسلامية

مبادئ فقه الوحدة الإسلامية

بعد أن تحدثنا وبصورة مسهبة عن قضية الوحدة الإسلامية ومختلف الجوانب والأمور المرتبطة بها، وتوصلنا إلى حقيقة أن الوحدة الإسلامية التي هي فريضة وضرورة، من ضمن المسائل والقضايا الأساسية التي أكد عليها القرآن الكريم والسُّنة النبوية بما يثبت أن أهميتها تأتي في الصدارة، وأنها من الأولويات، فقد صار مطلوباً أن نطرح الخطوط العريضة للمبادئ الأساسية لهذا الفقه من أجل الاسترشاد به كدليل لإنارة ظلام الفرقة والانقسام والاختلاف. وما نطرحه نودّ التوضيح أنه خطوة ومسعى على الطريق من أجل بلورة فهم وطرح إسلامي مثالي ونموذجي بشأن فقه الوحدة الإسلامية في سبيل أن نتمكن من تفعيله وتجسيده وتطبيقه على أرض الواقع وليس فقط أن نقوم بالتنظير والكتابة ونتمنى من بعدها.

المبادئ التي ندرجها كمسائل أدناه، تمثل رؤيتنا المستمدة من الكتاب الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، ونسعى من خلالها أن نسد فراغاً بات يؤثر سلباً على واقع الأمة الإسلامية بما يهدد وحدتها ويشكل خطراً على مستقبلها، وإننا نعتقد بأن الإسراع في العمل بهذا الاتجاه، أمر يخدم الإسلام والمسلمين وفق قاعدة "خير البر عاجله"، ولا يوجد هناك من خير كما هو الحال مع وحدة أمة﴿اقرأ﴾ ونزع ما بينها من غل وأحقاد وضغائن وشكوك تجمعت مع الأيام من جراء الابتعاد عن المبادئ والقيم الأساسية للإسلام.

لقد كنا ولا زلنا نؤمن إيماناً راسخاً بأن واقع الأمة الإسلامية بأمسّ الحاجة إلى الأفعال وليس الأقوال، فقد تزاحمت على الأمة الأقوال والأحاديث والخطب حتى صار هناك من لا يعرف حقها من باطلها، ولذلك فإن التصدي لهذا الواقع والسعي للعمل من أجل جعله سهلاً يسيراً لسالكيه، إنما يعتبر واجباً شرعيّاً وليس مجرد ترف فكري وثقافي نقوم به من أجل أهداف وغايات معينة.

ما نقدمه هنا، هو برأينا المتواضع أول خطوة تتم بهذا المجال، ولذلك فإننا نقدم اعتذارنا بداية من أيّ تقصير أو قصور أو أخطاء أو التباس غير متعمد، ذلك أن هدفنا كما هو واضح هدف سام ومقدس يهدف إلى جمع الأمة الإسلامية على الفعل والكلمة وجعلها صفّاً واحداً، ونحن نتطلع لإثراء مسعانا هذا وإغنائه من قبل الفقهاء والعلماء بما يجعله متكاملاً ومفيداً ويؤدي إلى الأهداف والغايات الأساسية المرجوة منها والله المستعان.

المسألة الأولى:

الوحدة الإسلامية تعريفها، تكوينها، انقسامها والسبيل إلى جمعها.

تعريف الوحدة الإسلامية: هو أن تكون الأمة الإسلامية صفّاً واحداً ولها كلمة وموقف موحد ليس فيه أيّ خلاف أو اختلاف مما يجعلها تبدو كالجسد الواحد أمام العالم.

تكوين الوحدة الإسلامية: الوحدة الإسلامية وبالاستناد على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، حقيقة ثابتة لا تقبل النقاش أو الجدل، وهذه الحقيقة كانت ثابتة تماماً كما رسمتها وأكدت عليها النصوص في عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين"رضي الله عنهم" وما تبعه من العهود، مع ملاحظة أن العصبية والشعوبية قد بدأت تطل برؤوسها في العهود التي تلت عهد الخلفاء الراشدين"رضي الله عنهم" بين الجماعات والفرق الإسلامية بما يفرق كلمتها ويشتت ويبعثر صفوفها. وقد تصدى لهذه الحالة المنافية للإسلام الفقهاء الأمناء على الإسلام بالعمل على لمِّ الشمل والتأكيد على ما قد أمر به القرآن الكريم وطالب به النبي الأكرم ﷺ في أحاديثه الشريفة، بإعادة أمر المسلمين كسابق عهدهم أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين"رضي الله عنهم" كأمة واحدة يقفون معاً كالبنيان المرصوص.

انقسام الأمة الإسلامية: أمر بدأ يظهر بتغليب الفرعية والجانبية "أي القضايا المذهبية والعرقية والعصبية"على القضية والفريضة الأساسية، أي

الوحدة الإسلامية، فبدأت تظهر المذاهب والممالك والأقاليم التي تمجد دعاتها ورعاتها وتهمل أو تتجاهل المكون الأكبر أي الأمة الإسلامية، وهذا ما شق صفوف الأمة وأثّر سلباً على جميع مكوناتها قاطبة، ذلك أن الفرقة والانقسام لا تخدم فرقة أو طائفة أو مذهباً، بل إنها تضرّ الجميع لأنها تجعلهم كالغنم القاصية.

السبيل إلى جمع شمل الأمة الإسلامية: السبيل الأمثل من أجل جمع شمل الأمة الإسلامية وإنهاء تفرّقها وانقسامها وتشتتها، إنما يكون بحثّها لكي تعود وتحيي النهج الذي كان قائماً في عهد الرسول الأكرم ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين"رضي الله عنهم"، وكلاهما العهد الحقيقي والأصيل للإسلام، وينبغي لنا أن نعمل من أجل اجتثاث ونبذ كل الأدران والمخلفات التي أدت بالمسلمين إلى الوضع السلبي الراهن والذي تمتد جذوره وبصورة واضحة إلى عهود ما بعد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين"رض". فالأصل في الإسلام هو وحدة الأمة الإسلامية، أما تشتت الأمة الإسلامية أو بعثرتها فهو بمثابة بدعة، وقد جاء في حديث جابر بن عبدالله"رضي الله عنه"، وفيه أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: **"إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"**(١٥٤). فشق وحدة صف الأمة الإسلامية، بمثابة بدعة تتعارض وتتنافى مع الأصل الإسلامي، أي الوحدة الإسلامية.

المسألة الثانية:

وحدة الأمة الإسلامية فريضة وضرورة.

الوحدة الإسلامية كما ذكرنا سابقاً هي فريضة وضرورة لا مناص منها أبداً، وتستمد قوتها الاعتبارية من القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة بصورة تؤكد على وجوبها ولزومها وترتب العقوبة على المتجاهل والمهمل لها، وهناك عدد من الأدلة الدامغة بهذا الصدد، وبخصوص كونها فريضة فإن هناك أدلة من القرآن الكريم والسُّنة النبوية السمحة بشأنها:

ـ من القرآن الكريم:

أ . قال عز وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(١٥٥)، فما جاء في هذه الآية الكريمة هو بمثابة أمر إلهي موجّه للأمة الإسلامية برمّتها من دون أيّ استثناء، فالأمر لم يأت بصورة موجهة للأفراد وإنما للأمة بما يؤكد ويثبت أهميتها الاعتبارية القصوى. وبهذا الصدد، يقول ابن عاشور رحمه الله:" والاعتصام افتعال من عصم، وهو طلب ما يعصم أي يمنع، والحبل: ما يشد به للارتقاء، أو التدلي، أو للنجاة من غرق، أو نحوه، والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفاتهم إلى دين الله ووصاياه وعهوده بهيئة استمساك جماعة بحبل ألقي إليهم منقذ

لهم من غرق أو سقوط، وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا التمثيل، وقوله: ﴿جميعاً﴾: حال وهو الذي رجح إرادة التمثيل، إذ ليس المقصود الأمر باعتصام كل مسلم في حال انفراده اعتصاماً بهذا الدين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمة كلها"(١٥٦).

ب . قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾(١٥٧). وهنا تأكيد واضح على أن التنازع والاختلاف بسياقه السلبي الذي يفتت وحدة الأمة ويفرق كلمتها، وأكد سبحانه النهي عن التنازع بذكر مفاسده وأضراره وأخطرها الفشل وذهاب الريح، قال الرازي رحمه الله: "وفيه مسائل: المسألة الأولى: بيّن تعالى أن النزاع يوجب أمرين، أحدهما: أنه يوجب حصول الفشل والضعف، والثاني: قوله ﴿وتذهب ريحكم﴾ وفيه قولان، الأول: المراد بالريح الدولة، شبهت الدولة وقت نفاذها وتمشية أمرها بالريح وهبوبها، يقال هبت رياح فلان إذا دانت له الدولة ونفذ أمره، الثاني: أنه لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله، وفي الحديث: "نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور"، والقول الأول أقوى لأنه تعالى جعل تنازعهم مؤثراً في ذهاب الريح ومعلوم أن اختلافهم لا يؤثر في هبوب الصبا قال مجاهد ﴿وتذهب ريحكم﴾ أي نصرتكم وذهبت ريح أصحاب محمد حين تنازعوا يوم أُحد"(١٥٨).

ج . قال عز وجل: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا

﴿تَنَفَرَّقُواْ﴾(١٥٩). يعبر بعض الدعاة المعاصرين عن هذا المعنى بأن قيام الدين على ركنين هما: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، ولا تستقيم أمور المسلمين في الدين والدنيا إلا بهما.

ـ من السُّنة النبوية الشريفة.

أ. قال النبي الأكرم ﷺ: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"(١٦٠). هذه الوصايا كما يتضح من سياقها ولا سيما عند مطابقتها بالقرآن الكريم، نجدها إلزامية حيث إن لزوم جماعة المسلمين من ضمن القواعد الأساسية في الإسلام.

ب. قال النبي ﷺ: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة"(١٦١). وهناك أقوال عديدة في تفسير الجماعة بهذا الحديث الشريف، لكن القول الغالب إنهم"أي الجماعة"، السواد الأعظم من الأمة.

ج. قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "سمعت رجلاً قرأ آية سمعت من النبي ﷺ خلافها، فأخذت بيده فأتيت به رسول الله ﷺ، فقال: "كلاكما محسن". قال شعبة أظنه قال: "لا تختلفوا فإن من كان

قبلكم اختلفوا فهلكوا"(١٦٢).

ـ قال أيضاً عليه الصلاة والسلام: "من فارق الجماعة شبراً خلع الله ربقة الإسلام من عنقه"(١٦٣). وكلام النبي ﷺ، هنا واضح أشد الوضوح ولا يحتاج لأيّ تفسير أو شرح.

أما كون الوحدة الإسلامية ضرورة؛ فإن ما يبرر ذلك هو أن قوة واقتدار المسلمين وضمان مصالحهم وكامل شؤونهم مرتبط بوحدة صفهم وكلمتهم، وبعكس ذلك أي تفرقهم وانقسامهم فإن فيه أكبر الضرر لهم ليس من ناحية الدنيا فقط وإنما من ناحية الدين أيضاً، ولهذا يستوجب الحذر الكامل من الأخطار المحدقة بوحدة الأمة الإسلامية والتي أهمها:

ـ مخالفة أمر الله ورسوله.

اختلاف المسلمين وتفرقهم مخالفة لما ورد في الكتاب والسُّنة من الأمر بالوحدة واجتماع الكلمة، وقد أوردنا فيما سبق بعض النصوص من الكتاب والسُّنة مما يدل على وجوب وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم على الحق، وهي كلها نصوص محكمة يتحتم العمل بها في كل زمان ومكان، لم ينسخ منها شيء.

فوحدة المسلمين ليست خياراً استراتيجيّاً يلجأ إليه المسلمون عند

الحاجة أو الضرورة، بل هي أصل من أصول الدين الكلية، وقاعدة من قواعده العظمى، والتفريط فيها معصية توجب غضب الله وعذابه في الدين والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (١٦٤).

ـ اختلاف القلوب وتفريق الدين.

إن الاختلاف في الأعمال الظاهرة كصور أداء العبادات، وتحديد مواقيتها الزمانية أو المكانية، أو تباين مواقف المسلمين في القضايا المصيرية، يؤدي إلى اختلاف القلوب ويدل على تنافر المقاصد والنوايا.

ولذلك كان النبي ﷺ يأمر الصحابة بتسوية الصفوف عند الصلاة فيقول: عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: "استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم"(١٦٥).

والله المستعان، فقد وقعت الأمة فيما حذرها منه النبي صلى الله عليه وسلم لما اختلفوا بينهم فاختلفت قلوبهم، فأصبحت كل طائفة تؤدي شعائر الدين من صلاة صيام وحج ونحوها بطريقة مختلفة تماماً، كل طائفة تتعصب لمذهبها وفتاوى أئمتها وعلمائها ولا تقبل الرد إلى الله ورسوله عند الاختلاف في شيء من أمور الدين.

وترى كل بلد من بلاد المسلمين يطبق من شرع الله – إن طبق- وفق أهواء ساسته، ولا يراعي في ذلك مصلحة الأمة، فتجد بعض بلاد المسلمين في عهد وصلح مع أعداء الأمة وتطبع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، في الوقت الذي يتخذ من جاره المسلم موقفاً مغايراً تماماً.

وكذلك أدى اختلاف مناهج الدعاة ومقاصدهم إلى اختلاف قلوبهم، فعادى بعضهم بعضاً، وبدع بعضهم بعضاً، وحذر بعضهم من بعض، فنزع الله البركة من أقوالهم وأفعالهم، فلم يعد يسمع لهم أحد، أو ينضم لجماعتهم أحد، فنفقت سوق المعاصي والبدع، وانتشر بين المسلمين دعاة الباطل ومروجو الخرافة.

- **الفشل وذهاب الريح.**

من أعظم أضرار اختلاف المسلمين وتفرق كلمتهم الفشل وذهاب الريح، وقد ذكرهما الله تعالى في القرآن لخطورتها، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾، والفشل وذهاب الريح تعبير بليغ عن نقص قوة المسلمين وقصورهم عن بلوغ مقاصدهم في تقوية جيوشهم وإرهاب أعدائهم، وكذلك ضعف دولتهم أو سقوطها في يد الغزاة والمحتلين.

ولا تعبير أدقّ في وصف واقع المسلمين الأليم من الفشل وذهاب

الريح، ذلك بأنهم اختلفوا وتنازعوا ففشلوا في تقوية جبهتهم الداخلية وإعداد القوة اللازمة لحماية أنفسهم، فباع طوائف من المسلمين ذممهم للكفار، فوالوهم من دون المؤمنين، وظلم الرعاة رعاياهم فجوعوهم وضربوا ظهورهم وأهانوا كراماتهم، فكره الرعايا رعاتهم فخرجت فئام منهم عن الجماعة وشقوا عصا الطاعة.

المسألة الثالثة:

الأصل الجامع والموحد والأقوى بين جميع مكونات الأمة الإسلامية ومذاهبها كان وسيبقى أصول الدين التي لا اختلاف عليها بين المسلمين جميعاً والتي لا يكون المسلم مسلماً إلا إذا أيقن بها هي: الإيمان بالله ربّاً، وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة وبيتاً محجوجاً، وبأركان الإسلام الخمسة المعروفة، وبكل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وبأنه ليس بعد الإسلام دين، ولا بعد رسوله نبي ولا رسول، وبأن كل ما جاء به محمد ﷺ حقّ.

المسألة الرابعة:

حرمة تكفير أو رفض وإقصاء المذاهب الإسلامية لبعضها.

بموجب التعاليم التي أوصى بها ديننا الحنيف "كتاباً وسُنة"، فإن المسلم هو من نطق الشهادتين بالإيمان بالله ورسوله وأدى الشريعة ولا فرق بين مسلم وآخر إلّا بالتقوى، ولا يجوز لأحد أن يقول لآخر بأنه غير مسلم.

ولعلنا نتعظ بأن الذي حارب النبي كان أبو سفيان، وبعد أن فتح النبي مكة وانهزم الكفار وعلى رأسهم أبو سفيان نطق أبو سفيان بالشهادتين فعصم نفسه من الرسول. وقال الرسول: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"، وفي هذا الأمر أكثر من دلالة ومعنى وعبرة للأمة الإسلامية بما يعنيه نطق الشهادتين وأن يشهر الإنسان إسلامه، حيث إن نطق الإنسان بشهادتي أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن ذلك يجعله أخاً للمسلمين كافة كما جاء في الآية الكريمة:﴿إنما المؤمنون أخوة﴾، أو كما جاء في الحديث الشريف، عن أبي هريرة: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا،(ويشير إلى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"(١٦٦). وقال ﷺ:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(١٦٧). من هنا، فإن ما يبدر من بعض من السُّنة والشيعة بخصوص تكفير بعضهم البعض أو الدعوة لرفضهم والتأليب عليهم وما شابه فإنه ليس من الإسلام بشيء، فكما جاء عن مفتي الديار المصرية الدكتور علي جمعة، أنه لا يوجد فرق بينهما في أمور الدين قائلاً إن الخلاف فقط بسبب الحديث النبوي الصحيح حسب المعتمد، وإن كل فريق يعتمد على سلسلة رواة معتمدة لديه، مؤكداً في فتواه بأنه ليس هناك من خلاف بشأن الأساسيات في الدين. ولذلك فإنه من الجدير الانتباه إلى هذه الحقائق وتجنب كل ما يهدف إلى العكس منها، إذ إن المسلم سنيّاً كان أم شيعيّاً، فليس من حق أحد أن يكفره أو يرفضه أو يتجنبه.

المسألة الخامسة:

حرمة السب والشتم واللعن بين الفرق والمذاهب الإسلامية.

المسلمون وكما يصفهم القرآن الكريم، بنيان مرصوص، وهذا يعني كونهم متحدين ومتلاحمين مع بعضهم بصورة يصعب اختراق صفوفهم والتأثير عليهم، وصفة البنيان المرصوص يستحقها المسلمون بجدارة عندما يكونون أهلاً لها ويجسدونها على أرض الواقع. وإن تلاحم وتراص مكونات الأمة الإسلامية يمكن في حال وجود أواصر المحبة والألفة والتقارب والتعاون فيما بينهم، وليس عكس ذلك تماماً، ومن هنا، فإن السب والشتم والتلاعن وما إليه من أمور ذات صلة، محرمة على أتباع كافة المذاهب الإسلامية ضد بعضهم لأن الرسول الأكرم ﷺ قد نهى عن ذلك كما جاء في الحديث الشريف: حدثنا أبو بكر بن إسحاق ابن أيوب الفقيه، ثنا محمد بن غالب، ثنا محمد بن سابق، ثنا إسرائيل، عن الأعمش عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان والفاحش ولا البذيء"(١٦٨).

المسألة السادسة:

حرمة التعرض مطلقاً لأمهات المؤمنين واحترام صحابة الرسول الأكرم ﷺ.

لا يجوز وبصورة قاطعة لا جدال فيها التعرض لأمهات المؤمنين من زوجات النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ قد توفاه الله تعالى وهو راضٍ عنهن

وأعطاهن حقهن كما أن المسلمين لم يتعرضوا لهن بسوء ولو في أسوأ الظروف وأن من يتعرض لهن فإنما يرتكب إثماً مبيناً يجازى عليه في الآخرة مثلما يستحق التعزير قبل ذلك. وهناك اتفاق بين الفقهاء على أن من قذف السيدة عائشة"رضي الله عنها" فقد كذبه صريح القرآن الذي نزل بحقها، وهو بذلك كافر حيث قال عز وجل في حديث الإفك بعد أن برّأها الله منه:﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾، وكما هو واضح فإن من عاد ليس بمؤمن. والحقيقة أن الطعن بزوجات الرسول الأكرم ﷺ يلزم منه الطعن بالرسول والعار عليه وذلك ممنوع، ويستدل هذا من قوله تعالى:﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾.

كما أنه لا يجوز التعرض بسوء لصحابة الرسول ﷺ الذين هم خير هذه الأمة وأفضلها وأبرها، وقد أثنى الله تعالى عليهم أحسن الثناء، وأثنى عليهم رسوله ﷺ، وأجمع من يعتد بإجماعه من هذه الأمة على حبهم وتوقيرهم، وقد جاء في الكتاب والسُّنة ما يؤكد على ذلك بصورة قاطعة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (١٦٩). وقال تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (١٧٠).

وقد جاء في السُّنة النبوية عن صحابة الرسول ﷺ، ما يلي: وقال النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه" (١٧١).

وقال النبي ﷺ: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"(١٧٢).

فمن سب قوماً هذه فضائلهم، وهذا ثناء ربهم عليهم، وثناء رسوله ﷺ عليهم، فلا شك أنه مكذب لله ولرسوله ﷺ، فيجب أن يعرف ذلك، وأن تقام عليه الحجة، فإن تاب ورجع إلى الحق، فالله تواب رحيم، وإن تمادى في سبهم ولم يتب ولم ينصع للحق، فهو كافر ضال مضل، نقل ذلك غير واحد من أهل العلم، وهذا فيمن سبّهم جملة، وكذلك من سبّ واحداً منهم تواترت النصوص بفضله، فيطعن فيه بما يقدح في دينه وعدالته، وذلك لما فيه من تكذيب لتلك النصوص المتواترة والإنكار والمخالفة لحكم معلوم من الدين بالضرورة.

المسألة السادسة:

وجوب الصلاة خلف البعض بين أتباع المذاهب الإسلامية.

من الأمور المؤكدة شرعاً وعقلاً وجوب صلاة أتباع المذاهب الإسلامية خلف بعضهم البعض وحرمة إنكار ذلك أو النهي عنه أو الحيلولة دونه، ذلك أن كل ما يدعو للوحدة والتماسك والتآلف بين المسلمين، مطابق للشرع ولا مجال لرفضه أو عدم القبول والأخذ به.

المسألة السابعة:

وجوب وجواز التزاوج والمصاهرة بين أتباع المذاهب الإسلامية وحرمة منع ذلك أو عدم السماح به.

المسلمون من أتباع المذاهب الإسلامية كافة، يجوز لهم جوازاً مؤكداً التزاوج والمصاهرة مع بعضهم ولا يجوز إطلاقاً منع ذلك أو الحيلولة دونه.

المسألة الثامنة:

ضرورة إقامة الأعياد والمناسبات الدينية العامة بين المسلمين كافة كما كان الحال في عهد الخلفاء الراشدين"رضي الله عنهم" من دون أيّ فرق أو تمايز بسبب الانتماء المذهبي أو غيره ولا يجوز الدعوة أو الحث بخلاف ذلك.

المسألة التاسعة:

عدم غلق المساجد بوجه أتباع مذاهب إسلامية وحكرها على أتباع مذهب معين، وكذلك عدم جواز منح صبغة مذهبية لدور العبادة بما يجعلها تبدو خارج السياق العام الذي حدده الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم، كما في قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾(١٧٣).

المسألة العاشرة:

ضرورة وأهمية إحياء المناسبات الدينية نظير المولد النبوي والإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات بين أتباع المذاهب في أماكن عامة أو مساجد كبرى أو مدن محددة من أجل حثّ الأمة عليها وتحفيزها للعمل والسعي من أجل الوحدة والتماسك.

المسألة الحادية عشرة:

ضرورة إحياء الشعائر الدينية نظير الحج بصورة تدفع الاختلافات المذهبية بعيداً وتجعل المسلمين من كافة المذاهب يؤدون الشعيرة بقلب وإحساس واحد.

المسألة الثانية عشرة:

وجوب العمل من جانب فقهاء وعلماء المذاهب من أجل تعريف أتباع مذهبهم بالمذاهب الإسلامية الأخرى وتوضيح حقيقة أن المذاهب الأخرى تجسد الديانة الإسلامية ولا فرق بين واحدة منها والأخرى من حيث انتمائها للإسلام.

المسألة الثالثة عشرة:

وجوب تكثيف العمل التنويري في المناطق الريفية والبدوية وجعل سكانها مطلعين على المذاهب الأخرى وعدم إبقائهم منطوين أو منعزلين عن المذاهب الأخرى بحيث تكون لديهم أفكار وقناعات غير صحيحة وبعيدة عن الواقع.

المسألة الرابعة عشرة:

وجوب الاحترام المتبادل بين أتباع المذاهب، ذلك أن أئمة الفقهاء لم يتعصبوا لآرائهم، ولم يدع واحد منهم أن اجتهاده هو الصواب وحده، ولذا كان كل منهم يحترم رأي غيره، ويطبقه وإن لم يكن قد قال به، سداً لباب الاختلاف، وتأكيداً على أن كل الآراء يجب أن تلقى التقدير بدرجة سواء.

المسألة الخامسة عشرة:

وجوب عدم وضع صفة القداسة إطلاقاً على بعض الاختلافات الفرعية، خصوصاً وأن أتباع المذاهب الإسلامية قد أضفوا على تلك الاختلافات قداسة ليست لها، وأنزلوها منزلة لا ترقى إليها، ومن ثم كان تعصبهم ورفضهم العمل بكل ما يخالفها ولو كان نصّاً شرعيّاً

"ما دام أئمتهم" لم يأخذوا به، مع أن كل الأئمة أجمعوا على أنه إذا صح الحديث فهو مذهبهم ويجب أن نضرب بأقوالهم عرض الحائط.

المسألة السادسة عشرة:

ضرورة وضع الروايات والآراء والمسائل التي تعبر عن تعصب مذموم وكريه وتبقي أجواء الخلاف والاختلاف على حالها، جانباً واعتبار وحدة الأمة الإسلامية وتقاربها ومصالحها العليا فوق تلك الروايات والآراء والمسائل.

المسألة السابعة عشرة:

وجوب وضرورة إبقاء ما قد ظهر من الفرق بين المسلمين في القرن الأول في إطار البحث العلمي الأكاديمي والعبرة التأريخية وعدم جواز امتداده إلى العصر الحالي والعصور القادمة للمسلمين والأفضل والأحوط تجميده بصورة تامة وترك مآلها إلى الله سبحانه وتعالى عملاً بالآية الكريمة: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾(١٧٤).

المسألة الثامنة عشرة:

وجوب أن تنطلق المذاهب الفقهية الإسلامية في حاضرها وتستقبل مستقبلها بالاعتصام والاتحاد مع بعضها على أساس أصول الدين الذي هو سرّ وسبيل وحدتها ورقيّها ونهضتها.

المسألة التاسعة عشرة:

وجوب تأكيد فقهاء وعلماء المذاهب المختلفة على تربية وتلقين الأطفال ومنذ نعومة أظافرهم على الوحدة الإسلامية والتآلف مع الآخر، فذلك ما يضمن رسوخ وقوة ومتانة البنيان الإسلامي.

المسألة العشرون:

وجوب وضرورة ترسيخ وتعميق دعائم الوحدة والتآلف بين أبناء الجاليات الإسلامية المتواجدين في بلدان العالم وخصوصاً البلدان الغربية، وجعلهم رسل حضارة مجيدة تصلح للبشرية جمعاء.

المسألة الحادية والعشرون:

ضرورة الاقتناع الكامل بأن التقارب بين المذاهب ضرورة دينية

وحياتية، والسبيل إليه: الالتقاء حول ما اتفقنا عليه، وأن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وأن تخضع أحكامنا وآراؤنا للدراسة العلمية، والمناقشة الهادئة، وروح التسامح والإنصاف.

المسألة الثانية والعشرون:

يجب العمل والسعي المخلص المشترك بين أتباع المذاهب الإسلامية كافة لإزالة الحواجز النفسية بين أتباع المذاهب التي أفرزتها المقولات التاريخية من جهة ودسائس العدو من جهة أخرى.

المسألة الثالثة والعشرون:

ضرورة أن تكون هناك قنوات ووسائل إعلامية مقروءة ومسموعة ومرئية من أجل بذل المساعي والنشاطات الحميدة في سبيل توسعة وترويج عوامل الوحدة وإزالة أسباب الاختلاف وعوامل الفرقة.

المسألة الرابعة والعشرون:

وجوب جعل الوحدة الإسلامية هدفاً استراتيجيّاً وليس تكتيكاً مؤقتاً فذلك حرام شرعاً وليس من الإسلام بشيء.

المسألة الخامسة والعشرون:

ضرورة الانتباه والحذر الكامل من أن ترسيخ النفس الطائفي لدى الأمة الإسلامية كان بالأساس قضية سياسية وليست من الإسلام في شيء، وتعود جذورها إلى عهدي الدولة الصفوية والدولة العثمانية حيث إن كليهما عملا وبصورة ملفتة للنظر على استغلال العامل الطائفي من أجل تحقيق الهدف السياسي، ولذلك فمن الواجب الشرعي شرح هذه الخلفية التأريخية وأخذ الدرس والعبرة منها.

المسألة السادسة والعشرون:

يجب الاستفادة من الحقائق التأريخية المفيدة التي تعين على التقريب بين المذاهب، والإيمان الكامل بأنه من الممكن بعون الله ومشيئته زوال الاختلافات وغلبة أسس الاتفاق والتقارب عليها، حيث إن التأريخ يروي لنا كيف أنه كانت هناك خلافات كبيرة جدّاً بين المذاهب السنية"الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية" بحيث إنها وكما تروي بعض كتب التأريخ كانت أكبر من تلك التي بينها وبين المذهب الشيعي، لكننا اليوم لا نكاد نجد فرقاً يذكر فيما بينها، ومن هنا فإن الأيام والتأريخ والنوايا المخلصة كفيلة بعون الله ومشيئته تعالى بإنهاء تلك الاختلافات ووضع حد لها.

المسألة السابعة والعشرون:

وجوب وضرورة العمل بين فقهاء المذاهب الإسلامية لتداول النصوص الفقهية بينهم بما يؤكد للعامة من الناس من أتباع المذاهب بأن المذاهب مجرد فروع لأصل ونبع أساسي واحد هو الإسلام.

المسألة الثامنة والعشرون:

عدم جواز وكراهية إبقاء أتباع مذهب إسلامي ما مطلعاً على ما لدى مذهبه فقط دون المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث إن ذلك سيقود ويؤدي إلى رفض وعدم تقبل واستساغة وفهم المذاهب الأخرى. وهذا الأمر سبق وأن انتبه إليه بعض من الفقهاء وحذروا منه ومن بينهم الإمام الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) في كتابه الأصولي الرائع (الموافقات) قال: "إن تعويد الطالب على أن لا يطلع إلا على مذهب واحد ربما يكسبه ذلك نفوراً وإنكاراً لكل مذهب غير مذهبه ما دام لم يطلع على أدلته، فيورثه ذلك حزازة في الاعتقاد في فضل أئمة أجمع الناس على فضلهم وتقدمهم في الدين، وخبرتهم بمقاصد الشارع وفهم أغراضه"(١٧٥).

المسألة التاسعة والعشرون:

لا بدّ أن يتم التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية على أساس فهم وتفقه وليس على أساس العواطف والأحاسيس والمشاعر الجياشة

والطيبة، ولذلك يجب الانتباه إلى هذه المسألة والحذر منها.

المسألة الثلاثون:

ضرورة وأهمية أن يتم مراعاة الاعتدال والوسطية في المناهج الدراسية لمادة الدين وخصوصاً للأطفال من أجل خلق الاستعدادات والأرضية المناسبة لانفتاحهم على المذاهب الأخرى إلى جانب تأهيلهم ليكونوا مستقبلاً دعاة معتدلين للدين الإسلامي أمام الأديان الأخرى.

المسألة الحادية والثلاثون:

ضرورة وأهمية إقامة النشاطات والمناسبات والتجمعات الفكرية والاجتماعية والثقافية التي يحضرها الشباب بشكل خاص من مختلف المذاهب الإسلامية ويتم خلالها طرح المبادئ والأسس والخطوط العامة للوحدة الإسلامية ورص الصفوف وفي الوقت نفسه الفضح والكشف والحذر من كل أسباب وعوامل التفرقة والاختلاف السلبي بين أبناء ومكونات الأمة الإسلامية.

المسألة الثانية والثلاثون:

ضرورة الإكثار من المناسبات الاجتماعية والدينية العامة التي تتيح

التواصل واللقاء بين أتباع مختلف المذاهب وما يساعد ذلك على توفير الأرضية والمناخ المناسب للتعارف بينهم بما يمهد للاقتران والتزاوج، إذ إن الانفتاح الأساسي يبدأ من نقطة التواصل والترابط الاجتماعي الذي بإمكانه أن يؤثر أفضل تأثير إيجابي على ترسيخ ودعم أواصر الوحدة الإسلامية.

المسألة الثالثة والثلاثون:

ضروري أن يبادر الأدباء والفنانون الملتزمون والمؤمنون بالوحدة الإسلامية من كافة المذاهب، إلى كتابة نتاجات وأعمال أدبية وفنية تدعو للوحدة الإسلامية وتؤكد على أسسها ومرتكزاتها، نظير الأناشيد والمسرحيات والمسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية، حيث إن هذه النتاجات ترسخ في العقل الجمعي للأمة الإسلامية مبادئ وأسس الوحدة الإسلامية وتجعل جذورها أقوى وأشد مقاومة لكل الظروف.

المسألة الرابعة والثلاثون:

الأصل يأتي في المقدمة والفرع يليه، ووفق هذه القاعدة يجب أن يتربى ويتعلم أتباع المذاهب الإسلامية كافة، فالإسلام كأصل جامع يأتي أوّلاً وهو الأهم والأعلى كعباً واعتباراً ومن ثم يأتي المذهب، وهذا لا يعني الدعوة لإلغاء المذهب ونفيه وإنما يعني عدم وضعه في مكان لا يصح

له إطلاقاً، فالإسلام قد سمح بالتعددية وبالاجتهاد وما إلى غيره، وإن المذاهب تعكس إغناء للإسلام وتقوية له فيما لو كان في الموقع والمكانة التي ينبغي أن يكون فيه لذلك فمن الضروري أن يتم تعريف أبناء الأمة الإسلامية من كافة المذاهب على هذه الحقيقة وجعلها الأساس.

المسألة الخامسة والثلاثون:

واجب شرعي على كافة المسلمين من كافة المذاهب جعل يوم المولد النبوي الشريف عيداً للوحدة الإسلامية والسعي في هذا اليوم المجيد إلى التأكيد على التزام أبناء الأمة من كافة المكونات والطوائف بمبادئ الوحدة الإسلامية وعدم التفريط بها أو العمل بخلافها.

المسألة السادسة والثلاثون:

من الواجب أن يتم إيلاء أهمية خاصة بالنساء المسلمات والسعي لتخصيص يوم خاص لهن حيث يتجمعن فيه ويعملن ما بوسعهن من أجل تقوية أواصر ووشائج العلاقات بين الأمة الإسلامية، خصوصاً وأن الرسول الأكرم ﷺ قد أوصى بهن عندما قال: **"خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"**(١٧٦). ولهذا من الضروري إتاحة المجال والفرصة لهن لكي يلعبن دورهن بهذا الخصوص.

المسألة السابعة والثلاثون:

من الواجب على أتباع المذاهب الإسلامية أن يتعاملوا مع بعضهم على أساس ظاهر الإسلام وليس في الذهاب أبعد من ذلك واتباع الأساليب والوسائل والسبل التي نهى عنها الإسلام نظير السعي لكشف العيوب فالإسلام قد حدد نطق الشهادتين لانتماء الإنسان إلى الديانة الإسلامية ولم يطالب بالبحث في باطنه وسرائره لمعرفة حقيقة انتمائه وقصده منها، فذلك أمر موكول لله سبحانه وتعالى وحده.

المسألة الثامنة والثلاثون:

التعايش السلمي بين المذاهب الإسلامية ركيزة مهمة لتعزيز وترسيخ الوحدة فيما بينها ولعل من أهم وسائل تحقيق الوحدة الإسلامية: وضع أسس وأساليب للتعايش الاجتماعي والسلمي بين أفراد المجتمع، والقرآن الكريم أول من طرح التعايش بين الناس أجمعين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأعراقهم ولغاتهم وألوانهم وبلدانهم وقومياتهم وشرائحهم ومذاهبهم واتجاهاتهم السياسية والعقائدية، فقد دعا الرسول الأكرم ﷺ إلى إلغاء الفوارق القومية والقبلية والاجتماعية بين فئات المجتمع انطلاقاً من النظرية القرآنية التي تدعو إلى التعارف والوحدة، وتلغي الفوارق الاجتماعية في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾(١٧٧).

المسألة التاسعة والثلاثون:

من أجل ضمان تحقيق الوحدة الإسلامية واستمرارها فإنه لا بدّ من تنمية الإحساس بالمسؤولية المشتركة لدى كل مسلم حيال أمته، والاهتمام بأمر المسلمين، والمواساة بينهم، واتحادهم مقابل الأعداء. وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: **"من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم"**(١٧٨)، وكذلك قوله ﷺ: **"المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه"**(١٧٩).

المسألة الأربعون:

وجوب وأهمية إحياء روح الأخوة الإسلامية التي كانت سائدة في زمن الرسول ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، بما يجعلهم بمثابة نفس واحدة ويتسمون بالتضحية والإيثار كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١٨٠). أو كما جاء في الحديث النبوي الشريف: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**(١٨١).

المسألة الحادية والأربعون:

من الضروري جدّاً أن يتم منح الخصال ومكارم الأخلاق أهمية استثنائية في سياق العمل من أجل الوحدة الإسلامية، ذلك أن الإسلام قد بنى وحدة الأمة بالإضافة إلى الجانب الإيماني والعقائدي إلى الجانب

الأخلاقي وأن الذين يشتركون في العقائد والأعمال والأهداف، لا بدّ لها أن تشترك أيضاً في الخصال والملكات النفسية. وكثير من النصوص تبين هذه الوحدة الأخلاقية والاشتراك الروحي بين المسلمين حين تتحدث هذه النصوص عن صفات المؤمنين مثل الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وعفة البطن والفرج وأمثالها. لا يمكن أن نتوقع بلوغ المسلمين جميعاً مستوى واحداً في هذه الخصال، كما أنهم لا يرتفعون إلى مستوى واحد من العقيدة، ولكن ثمة طابع مشترك يسود كل أفراد المسلمين في هذا الإطار.

المسألة الثانية والأربعون:

على أتباع المذاهب الإسلامية أن يضعوا نصب أعينهم وحدة الهدف الذي يسعون من أجله، ووحدة الهدف لها قيمة اعتبارية مثل وحدة العقيدة ووحدة العمل ووحدة القيادة تشكل أصلاً إسلاميّاً هامّاً، غير أنها وردت في النصوص الإسلامية بلغة التوجيهات الأخلاقية، ولغة الحث على اكتساب المكارم والفضائل، لكنها لغة فيها تأكيد على أهمية الهدف وعلى عدم افتراق الهدف عن المسؤولية المشتركة. يقول سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١٨٢) وكما هو واضح فإن امتياز هذه الأمة وأهم خصائصها مسؤولية الدعوة والإيمان بالله، ولأهمية هذه المسؤولية قدمها على الإيمان بالله سبحانه.

المسألة الثالثة والأربعون:

يجب العمل بصورة دؤوبة ومستمرة من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية وعدم الاستسلام لليأس أو الإحباط عند مواجهة العقبات والعراقيل الكأداء، ذلك أن الأمة إذا ما قد حققت ما تستطيعه وفي مقدورها في مرحلة ما، فقد قامت بما وجب عليها شرعاً؛ حسب قاعدة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ و"إذا ضاق الأمر اتسع" و"المشقة تجلب التيسير"، ولا يصح إهدار المصلحة في المستوى الأدنى بذريعة انتظار الأعلى؛ لأن "الميسور لا يسقط بالمعسور" و "ما لا يدرك كله لا يترك كله"، وهي قواعد شرعية وعقلية تواطأت على تقريرها الشرائع والعقول.

المسألة الرابعة والأربعون:

الوحدة الإسلامية بأمسّ الحاجة لكي تكون مدعومة ومسنودة بالعامل الاقتصادي، حيث يجب على الدول الإسلامية أن تعمل ما بوسعها من أجل إيجاد نوع من التكامل الاقتصادي الذي يعزز الأوضاع الاقتصادية والمعيشية في البلدان الإسلامية ويجعلها متقاربة مع بعضها بما ينهي الفوارق الفاحشة.

المسألة الخامسة والأربعون:

يجب الإيمان الكامل من جانب أتباع المذاهب الإسلامية بأن الجذور الأساسية الأصلية للأمة الإسلامية والمبادئ المشتركة لا تساعد على

وحدة جميع المذاهب والفرق الإسلامية فحسب، بل هي العامل الفاعل في تناغم جميع الأديان التوحيدية الإبراهيمية. ولذلك فإنه من واجب كل مسلم أن يتذكر دائماً بأنه مكلف شرعاً لمهمة أكبر وهي جمع المؤمنين بالله في سياق واتجاه واحد يعمق من المشاعر الإنسانية ويجعلها راسخة أكثر.

المسألة السادسة والأربعون:

من المهم التيقن بأن الاختلاف والاجتهاد لا يلغي الوحدة أو يضعفها وإنما على العكس من ذلك تماماً، إذ شهد تاريخ الإسلام اختلاف الرأي والعقيدة في كثير من القضايا النظرية، وقد شاع هذا الاختلاف، وكان موضع قبول وتقدير ما لم يخل بالأصول الكلية المشتركة، بل اعتبر أمراً ضروريّاً، حتى إن بحوثاً نظرية كثيرة في الأصول المشتركة مثل التوحيد والنبوة والقيادة بعد النبي والمعاد والصفات الإلهية والقرآن قد جرت، وهي فضلاً عن كونها لم تؤدِّ إلى أن يعمد المفكرون الإسلاميون إلى تكفير بعضهم بعضاً، فإنها ساعدت كثيراً على توسيع المعارف الحكمية والكلامية وتعميقها، أما اختلاف النظر في الفروع المتفق عليها مثل الصلاة والحج والجهاد ومختلف أبواب الاقتصاد والعقوبات وغيرها فكثيرة وشائعة، فهي لا تؤدي إلى المسّ بالمبادئ والأصول والمشتركات، ولا إلى التكفير بين المسلمين "وهو المبدأ الأساسي لحفظ وصون الوحدة الإسلامية" التي تقوم على جعل المتن الكلي للدين الإسلامي محل توافق اعتقاد جميع المجتمعات الإسلامية، وليس هناك أيّ مانع عقلي أو شرعي لتحقيق هذه الوحدة المطلوبة.

المسألة السابعة والأربعون:

من الواجب تجنب الحزازات القومية والقبلية وما إليها وجعلها تتحكم في المسائل المذهبية وحتى الدينية العامة، خصوصاً وأن هذه الحزازات تشهد حضوراً غير عادي لها بهذا الخصوص، ولذلك يجب إبعادها عن المذهب والدين وعزلها بكل ما للكلمة من معنى.

المسألة الثامنة والأربعون:

وحدة الأمة الإسلامية وحدة إيجابية ذات طابع إنساني ولا يمتلك أيّ جانب أو بعد عدواني وهو لا يهدف الإضرار بالأمم والشعوب الأخرى، بل إنه يهدف إلى مدّ يد العون والأخوة الإنسانية لها.

المسألة التاسعة والأربعون:

الوحدة الإسلامية وحدة طوعية نابعة من الإيمان الذاتي للمسلم وهي ليست تفرض عليه فرضاً أو يكره عليها، وإنما هي تنشأ من قناعات المسلم بالخطوط الأساسية للإسلام والتي تشكل الوحدة الإسلامية واحدة منها.

المسألة الخمسون:

الوحدة الإسلامية لا تعني أبداً إلغاء الانتماء إلى المذاهب والقوميات والأوطان وغيرها، بل إنها تحترم تلك الخصوصيات وتضع لها اعتبارها الخاص طالما لا تعادي الإسلام ولا تقف حجر عثرة في طريقه.

كلمة أخرى

جرت العادة لدى رهط كبير من الكتاب على أن تختتم كتبهم بما يسمونه "كلمة أخيرة"، والحق فضلنا أن نختتم كتابنا هذا بتعبير كلمة أخرى، على أمل أن يكون هذا ما يغني هذا المشوار المهم ويثريه بما يجعل وحدة الأمة الإسلامية بعون الله ومشيئته أمراً واقعاً وحقيقة ملموسة ومجسدة على الأرض.

هذا الجهد المتواضع الذي نقدمه لأمتنا الإسلامية على أمل أن يكون خطوة فعالة وهامة على الطريق الأكثر اطمئناناً للأمة بما يمنح الأمل والتفاؤل لها بإنهاء الكثير من الحالات السلبية والمضرة الناشئة عن الانقسام والاختلاف وتشتت وحدة الصف ووحدة الكلمة الإسلامية، ذلك أن التطرف والإرهاب قد وجدا طريقهما إلى بعض من بلداننا الإسلامية بسبب استغلالهما لحالة التشتت والانقسام، وبادر ثلة من الغرباء بل وحتى الجهلة بالدين الإسلامي لفرض تفسيرات ورؤى

غريبة وبعيدة بل وحتى مناقضة للإسلام جملة وتفصيلاً.

فقه الوحدة الإسلامية في حال اكتماله بالشكل والمضمون المطلوبين وصيرورته أمراً متفقاً عليه بين فقهاء وعلماء الأمة الإسلامية، فإن من شأنه أن يسد الأبواب إلى الأبد على المتصيدين في المياه العكرة ممن يسعون لاستخدام واستغلال الإسلام من أجل الترويج والدعوة لأفكار ضالة ومضلة تشوّه الإسلام وتعطي انطباعاً سيئاً عنه، خصوصاً وأننا نعلم بأن الخدمة الكبيرة التي قدمتها وتقدمها الجماعات والجهات المتطرفة المتسلحة بالإرهاب لأعداء الإسلام، لا ولن ولم تضاهيها أية خدمة أخرى على مرّ التأريخ الإسلامي.

تعبيد الطريق القويم باتجاه تحقيق وحدة الأمة الإسلامية على أسس صحيحة وواقعية تستمد جذورها وحيويتها وقوتها من الإسلام الوسطي المعتدل الذي جاء به رسولنا الكريم محمد ﷺ، إنما هو واجب شرعي في عنق كافة فقهاء هذه الأمة ويجب على كل من يجد في نفسه القدرة والكفاءة اللازمة أن يبادر لكي يدلي بدلوه بهذا المضمار.

هذه المهمة ولئن كانت مهمة شاقة وبالغة الصعوبة والتعقيد لأسباب متباينة، لكن كل ذلك يتمّ تذليله عندما تكون هناك نية صافية لله تعالى من أجل خدمة أمة رسول الله ﷺ وإعادتها إلى الطريق الأصوب الذي يبدو أن هناك من يروق له أن تبقى هذا الأمة تسير على طريق لا يؤدي في نهاية المطاف إلى وحدتها.

أغلب الذين طرحوا قضية الوحدة كانوا يبحثون عن مبرراتها ومسوغاتها ولم يكونوا يبحثون عن هدفها وغايتها ورسالتها تجاه المسلمين والعالم، كانوا يشعرون أن الوحدة ضرورية، ولذلك يجب أن تحشد جميع الأدلة المؤيدة والداعية لها وقد فعلوا ذلك فأتوا بالأدلة وقدموها وضخموها ولكن جهودهم لم تؤد إلى الوحدة ولم تشكل قوة فكرية وروحية ملهمة للشعوب لكي تقدم الغالي والنفيس في سبيل الوحدة، إن إثارة العواطف لا تثمر عملاً منظماً مبرمجاً بل ردات فعل هائجة غير متعقلة ولا محسوبة، والوحدة التي تقوم على أساس مواجهة العدو المشترك لا تسمى وحدة بل تحالفاً بين أناس تجمعهم قواسم مشتركة تتمثل في وجود هذا الخطر والعدو حتى إذا ما زال الخطر أو العدو لم يكن للوحدة مبررها فتعود الصراعات إلى سالف عهدها ويعود التشتت والتفرقة مرة أخرى.

والتحالف يختلف عن الوحدة حيث يمكن أن يكون بين فريقين تجمعهما قواسم مشتركة سواء كانت هذه القواسم مواجهة عدو مشترك أم الوقوف في وجه خطر محدق أم تحقيق مصلحة لأطراف هذا التحالف. أما الوحدة الإسلامية فينبغي أن تبنى على مشروع نهضوي رسالي يقوم على تحليل الواقع العالمي ومعرفة طبيعة الصراعات والنزاعات فيه وتحديد النقطة التي وصلت لها البشرية في الشرق والغرب تمهيداً لإيجاد البديل الأعدل والأنفع والأرحم للناس جميعاً. ونعتقد أن وضع العالم اليوم يشير إلى أنه وصل إلى نقطة صار فيها التغيير حتميّاً ونعتقد أن الإسلام هو المؤهل لأداء هذا الدور الرئيس في التغيير ونجزم بأنه الحل.

والوحدة التي يدعو إليها الإسلام ليست زينة لحياة المسلمين أو حاجة يميلون إليها حين يدعوهم حافز من حوافز المصلحة الدنيوية، ولكنها ضرورة من ضرورات إيمانهم، يدعون إليها حين يدعون إلى عبادة الله الواحد، وتقواه.

وهذه المعاني الشاملة تتضمنها الآيتان الكريمتان: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾، ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ بل إن الوحدة التي يدعو إليها الإسلام المسلمين ضرورة من ضرورات فطرتهم التي جمعتهم على الإسلام، ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

إن الأمة الإسلامية التي أراد الله لها أن تكون قوامة على الناس، وحملها مسؤولية الهداية والقيادة، وجعلها خير أمة أخرجت للناس بما تحمل من أمانة العقيدة والدعوة إلى الحق وتحرير البشرية من الطغيان، وإنقاذهم من الجهل والفساد والضلال. هذه الأمة قد مرت بمرحلة قوة لا حدّ لها بحيث خفقت راية التوحيد في أصقاع متنائية في أنحاء المعمورة، وأحدثت في الدنيا في حقبة قصيرة من الزمن أوضاعاً جديدة، كريمة طيبة بما نشرت من مبادئ الإيمان والحق والسماحة وقيم الخير والحرية والعدالة والمساواة، وإنها جديرة بأن تعود إلى الأصل الذي كانت عليه لكي تؤدي رسالتها الكبرى في خدمة البشرية جمعاء.

وإننا نوجه نداءنا إلى أبناء وأحفاد الصديق والفاروق وذي النورين والكرار، بأن يعلموا بأن كواهلهم يجب أن تحمل ثقل هذه المهمة المقدسة ويبذلوا كل ما بوسعهم من أجل إذلال كافة العقبات والمعوقات والعراقيل التي تقف بوجه تحقيق هذا الهدف المقدس الذي أكد عليه الكتاب والسُّنة النبوية مراراً وتكراراً.

ما يمنحنا الأمل والتفاؤل والثقة بالنجاح الكامل في هذه المهمة المقدسة، هو أن وحدة الأمة الإسلامية هي الأصل وانقسامها واختلافها هو الأمر الطارئ والشاذ والغريب على الأمة، وأننا عندما نخطو بهكذا اتجاه فيجب أن تكون لدينا ثقة قاطعة بأن الله سبحانه وتعالى يبارك هذا الجهد ويعيننا على إتمامه على أفضل وجه وعلى أحسن ما يكون وأن الذي نظنه صعباً ومعقداً ومستحيلاً سيتبدد ويتلاشى كالظلام عند قدوم الضياء، والله المستعان، ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.

الفصل الرابع

مقتطفات من مقابلات وخطب ومقالات

الدكتور السيد محمد علي الحسيني

ما موقفكم من مسألة سبّ الصحابة؟

نحن وطوال الأعوام الماضية، وفي مختلف المناسبات والندوات والمؤتمرات التي شاركنا فيها، أكدنا على حرمة هذا الأمر، ورفضنا الكامل والقاطع لسب الصحابة والتعرض لهم بأية إساءة، فهم يشكلون جانباً أساسياً بالغ الأهمية من تاريخنا العربي والإسلامي، ونؤكد

أن لسبهم مصلحة ووسيلة خبيثة ومشبوهة تدفع إلى زرع الأحقاد والكراهية والانقسام والاختلاف في العالمين العربي والإسلامي، لذا فقد دعونا إخوتنا الشيعة في الأقطار العربية بشكل خاص، والعالم بشكل عام إلى تحريم هذا الأمر شرعاً، لأنه مخالف للإسلام، وفيه أذية للحبيب المصطفى محمد ﷺ، وآله وأصحابه، وضرر بوحدة الصف الإسلامي، ويضر أيضاً بالأمنين القومي والاجتماعي العربيين.

كيف نستطيع تغيير فكرة الغرب عن الإسلام والمسلمين؟

للأسف فإن الساحة الغربية متروكة للخطاب المتطرف، ويظن الغربيون أن هذا هو الإسلام. من هنا يجب التحرك سريعاً لإطلاق حملة عربية إسلامية واسعة النطاق داخل المجتمع الغربي، لشرح حقيقة ديننا الحنيف، وللرد على المزاعم القائلة بأن الإسلام هو أصل الإرهاب.

الحسيني: أعذار غلاة السنة والشيعة لزهق دماء المسلمين فقاعات أمام النصوص الشرعية الدامغة الداعية للوحدة الإسلامية.

حذر سماحة العلامة السيد محمد علي الحسيني في خطبة "نداء الجمعة" من الرياح السوداء المسمومة المشبوهة في العراق سوريا واليمن ولبنان

والبحرين والسعودية والكويت وليبيا، معتبراً أنها تردي المسلمين وتشغلهم عن أعدائهم الحقيقيين.

وأكد أن كل الحجج والأعذار التي يسوقها غلاة السنة والشيعة وهم يزهقون دماء مسلمين موحدين ستتلاشى وهم بين يدي ربهم كفقاعات أمام هذه النصوص الشرعية الدامغة التي لا تحتاج لأي شرح أو توضيح.

وأكد العلامة الحسيني في خطبته أن قوة الإسلام و عظمته ومناعته تجلت وتجسدت دائماً في وحدة الأمة الإسلامية وتكاتف الشعوب المختلفة الأعراق التي اعتنقته وأشربت بمبادئه وتعاليمه السمحة. لذلك فإن الأدلة المختلفة قد تضافرت من الكتاب والسنة للتأكيد على أهمية الوحدة واعتبارها من الأمور المسلمة في الدين الإسلامي بصورة تفرضها على الأمة وترى في مخالفتها ما يلزم العقوبة والإثم.

أضاف: نشهد اليوم أن الفرقة والاختلافات والمناحرات، التي ليست من الإسلام بشيء، تعصف بأمتينا العربية والإسلامية على حد سواء. والحقيقة أن الإسلام كتاباً وسنة لا ولم ولن يدعو يوماً إلى الفرقة والاختلاف، وإنما دعا ويدعو دائماً للوحدة والتآلف والمحبة وتمتين عرى علاقات القرابة والعلاقات الاجتماعية على مستوى الأفراد ، والعلاقات السوية وحسن الجوار بين الشعوب. والآية الكريمة تقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾، فهذه الكلمات الحكيمة واضحة لكل مسلم ومسلمة ولا تحتاج لأي شرح ،وإن طرحنا لها اليوم هو لتذكير أبناء أمتينا بها للاتعاظ وأخذ العبر والدروس منها.

وتابع السيد الحسيني: إن الاعتصام بحبل الله، أي دينه، لا يعني أن هذا الحبل شيعي أو سني أبداً، وإنما هو إسلامي جامع لكل الأمم والملل والمذاهب. من تغافل أو تجاهل ذلك فكأنما يخالف أمراً إلهياً بنص قرآني صريح. كما تتوضح الأهمية القصوى لوحدة الأمة الإسلامية وتتبين معالمها وجوانبها أكثر عندما نقرأ الآية الكريمة: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾. فهذه الآية تأمرنا بالطاعة لله ورسوله وتنهى عن التنازع والاختلاف بين أبناء الأمة بمختلف شعوبها ومللها وطوائفها، ذلك أن الفشل يعني الإحباط والإخفاق للجميع من المفاسد والأضرار المترتبة على الاختلاف والتناحر والفرقة والانقسام ، كما هو الحال الآن للأسف البالغ في العديد من المناطق . كما أن ذهاب الريح تعني فيما تعني ذهاب الرفعة والمنعة لهذه الأمة بأعين أمم العالم الأخرى.

وأردف العلامة الحسيني: كما أن الآية الكريمة:﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾، تدل على أن الله عز وجل يبين لنا "كي نأخذ العظة والعبرة" بأنه، جل جلاله، قد بعث الأنبياء كلهم بإقامة

الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة. ويعبر بعض الدعاة المعاصرين عن هذا المعنى بأن قيام الدين على ركنين هما: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، ولا تستقيم أمور المسلمين في الدين والدنيا إلا بهما. وقد وصانا سيدنا و نبينا محمد ﷺ في أحاديث شريفة عديدة بما يؤكد ما قد ورد في القرآن الكريم من الأمر بالوحدة والاجتماع والنهي الاختلاف والفرقة، ومن تلك الأحاديث:

١- قوله ﷺ: **(إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)**.

٢- قوله ﷺ: **(عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة)**. وقد تكرر منه ﷺ هذا الأمر بلزوم الجماعة في أحاديث أخرى كثيرة.

أضاف السيد الحسيني: من هنا، ونحن نلقي نظرة على كثير من الأحداث والتطورات والمستجدات في بلداننا العربية والإسلامية، سواء في العراق أم سوريا أم اليمن أم لبنان أم البحرين أم السعودية أم الكويت أم ليبيا وغيرها، فإننا نجد أنفسنا أمام رياح سوداء مسمومة مشبوهة تردي بأبناء الطوائف والفرق الإسلامية جميعها دون استثناء، وتلهيهم وتشغلهم عن أعدائهم الحقيقيين وعن المهام الأصلية والأساسية التي أوصانا ويوصينا بها ديننا الحنيف. حتى إننا نجد أن الذي يجري من أحداث مؤسفة من الفرقة والانقسام والاختلاف يكاد أن يكون "والعياذ بالله" مصداقاً للآية

الكريمة: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾. لذلك، فإننا نهيب بأبناء أمتينا العربية والإسلامية في كافة أرجاء العالمين العربي والإسلامي وفي مختلف أنحاء العالم، أن يعودوا إلى نبع الإسلام الرقراق وأن ينتبهوا من الانزلاق في طرق ودروب ليست من الإسلام بشيء أبداً، لأنه وكما أكد النبي الأكرم ﷺ: (**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**)، أو الحديث الشريف: (**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**)، ولذلك فإن كل الحجج والأعذار التي يسوقها غلاة السنة والشيعة وهم يزهقون دماء مسلمين موحدين، فإنها تتلاشى، وهم بين يدي ربهم ، كفقاعات أمام هذه النصوص الشرعية الدامغة التي لا تحتاج لأي شرح أو توضيح.

العلامة الحسيني يدعو من المدينة المنورة إلى الصلاة الموحدة المشتركة بين السنة والشيعة والتناوب عليها في المساجد خطوة بالغة الأهمية ولندرأ فتنة الانقسام بخصلة الاتحاد والتآلف.

مشاكل وقضايا سلبية كثيرة ومتباينة تعاني منها أمتانا العربية والإسلامية، لكن أهمها وأخطرها هي مشكلة الفرقة والانقسام بين أبناء الأمة الواحدة وما يخلفه ذلك من مشاعر الحقد والكراهية بينهم ويجعلهم ينصرفون عن عدوهم الخارجي أو ذلك الذي يتربص بهم داخليّاً وخلق عدو وهمي من بين صفوفهم.

اليوم ببالغ الأسف، ونحن نشهد شيوع اتجاهات انعزالية انطوائية تدفع للفرقة والانقسام بين أبناء الأمة الواحدة والذي وصل بالبعض إلى حد تكفير الآخر وجعله هدفاً مباحاً له، وقد تناسى هذا البعض آيات

كريمة ترفض مثل هذا التوجه وتمنعه بل وحتى تحرمه أيضاً، ولنطالع معاً الآيات الكريمة نظير:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ و﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ و﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ و﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾، ولعل التمعن والتدبر في هذه الآيات الكريمة والتفكر فيها مليّاً، يضعنا أمام حقائق واعتبارات مهمة هي:

أولاً: إن الله سبحانه وتعالى أمر كل فرق وطوائف الأمة الإسلامية دونما استثناء بالاعتصام والوحدة، بمعنى أن الاعتصام والوحدة فرض إلهي لا بد منه شئنا أم أبينا.

ثانياً: إن الفرقة والاختلاف إحدى موبقات الجاهلية، لأن الإسلام أكرم الشعوب وشرفها بخصلة الاعتصام والاتحاد بعد الفرقة والانقسام، وأن العودة إلى الفرقة والانقسام تعني العودة للجاهلية.

ثالثاً: إن القرآن الكريم يعلمنا وبمنتهى الصراحة والوضوح أن المشركين هم الذين يفرقون دينهم و يتمسكون بالانقسامية والانعزالية وتكفير ورفض الآخر.

رابعاً: إن الله سبحانه وتعالى يخبر كل الذين يتمسكون بالفرقة والانقسام بأن النبي الأكرم ﷺ ليس منهم في شيء بمعنى أنه ﷺ بريء منهم و مما يفعلون!

من هنا، فإن الدعوات الانعزالية والمشبوهة التي تحض على الفرقة والانقسام وتحض على الكراهية والحقد وتدفع لاستخدام العنف والسلاح ضد الآخر، فإنها مرفوضة ومحرمة شرعاً بشهادة الآيات الكريمة السابقة التي أوردناها والتي نجزم بأن علماء الأمة من مختلف الطوائف الإسلامية يتفقون معنا على رأينا، ولذلك فإن الضروري والأهم والأوجب والأكثر فرضاً واعتباراً على أبناء الأمة من مختلف الطوائف هو أن يجعلوا همهم في الاعتصام والاتحاد وليس العكس.

الرسول الأكرم ﷺ، قد أوصانا جميعاً بالوحدة والاتحاد وحثّنا عليها فهو القائل ﷺ: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)، و(**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**) و(**إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم**)، وهذه الأحاديث النبوية الشريفة التي هي امتداد للنهج الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لأمة محمد ﷺ، بالسير في ضيائه والتمسك بعروته، تبين بمنتهى الوضوح، الأهمية القصوى والاستثنائية للاعتصام والاتحاد والتآلف بين أبناء الأمة من مختلف الطوائف. والحقيقة الأهم التي يعلمنا إياها سيدنا ومعلمنا ومرشدنا و قدوتنا محمد ﷺ، هي أن المؤمنين من أبناء الطوائف المختلفة

كالبنيان بعضهم يشد بعضاً، ولم يقل إن بعضاً أو رهطاً أو طائفة تشد وتنوب عن الجميع، ولا غرو من أن الذي يحدث ويجري حالياً في عالمنا العربي والإسلامي، هو ما قد حذر منه الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المبين، وكذلك ما قد حذر منه وأكد عليه سيدنا ونبينا الأكرم ﷺ، ولذلك يستوجب على أبناء الأمة من الطائفتين الشيعية والسنية على حدّ سواء الانتباه لذلك والحذر من الانجراف في فتنة لايعلم مداها و نتائجها الوخيمة إلا وحده عز وجل.

في هذا الظرف العصيب والمرحلة الخطيرة والحساسة التي نمرّ بها ونشهد تفاصيلها الكارثية جميعاً، فإننا نجد أن هناك ضرورة ملحة وقصوى للعمل الجدي والمخلص من قبل علماء وأبناء الطائفتين السنية والشيعية من أجل رصّ الصفوف وسدّ الثغرات والفجوات الحاصلة بسبب آثار ونتائج وتداعيات عوامل فتنة الانقسام والاختلاف التي تعصف بدول المنطقة بصورة خاصة، وإن القيام بمبادرات حيوية مخلصة نظير الدعوة إلى الصلاة الموحدة المشتركة بين السنة والشيعة والتناوب عليها في المساجد. ولهذه الخطوة أهمية بالغة لأنها تعمل على رص الصفوف وتآلف القلوب ونبذ كل أسباب وعوامل الحقد والكراهية والفرقة كما أن مثل هذه الصلاة المحمودة سبيل عملي للتأكيد على الوحدة الإسلامية، وإننا ومن موقعنا قد خطونا عملياً بهذا السياق فقد كان لنا شرف الصلاة في مسجد الرسول ﷺ في المدينة تأكيداً وحرصاً منا على التأسيس لهكذا سياق يخدم المصالح العليا للأمة الإسلامية جمعاء دونما

تفرقة، وبذلك نعمل على فتح جبهة عقائدية موحدة بجهد مشترك وهو ما سوف يؤسس بعون الله ومشيئته لمبادرات وأعمال وأفكار وممارسات أخرى مشابهة بما يضع حدّاً وبصورة تدريجية للحالات السلبية ويقوم من مسيرة الأمة بما فيه الخير والفلاح والصلاح للجميع، وهنا لا بد من الإشارة والإشادة بالخطوة المباركة التي دعت إليها وقامت بها مملكة البحرين ودولة الكويت بالدعوة للصلاة المشتركة دفعاً و درءاً وتحدياً لفتنة الانقسام والاختلاف التي نعلم جميعاً بأن أعداء الأمة والمتربصين شرّاً بها سعوا ويسعون لاستغلالها لأهداف وغايات مسمومة وبعون الله ومشيئته سنكون بمستوى المسؤولية وسنعمل على ردّ كيد الأعداء والمتربصين بالأمة إلى نحورهم.

لتكن عاشوراء للسنة والشيعة معاً

تحظى مناسبة عاشوراء بمكانة ومنزلة متميزة لدى كافة المسلمين بوجه عام ولدى الشيعة منهم بوجه خاص، ولايمر عام إلا ويبادر المسلمون إلى إحياء هذه المناسبة وينهلون من زلال ذكراها العذب المعاني والقيم والعبر والدروس البليغة.

واقعة عاشوراء، التي سطرت بحق واحدة من أروع وأعظم الملاحم الإنسانية الخالدة والتي تؤسس لوقع الكلمة والموقف على سطوة السلطة والنفوذ، تتجدد كل عام وتزرع بذور الصلاح والإصلاح في أعماق النفوس والقلوب وتهذبها بما فيه الخير للذات وللمجتمع، هذه الواقعة، التي يحييها المسلمون من أجل مضامينها وأفكارها وقيمها التربوية والأخلاقية، كانت وستبقى واحدة من المناسبات المهمة والحيوية التي تشد من أزر المسلمين وتوحد صفوفهم وتصفي قلوبهم أكثر فأكثر، لم يخطر على بال آبائنا وأجدادنا استغلالها وتجييرها من أجل أهداف أو مصالح دنيوية ضيقة لاعلاقة لها بالمناسبة إطلاقاً كما نرى اليوم حيث دأبت منابر وتيارات واتجاهات محددة مبثوثة هنا وهناك ومدعومة من جانب واضح ومعلوم للجميع، على تسييس هذه المناسبة وتطعيمها بمضامين مدسوسة ودخيلة لا صلة لها بعاشوراء ولا يمكن ربطها بها من قريب أو بعيد خدمة لأجندة وأهداف ومصالح ومشروع عقائدي - سياسي خاص يضر وبشكل ساطع الأمة العربية وطموحاتها الآنية

والبعيدة المدى.

إننا نؤكد أهمية إحياء ذكرى عاشوراء في مواقيتها وباعتدال تام من دون تطرف أو غلو أو مبالغة لا في وقت المجلس الحسيني ولا في مضمونه، بالاعتماد على المصادر الصحيحة والرواية الصادقة لأحداث عاشوراء.

إن تسييس هذه الذكرى غير جائز شرعاً. ويجب عدم استغلالها لمآرب سياسية وحزبية وخصوصاً من أجل التحريض وإثارة الحساسيات المذهبية. من هنا دعوتنا لخطباء المنبر الحسيني للابتعاد عن خطاب التفرقة لأن الأصل في دعوة الإمام الحسين هو توحيد صفوف المسلمين والعرب ورفعة شأن الدين وتعزيز منعة الأمة. وقد عمل على الجمع والوحدة والإصلاح.

إن إحياء الذكرى باعتدال وانفتاح لا يتناقض مع شيعيتنا، كما أن إحياءها بتطرف وغلو من قبل البعض لا يعني أنهم حسينيون أكثر منا.

إنما العكس هوالصحيح، فالإمام الحسين في الأصل هوحامل لرسالة جده رسول الله ﷺ وعامل للوحدة والإصلاح. لذا جاءت دعوته لجميع المسلمين وليس لفئة دون فئة، وهو بالتالي لا يخص مذهباً إسلامياً دون آخر، وإذ عمل البعض على تخصيصه بمذهب أو فئة فإنه بذلك يحجمه ويبطل دعوته التوحيدية.

إن خير تكريم لذكرى الإمام الحسين هو في إحياء ليالي عاشوراء من قبل

المسلمين السنة والشيعة معاً، على أن يكون ذلك بطريقة حضارية وسلمية وبعيدة عن الإثارات المصطنعة. فلا يجوز إيذاء النفس، أو التحريض ضد الغير، أو تحويل المنبر الحسيني إلى مناسبات للسب والشتم، نسأل الله عز وجل أن يوحد أمتنا ويجمعها على الخير وكلمة التقوى.

إنها السياسة، لا السنة ولا الشيعة

لسنا ندعي بأنه لم تكن هنالك خلافات مذهبية أو طائفية في الوطن العربي والعالم الإسلامي، لكننا نؤكد بأن تلك الخلافات بالفروع وليست بالأصول ولم تكن تتجاوز حالات محلية ضيقة ناجمة عن الجهل والتعصب والانغلاق في أغلب الأحيان ولم يكن مطلقاً بمقدورها الاتساع وفرض نفسها كظاهرة أو كأمر واقع.

الخلافات المذهبية (**والعرقية والدينية أيضاً**)، كانت دوماً تثير انتباه وفضول القوى الطامعة أو المتربصة شرّاً بالعرب والمسلمين، وكانت "وبالاستناد للأرضية العقائدية المتينة والحمية والغيرة الاستثنائية للأمة الإسلامية"، تدفعهم وتحثهم للبحث عن أية ثغرة أو فجوة يتسللون منها لداخل البنيان الاجتماعي الفكري والسياسي ونفث سمومهم الكريهة من أجل الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم المتعارضة مع مصالح وأهداف المسلمين عموماً.

إن إيلاء المسألة الطائفية ومسألة الأقليات الدينية والعرقية في الوطن العربي والعالم الإسلامي أهمية استثنائية ملفتة للنظر من جانب مختلف القوى والجهات الإقليمية والدولية المعادية، وحتى إن هناك دوائر وأوساط مختصة لا هم لها سوى إعداد الدراسات والبحوث عن أفضل الطرق والأساليب التي يمكن اتباعها من أجل إبقاء الأمة الإسلامية منشغلة بنفسها ولا تفكر أو تتمعن فيما يعد أو يخطط لها من جانب

الأعداء، وحتى إن بدايات الاجتياح الاستعماري للوطن العربي والعالم الإسلامي شهدت تركيزاً مكثفاً على هذه المسألة ومنحها الأولوية قياساً لكل المسائل الأخرى التي يمكن توظيفها من أجل التسلل إلى العمق العربي والإسلامي وإقامة مناطق ومراكز للنفوذ، لكن، عودة المسألة الطائفية ولاسيما من زاوية التركيز على الاختلافات بين الطائفتين السنّية والشيعية واللتين هما بالأساس دعامتي الإسلام الرئيستين وهما يشكلان معاً سدّاً منيعاً بوجه كافة الأعداء والطامعين وليس بالإمكان مطلقاً اختراقهما إلا باللجوء للألاعيب والدسائس والمؤامرات والمخططات القذرة والمشبوهة، كانت متزامنة مع إقامة نظام ولاية الفقيه في إيران والذي قام ومنذ الأيام الأولى لترسيخ ركائزه بسلوك نهج أقل ما يقال عنه غريب ومشبوه، حيث إنه اعتمد وبشكل ملفت للنظر على إثارة النعرات الطائفية والتركيز على الاختلافات الشكلية والفرعية بين السنّة والشيعة وجعلها تبدو وكأنها صميمية وليس بالإمكان مطلقاً معالجتها أو تخفيفها ولو بالحوار.

وقد كان لإثارة الطائفية السنية داخل إيران ولاسيما في المناطق الغربية والشرقية منها بوجه خاص، أكثر من دليل دامغ على النهج غير السليم للنظام الجديد في إيران. بيد أن إثارة النعرات الطائفية لم تتحدد بالداخل الإيراني، ذلك أن النظام طفق ينفث سموم الاختلاف الطائفي عبر منافذ متباينة أهمها حملاته المختلفة لتغيير التركيبة الاجتماعية الفكرية القائمة منذ مئات السنين وجعلها تبدو بشكل ومضمون مختلفين عمّا هي عليها،

وقد كانت هذه المحاولات واضحة في السودان والمغرب العربي بشكل خاص، وفي عموم الوطن العربي بشكل عام، وحتى إن تركيز النظام الإيراني على كتب ومؤلفات تتحدث علناً وبشكل مكشوف عن مسائل الاختلاف ومن ضمنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب(ثم اهتديت)، لتونسي غير مذهبه من سني إلى شيعي، حيث تم طبع هذا الكتاب بشكل واسع بحيث تجاوز مئات الألوف من النسخ وتم توزيعه هنا وهناك عبر مختلف المنافذ والطرق والسبل والوسائل، وقد ركز النظام بشكل خاص على مفردة(الاستبصار)، إذ صوَّر تشييع السني بأنه استبصار للحقيقة مما يلفت الأنظار إلى أن البناء العقائدي للطائفة السنية غير سليمة، وهو أمر أثار استهجان ليس الأوساط السنية وحدها وإنما حتى الغيورين من الطائفة الشيعية من أولئك الذين انتبهوا للغايات الخبيثة والمشبوهة الكامنة خلف المسألة من أساسها، وقد تأكد لكل هذه الأوساط بأن هنالك غايات سياسية بحتة قائمة خلف هكذا دعوات ومحاولات مشبوهة وليست لها أية علاقة بالدين لا من قريب أو بعيد، وأن علاقات الأخوة المتينة التي ربطت وتربط بين السنة والشيعة لهي أقوى وأعمق وأرسخ بكثير من هذه المخططات والطروحات المشبوهة وليس هنالك من سنّي أو شيعي لا يرفض هذا الطرح جملة و تفصيلاً.

إننا من موقعنا الإسلامي، نؤكد دائماً وأبداً أن الأصل في الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله فمن قالها وآمن بها حرم دمه وماله وعرضه وهو مسلم موحد، وهذا ما يقول به ويشهد عليه كل

المذاهب الإسلامية سنة وشيعة ويعتقدون بالقرآن والصلاة والصيام والحج والزكاة وهو الأصل والجوهر، والباقي فروع واجتهادات ومذاهب وآراء مشروعة ومسموحة وفيها مدعاة للتحرك الفكري الفقهي الكلامي.

فليس هنالك قضية أصولية اسمها الاختلاف بين السنة والشيعة وإنما هناك أجندة وسياقات سياسية مفتعلة تسعى لتوظيف المسألة من أجل أهداف تكتيكية واستراتيجية وندعو أبناء الأمة الإسلامية ولاسيما إخواننا من الشيعة العرب في مختلف الأقطار العربية والعالم كله إلى أخذ الحيطة والحذر والانتباه جيداً إلى هذه المؤامرة الخبيثة والفصل بين المرام والأهداف السياسية المشبوهة وبين الأساس النقي الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي الفكري لكلتا الطائفتين. وإننا نؤكد للجميع بأنها السياسة المشبوهة فقط، وليس هنالك قضية اسمها السنة والشيعة وأن كلا الطائفتين براء من إثارة هكذا قضية مختلقة وخطيرة تهدد الأمن الاجتماعي للأمة العربية، وإننا نعلن أن لا خلاف أصولي جوهري بين السنة والشيعة، وعليه يجب الابتعاد عن أي مسلك أو تغطية مذهبية لهذا الحزب أو ذاك الزعيم أو الجماعة حتى لو نسبت نفسها واسمها إلى الله تعالى عمّا ينسبون ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ فهل من متعظ.

الحسيني: ندعو وزراء العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية لإقامة "حوار إسلامي إسلامي"

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على أنبيائه ورسله أجمعين وعلى خاتمهم محمّد بن عبد الله العربيّ ﷺ وبعد:

يا إخوتي...لا يخفى عليكم أن الله-عز وجل-بعث رسوله محمّداً العربي ﷺ،رحمة للعالمين وإلى الناس أجمعين لهدايتهم وإرشادهم وكل هذا لم يعرف في البداية إلا بالعقل ثم أيده الشرع من خلال آيات الله،وقد تكرّرت الآيات القرآنية التي تأمر الإنسان باستعمال عقله والاستفادة منه،ونددت آيات كثيرة بمن ترك عقله جانباً فجاء في القرآن الكريم:﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾؟ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾؟.

إخواني!إن الله-سبحانه وتعالى-هدانا بنبيه ومنحنا العقول لنفهم هذه الرسالة الإسلامية السمحة الجامعة المانعة حيث أمر رسوله الكريم أن يحاور أهل الكتاب على أساس الجامع المشترك وانطلاقاً من الحجة العقلية والبرهان،فقال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

وتتابعت الآيات القرآنية في مواضع كثيرة يأمر الله رسوله بحوار أهل

الكتاب...

وأجاب النبي العربي ﷺ أمر ربه فحاور وناقش وسمع آراء أهل الكتاب وأدلى بحججه وسمح لهم بإدلاء حججهم.

والآن وبعد هذه المقدمة التي هي نقطة من بحر نقول:

لقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.

فما علينا إلا أن نتأسى بنبينا ونتمسك بالحوار المبنيّ على العقل وإعمال الفكر،والهادف إلى غلبة الحق وانهيار الباطل.

لقد حاور النبيّ أهل الكتاب، وما نزال نحن بعيدين عن حوار أنفسنا، لذا فلنبدأ بالحوار الإسلامي الإسلامي، ولنحكّم كتاب الله وسنة نبيه في أمورنا ونتحد ونتوافق ونكن كما أراد لنا الله أمة واحدة مجتمعة على الدين القويم ورسوله الأمين.

أي فارق بين المذهبين الإسلاميين؟وهل هذه الفوارق البسيطة التي لاتخدش الشريعة تستحق منّا الصراع والقتال وأن تفتك فئة بفئة؟.

إخواني!

وفي هذا النداء أخاطبكم جميعاً، إذا أردتم الأدلة العقلية على قوة الإخوة

إذا اجتمعوا وضعفهم إذا تفرقوا فما أكثرها،وليعمل أيّ منّا فكره دقائق ليدرك حاجته وحاجة من ينتمي إليه إلى الفئة الأخرى من أمته لنقوى جميعاً.

ونحذر من التفتت والتشرذم لئلا نفشل وتذهب ريحنا ويسخر منّا أعداؤنا. إخواني سنةً وشيعةً إني أرى تحت الرماد وميض نار يوشك أن يتأجج ويحرق الأخضر واليابس.

والخلاص من هذا البلاء الجارف تمسكنا بوحدتنا على أن نحفظ لإخواننا في الأمة والوطن حقوقهم ونتعاون معهم،فإن انتصارنا انتصار للأمة،وتمزقنا تمزق لهذه الأمة.

وأخيراً لا تنسوا يا إخوتي وأحبائي من السنّة والشيعة تمسكوا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا،وثقوا أن معكم أمة تشد أزركم لا ترضى بتحطم بلدكم ولا تقبل تفرقكم...

أمة تشدّ على أيديكم وأنتم تعملون بأوامر الله وسنة نبيه ﷺ، وتضطر إذا لم تحافظوا على وحدتكم التي فيها مصلحتكم أن تشهد الله عليكم قائلة:اللهم فاشهد.

إخواني حافظوا على رضا الله ورضا أولي الأمر من هذه الأمة الممتدة من المحيط إلى الخليج لتكون معكم،ولا تنسوا أن القوّة أصناف وأهمها وأعملها القوة الفكرية العقلية فتمسكوا بها ولتكن رائدكم، ولنشهد على

من مشى على الطريق المستقيم ونحاول إرشاد من سار في طريق الخطأ، ونمسك بيده حتى يعود إلى الصواب.

من موقعنا الإسلامي ندعو وزراء العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية في الدول الإسلامية ونتوجه إلى العلماء والعقلاء والمفكرين والصلحاء في هذه الأمة لإقامة مؤتمر للحوار {الإسلامي - الإسلامي} تتحقق فيه أهداف ما ذكرناه، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾.

رمضان شهر الوحدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ سورة البقرة الآية ١٨٥

ونحن نتشرف بقدوم شهر رمضان المبارك الذي تتفجر في ثنايا أيامه ولياليه المحمدية العبقة كل معاني العطف والرحمة والإحسان ويغدو الإنسان خلالها أقرب ما يكون من ربه ويسعى لتجسيد صالح الأعمال وأفضلها، لم نجد مناصاً من مخاطبة أمتنا العربية بشكل خاص والأمة الإسلامية بشكل عام وحثها على الاستفادة من هذا الشهر الفضيل بما يخدم أهدافها وغاياتها ومستقبل أجيالها.

رمضان هذا العام، يطل علينا ونحن نرى سيوف الغدر والظلام تتربص المنون بالعديد من بلداننا العربية وتسعى لدق إسفين وزؤام الفرقة البغيضة التي تؤدي في مفترقاتها النهائية إلى المواجهة بين الأخوة والانشغال عن الأعداء الحقيقيين.

وليس بإمكاننا أبداً التغاضي عن تلك الأخطار والتحديات والأزمات التي تواجه أمتنا العربية من فلسطين السليبة إلى العراق الجريح ومروراً بلبنان القلق على مصيره، مع الالتفات إلى الأمة الإسلامية التي تتعرض ومنذ سنوات إلى هجمة خارجية تتمثل بمحاولة إحياء المشاريع

الاستعمارية وإلى هجمات داخلية من فئات ضالة توهمت بأنها تستطيع النيل من منعة المجتمع الإسلامي بالعنف والإرهاب وسيلة ومنطقاً للخطاب والتعامل، وإننا نأخذ كل ذلك بالاعتبار ونحن نتصدى للأوضاع ونسعى لطرح ما يمكن أن يكون بلسماً شافياً بعون الله تعالى لما تواجهه أمتنا من مشاكل وأزمات.

إن الأوضاع الصعبة والمعقدة في العديد من النقاط بوطننا العربي وسعي دوائر محددة لتصعيد الأوضاع بشكل غير عادي في بلدان أخرى **(سيما في اليمن)**، ليدل بوضوح على أن سوق تمرير الأجندة وتطبيق سياسات مشبوهة معينة خدمة لمصالح خارجية وإقليمية **"واضحة"**، ما زال وللأسف فاعلاً وإن هناك قوى جعلت من نفسها معابر وجسوراً لتلك القوى الخارجية متناسية بأن سلوكها هكذا درب سوف لن يأتي عليها في النهاية سوى بالوبال، وإننا نجد من واجبنا كمرجعية إسلامية عربية تعمل في الساحة منذ ثلاثة أعوام، أن نلفت الأنظار بقوة إلى خطورة المراهنة والعبث بالأمن الاجتماعي للأمة العربية في مختلف الأقطار العربية وإن الأوضاع **(وتداعيات السياستين الإقليمية والدولية)** إن وفرت في هذه الفترة متسعاً محدداً تتمكن خلاله تلك القوى الطامعة من التحرك بعدوانية، فإننا نؤكد لكل أخ لنا في الدين والإنسانية ممن يساهم في تمرير تلك الأجندة والسياسات المشبوهة، بأنه لم يحدثنا التأريخ بشقيه العالمي والعربي الإسلامي، إن كان هنالك في يوم من الأيام ثمة غد أو مستقبل لمن سلك درباً لاحت أو تلوح فيه بوادر إلحاق ضرر بوطنه

وشعبه وأنه آجلاً أم عاجلاً سيفتضح أمره على رؤوس الأشهاد ويومها لا ينفعه الندم بشيء، ومن هنا فإننا نحث هؤلاء على أن يغتنموا فرصة هذا الشهر الفضيل ويراجعوا أنفسهم ويسلكوا الدرب الأصح وهو درب مصالح شعوبهم وأوطانهم. وإننا نجد في الوقت نفسه، ولكوننا نحمل على أكتافنا المسؤولية التأريخية أمام أمتنا العربية كمرجعية إسلامية عربية رشيدة، فإننا ندعو ومن باب حرصنا وإيماننا بأهمية وحدة الكلمة والجماعة، كافة الأخوة في مختلف مجتمعات بلداننا العربية ومختلف التنظيمات والأحزاب والمؤسسات والشخصيات الإسلامية سنية كانت أم شيعية، إلى العمل البناء من أجل المزيد من رص الصفوف وتفويت الفرصة على المتآمرين لتمرير سياساتهم العدوانية والخبيثة ضد أمتنا وإننا نحثهم ببركة هذا الشهر الفضيل أن يجعلوا المصلحة العامة فوق أي اعتبار آخر ويساهموا بكل ما بمقدورهم من أجل ردم الهوات وتضييق فجوات الاختلاف والتمسك بالأوامر والوصايا السامية والنبيلة التي قالها الله سبحانه تعالى في محكم كتابه المبين ونطقها الرسول العربي الكريم في أحاديثه الشريفة، وإننا بعون الله وخفي ألطافه في هذا الشهر المبارك سنجد الكثير من القلوب والصدور التي ستتفتح لهذا النداء المخلص لأن يد الله مع الجماعة دائماً والله ولي التوفيق.

الحج عبادة وليس سياسة

تتميز شعيرة الحج بكونها ركناً مهماً من الأركان الأساسية التي بني عليها الإسلام، وهي من الشعائر العبادية التي يتقرب بها المسلم إلى الله عزّ وجلّ، وقد أكد عليها الرسول الأكرم ﷺ في أحاديثه الشريفة وورد ذكرها في القرآن الكريم، وتتجلى أهمية شعيرة الحج بالإضافة إلى مضمونها العبادي البحت الذي له فوائده الروحية العميقة في تصفية وتنقية أغوار الإنسان، بأنها تساعد على وحدة المسلمين وضمان تكاتفهم وتآزرهم وتآلفهم ونبذ الخلافات وكل أشكال التنافر والتباعد والخصومة وفي الوقت نفسه تسوي بينهم فلا فرق بين أبيض وأسود وأصفر ولا عربي ولا أعجمي ولا فقير ولا غني.

الحج، هو بمثابة محطة روحية لكل الأمة الإسلامية وواحدة من أبرز مظاهر العزة والتلاحم والتقرب إلى الله حيث إن المسلم (**من أي بلد أو عرق كان**)، يشعر بالطمأنينة والألفة والسعادة الروحية القصوى وهو يجد إلى جانبه ذلك الحشد والجمع الهائل القادم من مختلف بلدان العالم الإسلامي والذي يحوي بين صفوفه مختلف الأعراق الإنسانية، وإذا ما كانت شعيرة صلاة الجماعة يقيمها المسلم في بلده ومع أبناء بلده، فإن شعيرة الحج يقيمها بالتكاتف والتآزر مع أبناء أمته الإسلامية القادمين من بلدان العالم الإسلامي ومن سائر أرجاء العالم أجمع.

لقد كان الحج وطوال أكثر من أربعة عشر قرناً، شعيرة عبادية توقيفية

تمنح المسلمين مشاعر الطمأنينة والبهجة والصفاء الروحي، حيث تهفو القلوب إلى بارئها في بيته المبارك طامعة بالمغفرة والتقرب إلى نور وجهه الكريم، وخلال أيام الحج المباركة، تعارف المسلمون على نزع ما في صدورهم من غل وحقد وكراهية ولو بمقدار شروى نقير وملء فضاءات أرواحهم ونفوسهم بكل معاني الحب والألفة والتودد والتحابب عملاً بما جاء من أحكام بهذا الخصوص في محكم الكتاب المبين وفي الأحاديث الشريفة المتواترة عن رسولنا الكريم ﷺ، وإنه لمن الغريب جداً أن نجد هناك من يسعى إلى جعل هذا المضمون والمعنى الروحي والأخلاقي البليغ لشعيرة الحج بصورة مغايرة تماماً وهو أمر من السهولة أن نجد الاستهجان رديفاً له، ذلك أنه وكما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، فإن مناسك الحج وكما ورد في الشرع الإسلامي عبر ركنيه الأساسيين **(القرآن والسنة النبوية)** وطبقاً لما ذكرته أمهات الكتب والمصادر الإسلامية وما عليه إجماع العلماء، لم تكن سوى شعيرة عبادية ذات بعد روحي خالص وليست فيها أية شائبة أو رواسب أو مخلفات أخرى، ومن هنا فإن من واجب كل مسلم أن ينهى عن أي مظهر سلبي من تلك المظاهر التي هدفها الإضرار أو النيل من شعيرة الحج.

تقريب بين المذاهب أم صب الزيت على النار

ليس بالإمكان أبداً التقليل من جهود علماء أجلاء وعظام نظير الإمام محمد عبدو والشيخ محمود شلتوت وجمال الدين الأفغاني وآخرين أمثالهم، بخصوص ما قدموه من عمل وجهود مثمرة وخلاقة في مجال الدعوة للوحدة الإسلامية ونبذ كل أشكال الفرقة والاختلاف والسعي للمزيد من التقرب بين المذاهب الإسلامية عموماً والمذهبين السني والشيعي بوجه خاص، وقد ظل هذا النفس المخلص والجهد النبيل المبذول أساساً من أجل عزة الدين الإسلامي ورفعته، ماثلاً ومستمراً ونابضاً في قلب ووجدان كل المخلصين والخيرين من علماء ومفكري الأمة الإسلامية من كافة المذاهب من دون أن تكون هنالك أية نوايا أو أهداف طائفية ومذهبية ضيقة أو أجندة سياسية وراء ذلك.

التقريب بين المذاهب، هو في مضمونه الأساسي نابع من عقيدة التوحيد التي بني على أساسها الدين الإسلامي وأنه يستمد قوته واستمراريته وفق هذا الفهم الراسخ، وكل عمل مبني على نية خالصة ومخلصة من أجل رفعة وسؤدد دين التوحيد، فإنه لله عزّ وجلّ وإن نتائجه النهائية ستظهر للأمة جمعاء حيث إن (**ما ينفع الناس يمكث في الأرض**) ومن أجل ذلك، فإن أسماء ذلك الرعيل المخلص الذي ألمحنا إليه في بداية مقالنا هذا، قد بقيت خالدة وحاضرة في الذاكرة والذهن الإسلامي وصارت كقبس ومنار يهتدي ويقتدي به الجميع، وهي أيضاً قد صارت محفزاً ودافعاً للإلهام لكل الخيرين والمخلصين من أبناء الأمة الإسلامية

ممن يرومون إصلاح ذات البين أو ردم الهوات والعمل الدؤوب من أجل المزيد من التقريب والتفاهم بين المذاهب.

إن الدعوة للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ليست بمؤسسة رسمية تؤسس أو تلغى من قبل الحكومة الفلانية، وإن هكذا جهد مبذول أساساً في سبيل دين التوحيد، ليس بالإمكان مطلقاً حجزه أو حشره ضمن أطر رسمية ضيقة بحيث ينصب أو يعزل كل من يعمل في مجالاته بقرار من الحاكم الفلاني، وإنما هو أساساً وكما أسلفنا جهد مبذول من أجل الله وفي سبيله وإن الباري عز وجل هو من سيجزي ويثيب وليس غيره ومن هنا فإن قادة وزعماء الأمة الإسلامية قد كانوا ولا زالوا يكنون أسمى آيات التقدير والعرفان لكل عالم نبيل مخلص يبذل جهداً بهذا الاتجاه من دون أن يضعوا أية عقبات أو حواجز بطريقه، لكن ما حدث ويحدث من جانب نظام ولاية الفقيه في إيران، هو أمر مخالف وبعيد كل البعد عن هذا السياق، ذلك أن من أبسط دعائم وركائز التقريب بين المذاهب، هو نبذ التعصب والعنف والكراهية والتركيز على نقاط مفصلية فيها الكثير من الضبابية والغموض، والأجدر عدم التعرض لها.

العلامة الحسيني: مسؤولية العلماء الإصلاح وإرشاد الناس وإخماد الفتنة.

أكد العلامة السيد محمد علي الحسيني الأمين العام للمجلس الإسلامي العربي أثناء لقائه في الرياض مع العلماء الكرام مفتي طربلس الشيخ مالك الشعار ورئيس مركز الدراسات والإعلام الشيخ خلدون العريمط، أنه إذا اجتمع العلماء توحد عوام الناس وإذا افترقوا تقاتل الناس، لأن مسؤولية العلماء هي الإصلاح وإخماد الفتنة وإرشاد الناس وتوجيههم نحو الخير والمحبة والعيش بتسامح واعتدال والابتعاد عن التطرف والتعصب.

أضاف السيد الحسيني: إنّ هذا الدور مطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى لأن الأمة الإسلامية تتعرض لهجمات خارجية خبيثة تريد النيل من وحدتها وتحاول تمزيقها شيعاً ومذاهب وخلافات بين أبناء المذهب الواحد ولا سبيل إلى مواجهتها إلا برص الصفوف وترك الخلافات الجانبية.

وشدد السيد الحسيني على: «**أن العلماء الحقيقيين يقفون في طليعة المدافعين عن وحدة المسلمين**».

وختم: هذه هي الوظيفة الأساسية للعلماء، وهي مصداق لقول رسول الله ﷺ: «**إذا صلح العالِم صلح العالَم وإذا فسد فسد العالم**».

قال السيد الحسيني خلال لقائه وزير «الشؤون» بجدة:

مفجرو المساجد إرهابيون عقيدتهم القتل.

والدعوة والإرشاد الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ في مكتبه بجدة: «لن ننسى المبادرات التاريخية التي قامت بها المملكة تجاه قضايا المنطقة وكان لها الوقع الأكبر في توطيد عرى الأخوة العربية ورأب الصدع. فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان للمملكة في لبنان فضل كبير بل ومتواصل حتى هذه اللحظة وهو ما قامت به في العام ١٩٨٩م حين جمعت الفرقاء اللبنانيين في مدينة الطائف، وقامت بجهود هائلة للتوفيق فيما بينهم وتطويع جميع العقبات وكانت المحصلة «**وثيقة الوفاق الوطني**» أو ما عُرف باتفاق الطائف نسبة إلى المدينة التي وقّع فيها، وهو ما أسس لمرحلة جديدة في الجمهورية اللبنانية، والأهم أنّه أنهى الحرب الأهلية التي كانت تدور رحاها في البلاد.

وفي حديثه عن الأعمال والتفجيرات الإرهابية التي استهدفت المصلين في مسجدين في المملكة ومسجد في الكويت أكد «**الحسيني**» أن منفذي تلك الاعتداءات الآثمة على المساجد لا يمتون بصلة إلى أي دين أو أي معتقد، وإنما ينتمون إلى تنظيم إرهابي عقيدته القتل وليس سوى القتل؛ بهدف إشعال الفتن، وقتل العباد وتخريب البلاد والمجتمعات والدول.

الحسيني من عمان: إن ما يجري اليوم في العالم العربي ما هو إلا ضجة مفتعلة ذو أبعاد سياسية ظاهرها ديني وباطنها سياسي محض، السياسة ما دخلت شيئاً إلا أفسدته.

أكد السيد محمد علي الحسيني أمام فضيلة الشيخ بلال بارودي إمام مسجد السلام عضو هيئة علماء المسلمين في عمان: إننا نجتمع معاً على الخير والهدى وكلمة التقوى.

وأضاف: «شخصياً لا أنكر وجود خلافات فكرية- فقهية بين المذاهب والطوائف وهي قديمة، لكنها بحد ذاتها وحدها لا تستدعي الوصول إلى حد التطرف والتكفير والانقسامات الحادة».

وقال: «للأسف إن ما يجري اليوم في العالم العربي ما هو إلا ضجة مفتعلة ذو أبعاد سياسية ظاهرها ديني و باطنها سياسي محض فنجده- السياسي- يتحالف مع جهة هنا ويقاتلها هناك، إنها السياسة والدين منها براء».

وأضاف الحسيني: «من المعلوم أن المذاهب الإسلامية الخمسة الجعفرية، الحنفية، الشافعية، المالكية والحنبلية يجمعها قواسم مشتركة تشكل أصول العقيدة وجوهر الإسلام من خلال الإيمان بالله عز وجل وتوحيده وعدم الشرك به، والإيمان بنبوة وعصمة خاتم الأنبياء والرسل الحبيب المصطفى ﷺ واحترام زوجاته وأصحابه وعدم التعرض لهم والإيمان بكتاب الله عز وجل القرآن الكريم الممتنع عن التحريف ولا يأتيه الباطل أبداً وبالكعبة البيت الحرام وبوجوب الصلاة والصيام والحج وهذا ما لا يختلف عليه أحد من أئمة المذاهب وأتباعهم ولكن السياسة ما دخلت شيئاً إلا أفسدته».

وختم السيد الحسيني بالقول: «إن من المصلحة الإسلامية العليا إعادة تنشيط وتفعيل مبادرة الأزهر الشريف للتقريب بين المذاهب وجعل كل النقاشات الفكرية- الفقهية- العلمية محصورة في محضر لجنة خاصة تقوم بتقريب وجهات النظر وتفعيل المتفق عليه بين المذاهب».

العلامة الحسيني أثناء لقائه بوزير الشؤون الإسلامية: إلهنا واحد وإسلامنا واحد ونحن أمة واحدة.

شارك السيد محمد علي الحسيني، ضمن لقاء علمائي خاص جمع الكثير من الشخصيات الدينية العربية والإسلامية، بمعالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة الشيخ صالح آل الشيخ.

وعقب اللقاء، أكد الحسيني على ضرورة العودة إلى القرآن الكريم الذي هو المصدر الأول من مصادر الشريعة الإسلامية والذي ينص على أن الدين الإسلامي هو دين واحد وأن هذه الأمة هي أمة واحدة وأن ربنا واحد استناداً لقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾.

التقى الحسيني الدكتور فؤاد علوي والشيخ الحاج تهامي بريز رئيس الأوقاف الإسلامية في فرنسا

التقى السيد محمد علي الحسيني رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا الدكتور فؤاد علوي والشيخ الحاج تهامي بريز رئيس الأوقاف الإسلامية في فرنسا حيث شدد أمامهما على أهمية العمل الإسلامي في دول الغرب، لمتابعة الشؤون الدينية للجاليات العربية والإسلامية، ولإقامة الحوار الحضاري مع الأديان الأخرى.

ولفت إلى ضرورة احترام دول الغرب التي تستضيف أبناءنا العرب والمسلمين، وضرورة المحافظة على قوانينها ونظمها ورعايتها من كل أذى أو اعتداء ، لأن أمن هذه الدول هو أمن المقيمين على أراضيها، بالإضافة إلى أن الإسلام هو دين حنيف يدعو إلى الحوار والإقناع بالتي هي أحسن، ينبذ كل

أشكال العنف والإرهاب الفكري والأمني والسياسي.

وأضاف: المسلمون أصحاب رسالة أينما حلوا وأقاموا، لكن دعوتهم لدينهم يجب أن تحافظ على خصوصية البلد الذي يعيشون فيه، فلا يجوز عصيان القانون أو تهديد النظام، بأي شكل من الأشكال.

وفي هذا الإطار شكر العلامة الحسيني فرنسا وخصها بتقدير خاص لأنها تتيح للمسلمين إحياء شعائرهم الدينية بحرية، وتحترم الإسلام وتقيم مؤسساتها المختصة حواراً مع ممثليها على أراضيها.

وعرض السيد الحسيني لأسباب تأسيس المجلس الإسلامي العربي، ومسيرته خلال السنوات الأربع الماضية، حيث حقق الكثير من الإنجازات، وأصبح يمثل المرجعية السياسية للشيعة العرب.

وأكد العلامة الحسيني أن المجلس هو مجلس كل المسلمين العرب ورسالته إبعاد كل المسلمين عن الإرهاب الذي تمارسه دول ومنظمات تدعي الإسلام وهو منها براء.

ورحب الشيخ تهامي والدكتور علوي بالعلامة الحسيني وبحثا معه سبل تفعيل عمل المجلس الإسلامي العربي في الدول الغربية، فأكد لهما استعداده للتعاون والتنسيق مع المراجع الإسلامية والأئمة والدعاة في كل المجالس الإسلامية في الغرب لما فيه صلاح للأمة وللمسلم في الغرب.

الإسلاموفوبيا والشؤون الإسلامية في أوروبا كانت مدار بحث وتشاور بين السيد محمد علي الحسيني والدكتور محمد بشاري أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي.

حوارية علمية وسطية في الرياض بين السيد محمد علي الحسيني ومفتي موريتانيا وإمام الجامع الأكبر، الشيخ أحمدو ولد حبيب الرحمن.

جلسة صباحية حوارية علمية وسطية في الرياض بين السيد محمد علي الحسيني ومفتي موريتانيا وإمام الجامع الأكبر، الشيخ أحمدو ولد حبيب الرحمن جرى فيها مناقشة هموم ومعاناة وأوضاع المسلمين والتنبيه إلى خطورة الفتنة المتنقلة والمفتعلة بين المسلمين ودعوة إلى الإصلاح والوحدة والخير وكلمة التقوى.

السيد محمد علي الحسيني بعد تأديته صلاة الجمعة مع إخوانه.

أكد الحسيني أن الانفتاح على الآخر مهما كان، وفي أي ظرف كان خيراً من الانغلاق، والتواصل معه أفضل من الانقطاع، ولننطلق من دعوة القرآن الكريم لنا بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾.

جمعة مباركة ووحدة بين المسلمين.

لنقف معاً جنباً إلى جنب ونؤدي صلاة الجمعة معاً، ونقرأ دعاء الوحدة:

«لا إله إلا الله

إله واحد ونحن له مسلمون

لا إله إلا الله

ولا نعبد إلا إياه

مخلصين له الدين ولو كره المشركون

لا إله إلا الله

ربنا ورب آبائنا الأولين

لا إله إلا الله

وحده وحده وحده

أنجز وعده ونصر عبده

وأعز جنده

وهزم الأحزاب وحده

فله الملك وله الحمد

يحيي ويميت ويميت ويحيي

وهو حي لا يموت بيده الخير

وهو على كل شيء قدير».

العلامة الحسيني يجتمع مع قاضي قضاة فلسطين

اجتمع العلامة السيد محمد علي الحسيني مع قاضي قضاة فلسطين السابق الشيخ تيسير التميمي وتم التأكيد على ضرورة تفعيل الحوار الإسلامي وسلوك نهج الانفتاح والوسطية.

الحسيني يلتقي مفتي جماعة صربيا ويؤكد بأن الأديان السماوية قد وجدت في سبيل إحياء الإنسان وتمتين الأواصر الاجتماعية والإنسانية وإغنائها بالمحبة.

عشية جولته التي يقوم بها السيد محمد علي الحسيني للخارج، التقى بفضيلة الشيخ محمد سباهتش مفتي جماعة صربيا.

وقد أكد العلامة الحسيني خلال اللقاء على الواجب الاستثنائي الملقى على عاتق العلماء المسلمين الأجلاء في عكس وتوضيح الصورة الحقيقية

الناصعة للإسلام كدين إنساني، مخاطباً الشيخ سباهتش بأن من صميم واجباتكم في بلادكم تجسيد رسالة الإسلام في التعايش السلمي والسلوك القويم المبني على المعايير الحضارية مع الآخر، منوهاً بأن الأديان السماوية قد وجدت في سبيل إحياء الإنسان وتمتين الأواصر الاجتماعية والإنسانية وإغنائها بالمحبة والتعاطف والتآزر، مشدداً على ضرورة تجسيد رسالة الإسلام في التسامح والمحبة والإخاء والانفتاح بين الشعب الصربي ونشر المبادئ والقيم التي تدعو إلى العيش بسلام ووئام.

الحسيني يزور المركز الإسلامي في باريس ويلتقي رئيس منتدى الأئمة في فرنسا ويؤكد على مسؤولية علماء الدين والدعاة في إرشاد الشباب المسلم والعمل الدؤوب من أجل إنقاذهم من الغرق في مستنقع ووحل التطرف والإرهاب

وفي خضم جولته في العاصمة الفرنسية باريس، التقى العلامة السيد محمد علي الحسيني، برئيس منتدى الأئمة في فرنسا وإمام مسجد درانسي الشيخ حسن الشلغومي.

وأكد خلال لقائه على ضرورة أن يتصرف المسلمون المقيمون في البلاد الأوروبية كمواطنين لهذه الدول لهم حقوق وامتيازات وعليهم واجبات أيضاً ولا يعتبرون أنفسهم جالية.

وشدد العلامة الحسيني على أن من أهم الواجبات الملقاة على عاتق كل فرد مسلم تكمن في العمل والمساهمة الفعالة من أجل حماية أمن واستقرار الدولة التي يعيش فيها وأن يتعاون مع الأجهزة الأمنية خصوصاً عند الإحساس بأن هناك خطراً وتهديداً يحدق بأمن واستقرار تلك الدولة.

وطالب العلامة الحسيني رجال الدين والدعاة بضرورة وأهمية توعية وإرشاد الشباب المسلم والعمل الدؤوب من أجل إنقاذهم من الغرق في مستنقع ووحل التطرف والإرهاب والضياع من أجل أفكار ضالة مضلة لافتاً الأنظار إلى أن أساس مقارعة الإرهاب يجب أن ينطلق من الناحية الفكرية وأن يتم تصحيح الأفكار والرؤى الخاطئة وتفنيد الطروحات ودعوات الانتقام الإجرامية التي هي ليست من الدين في شيء.

العلامة الحسيني يلتقي مفتي مدريد ويؤكد أن ما تقوم به التنظيمات والجماعات المتطرفة والإرهابية ليس من الإسلام بشيء.

التقى العلامة السيد محمد علي الحسيني، الأمين العام للمجلس الإسلامي العربي بفضيلة الشيخ محمد منتصر، مفتي مدريد، وأكد العلامة الحسيني خلال اللقاء على ضرورة إظهار الروحية السمحة للإسلام وعكس الصورة الواقعية التي تعبر عن قيمه ومبادئه المعطاء المتسامحة وأهمية نقل وتجسيد هذه الحقيقة للغرب وإفهامه بأن ما تقوم به التنظيمات والجماعات المتطرفة والإرهابية ليس من الإسلام بشيء.

ونوَّه العلامة الحسيني في هذا اللقاء الذي جرى في ظروف أخوية على أهمية التأكيد على أن الإسلام يؤمن بالعلاقات الإنسانية ويعتبرها ذات أهمية خاصة ولا يمكن الاستغناء عنها ومن هذا المنطلق وصى العلامة الحسيني بضرورة مد جسور العلاقة مع الغرب على أساس التفاهم والمحبة والتواصل الإنساني.

العلامة الحسيني يلتقي في بروكسل بالمستشار الأول لشيخ الأزهر ويؤكد أن كل محاولات الإرهاب الذي يضرب السنة والشيعة لن ينال من وحدتنا واعتصامنا.

ضمن سلسلة اللقاءات التي عقدها العلامة السيد محمد علي الحسيني الأمين العام للمجلس الإسلامي العربي في لبنان عشية جولته الأوروبية التي باشر بها من بروكسل، عقد لقاء مع المستشار الأول لشيخ الأزهر الدكتور الشيخ إبراهيم نجم في بروكسل، اللقاء الذي جرى في أجواء أخوية، أشاد خلاله العلامة الحسيني بالدور البارز للأزهر في الانفتاح على كل المذاهب الإسلامية وأسلوب تعامله المعتدل مع كل المذاهب.

العلامة الحسيني شدد على أهمية وحيوية تعميق وترسيخ العلاقات بين أبناء الطوائف الإسلامية المختلفة وضرورة أن يظهر الجميع كجسد واحد وكروح واحدة في التعامل والتعاطي مع العالم وخصوصاً مع الغرب، حيث من واجب المسلمين أن يعكسوا الصورة الحقيقية للإسلام والتي تعمل الجماعات المتطرفة على تشويهها وتحريفها.

ختم العلامة الحسيني أن كل محاولات الإرهاب الذي يضرب المناطق السنية والشيعية معاً لا يمثل إلا نفسه ولن ينال من وحدتنا واعتصامنا. وقدم فضيلة الدكتور إبراهيم تعازيه باسم فضيلة مفتي مصر على التفجير الإرهابي الذي وقع في برج البراجنة وأكد أنه أصاب مصر كما أصاب لبنان فالمصيبة واحدة.

الحسيني خلال لقاء جمعه بالعلامة الشيخ خلفان في الدوحة: واقع الأمة يحتاج إلى جهد علمائي تنويري ووحدة الصف وبث روح التسامح والتعاون مع الحاكم والأخذ بيده لإرساء أسس العدالة

التقى السيد محمد علي الحسيني مع العلامة الشيخ محمد حبيب خلفان وهو من أبرز العلماء والأئمة في قطر خلال زيارة له يقوم بها للمشاركة في منتدى الدوحة وجرى الحديث بينهما عن واقع المسلمين وهمومهم.

وأكد الحسيني أن شيعة الخليج هم مواطنون موالون لأوطانهم وغير مرتبطين بأي مشاريع مشبوهة وهم راضون بولاة أمرهم.

ونبه الحسيني إلى ضرورة الانتباه إلى ما يحاك لهذه الأمة من مشاريع فتن وإثارة النعرات الطائفية لإضعافها وشدد على ضرورة توحيد الكلمة للوقوف يداً بيد لتفويت الفرصة على هؤلاء المغرضين وإحباط مشاريعهم.

الحسيني للدكتور حبش: سلوك طريق الحوار هو السبيل لإيجاد حلول لأزمات الأمة وبالتسامح نشفي صدور قوم مؤمنين

خلال لقاء جمعه بالدكتور محمد حبش في منتدى الدوحة أكد السيد محمد علي الحسيني على ضرورة إرساء مفاهيم الحوار لأن به يحل الكثير من المشاكل والأزمات، فلغة العقل وحدها كفيلة بإخراج هذه الأمة من محنتها العصيبة.

وأكد الحسيني على أواصر الأخوة بيننا في لبنان وسوريا، فلا شيء ينغص صفو هذه العلاقات بين شعبين عاشا معاً على الحلو والمر، كما دعا الحسيني الله أن يرفع هذه الغمة عن سوريا الشقيقة ويعم الأمن والسلام.

صور العلامة السيد محمد علي الحسيني مع علماء السنة

السيد محمد علي الحسيني مع مفتي طرابلس الشيخ مالك الشعار والقاضي الشيخ خلدون عريمط.

السيد محمد علي الحسيني والمستشار الأول لشيخ الأزهر الدكتور الشيخ إبراهيم نجم.

السيد محمد علي الحسيني ووزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ.

السيد محمد علي الحسيني مع الشيخ بكر الرفاعي.

السيد محمد علي الحسيني ورئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا الدكتور فؤاد علوي والشيخ الحاج تهامي بريز رئيس الأوقاف الإسلامية في فرنسا.

السيد محمد علي الحسيني مع الشيخ إبراهيم بيضون والشيخ أحمد عموره.

السيد محمد علي الحسيني مع الشيخ كمال عباس.

السيد محمد علي الحسيني من ملتقى العلماء يؤكد على وجوب مواجهة أصحاب الفتن المفتعلة.

السيد محمد علي الحسيني مع رئيس قسم حوار الأديان في إيطاليا الأستاذ يحيى بلافيسن.

السيد محمد علي الحسيني والدكتور محمد بشاري أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي.

السيد محمد علي الحسيني مع الشيخ حسام العيلاني.

السيد محمد علي الحسيني (اللبناني) والعلامة الشيخ طاهر التجكاني (المغربي).

السيد محمد علي الحسيني مع الشيخ عصام البشير.

السيد محمد علي الحسيني ومفتي موريتانيا وإمام الجامع الأكبر، الشيخ أحمدو ولد حبيب الرحمن.

السيد محمد علي الحسيني مع الشيخ بلال بارود.

السيد محمد علي الحسيني والشيخ محمد طاهر أشرفي رئيس مجلس علماء باكستان .

السيد محمد علي الحسيني مع الشيخ القاضي تيسير التميمي

السيد محمد علي الحسيني وعضو أمناء المجلس الإسلامي السوري الدكتور الشيخ عبد الكريم بكار.

السيد محمد علي الحسيني مع الشيخ القاضي أحمد بوهلاله.

السيد محمد علي الحسيني مع المفتي خالد الصلح.

السيد محمد علي الحسيني والقاضي الشيخ أحمد الكردي.

السيد محمد علي الحسيني والشيخ أحمد السقا في مسجد روما.

السيد محمد علي الحسيني والشيخ محمد مصطفى وزير الشؤون الإسلامية التونسي.

محمد علي الحسيني

بقلم: الأستاذ صلاح الساير

جريدة الأنباء الكويتية

«محمد الحسيني»

تربطني به صداقة في مواقع التواصل الاجتماعي، أتابعه ويتابعني، وكثيراً ما أعجب بطروحاته الاجتماعية والسياسية والدينية، المفعمة بالإيجابية، والدالة على الخير، والهادية إلى الرشاد. وبهدف التعرف إليه أكثر قمت بزيارة موقعه الإلكتروني: www.mohamadelhusseini.net

وتعرفت على الجهود المباركة التي يبذلها رجل الدين الشيعي السيد محمد علي الحسيني الداعي إلى وحدة الصف العربي والإسلامي، والمنادي بنبذ التطرف، والمحذر من خطورة التناحر المذهبي.

سماحة السيد محمد علي الحسيني، رجل دين، مسلم، مثقف، يؤمن بأن «الصدق والأمانة في المعاملات الإنسانية يشكلان حجر الأساس

في الديانات السماوية، ويرى أنه من الواجب علينا أن نلتفت إلى القواسم المشتركة بين الأديان، وأن الأكثر قرباً من الله تعالى هم أولئك الذين ينشرون قيم الخير والمحبة». كما أنه يرى «أن انقطاع المسلمين عن الكثير من المفاهيم والقيم الإسلامية السمحة وعدم تدبرهم في الخلفيات الدينية والتاريخية لها، جعلهم يحملون تصورات وفهماً خاطئاً لها».

شيخ دين مبادر، ينشر الكتب والرسائل، ويلقي الدروس والمحاضرات والخطب، ويتواجد في الإعلام الرسمي والاجتماعي. وبإصرار وعزيمة لا تلين، يترحل في الآفاق بين الدول والمنظمات الدولية للمشاركات الإيجابية النافعة. تجده اليوم محاضراً في البحرين، وغداً في بروكسل، وبعد غد في باريس يزور الكنيس اليهودي للحوار مع الحاخامات داعياً إلى تشكيل تجمع للوقوف بوجه الأشرار.

ناشط وكاتب وخطيب ومفكر إسلامي يقدم صورة عصرية لرجل الدين العربي المسلم الإيجابي، المتصالح مع نفسه، وعروبته، وإخوته البشر من كل دين وملة. ولا أعتقد أن أي مسلم عاقل، حصيف، فطين، بصرف النظر عن قوميته، يمكن أن يختلف مع الأفكار النافعة، والرؤى الرائعة، والآراء السديدة، والدعاوى الرشيدة لهذا الرجل.

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية

لسماحة الدكتور السيّد محمّد عليّ الحسينيّ

الدكتور السيد محمد علي الحسيني، لبناني الجنسية، علامة إسلامي واسع المعرفة في أمور الدين والدنيا له وزنه وثقله وتأثيره على الساحة العربية والإسلامية، ويحظى بالاحترام والتقدير لدى كافة الأوساط السياسية والفكرية والدينية ولدى المراجع والعلماء وكبار الشخصيات العاملة بالشأن الفكري والديني والسياسي لاسيما في الدول العربية والإسلامية، ويتميز بمواقفه الفكرية والسياسية المنفتحة والدينية المعتدلة الوحدوية الرافضة لمنطق التفرقة والفتنة ودعاتها. يسعى سماحته لبناء الأرضية العامة لآرائه و مواقفه وفق رؤية جامعة تستند على قراءة فهم واستيعاب دقيق لمختلف الطوائف والأديان والشرائح المكونة لشعوب الدول العربية والإسلامية، ساعياً من خلال ذلك لإيجاد محاور ومرتكزات التحاور والتقارب بين الطوائف والأديان من أجل سيادة مبدأ التودد والتعاطف والتكاتف والتآزر الاجتماعي والإنساني.

ويُعدّ السيد محمد علي الحسيني من العلماء البارزين في العالم العربي والإسلامي الذين يحظون بالاحترام والتقدير نظراً لنشاطاته وجهوده الداعية إلى الوحدة والحوار والاعتدال والانفتاح على الجميع حيث يقوم بنشاط فاعل على الصعيد الإسلامي والعربي في الدول العربية والإسلامية.

لا يدخر العلامة السيد الحسيني جهداً في تقديم النصح والتوجيه، يدعو السيد الحسيني دوماً إلى الحوار من منطلق إيمانه بأهمية الحفاظ على وحدة الأمة.

يحظى بموقع خاص لدى جميع الطوائف الإسلامية وغير الإسلامية، ويهتم

الجميع بآرائه وطروحاته وأفكاره لأنها مبنية على أساس تبني ورعاية مصلحة الجميع وفق قاعدة المصالح والمصير والوطن المشترك. وللسيد الحسيني إهتمامات وإلمام خاص بالأمور والقضايا السياسية، وهو يكتب دراسات وبحوثاً وتحليلات سياسية متباينة تستند على المباني الفكرية والفقهية الإسلامية وعلى مستجدات وتطورات وتداعيات وتداخلات الأوضاع والأحداث السياسية، ولسماحته متابعة يومية بتطورات ومستجدات الأحداث بالإضافة إلى علاقته الوثيقة جداً بالأوساط الشعبية التي يحرص دوماً على معرفة همومها ومشاكلها ومشاغلها لكي يبني آراءه وطروحاته على أرضية تشمل كل الجوانب والأبعاد.

لدى السيد محمد علي الحسيني أكثر من سبعين كتاباً في المواضيع الإسلامية والسياسية، وهي مطبوعة وترجم منها إلى الإنكليزية.

مؤلفات السيد الحسيني التي تزيد عن السبعين تشمل الكتب الفقهية والأصولية والعقائدية والتاريخية والأخلاقية والسياسية، والكتب الإسلامية العامة، وسلسلة معارف المسلم، ورسائل وأبحاثاً.

شارك في عدة مؤتمرات إسلامية وسياسية في لبنان والدول العربية - البحرين الإمارات السعودية قطر الأردن - وأوروبا.

سافر السيد الحسيني إلى دول عدة في إطار دعوات رسمية ومنها: الإمارات العربية المتحدة، المملكة العربية السعودية ،دولة قطر، ومملكة البحرين ، ودولة الكويت، والأردن، ومملكة المغرب، بالإضافة لتركيا، وبريطانيا، وفرنسا،

وإيطاليا، وألمانيا، والدنمارك، والسويد، وبلجيكا، وكوناكري، وذلك في إطار نشاطات ومشاركات في مؤتمرات وحوارات فكرية ودينية وسياسية.

المصادر

الحواشي:

١.الآية ٣٢ سورة الروم.

٢.الآية ٩٢ سورة الأنبياء.

٣.الآيات٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، سورة الفجر.

٤.الآية ٧٨ سورة الزخرف.

٥.الآية ١٧٠ سورة البقرة.

٦.الآية ١١٠ سورة آل عمران.

٧.الآية ١٣ سورة الحجرات.

٨.الآية ٩٨ سورة الأنعام.

٩.الآية ١ سورة النساء.

١٠.الآية ٢٨٥ سورة البقرة.

١١.الآية ٩٢ سورة الأنبياء.

١٢.الآية ٥٢ سورة المؤمنون.

١٣.الآية ١٠ سورة الحجرات.

١٤.صحيح البخاري، باب لا يظلم المسلم.

١٥.أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

١٦.الأوسط في السنن، الحديث رقم ٢٢٨.

١٧.الترمذي، الحديث ٢٨٤.

١٨. فضائل القرآن، الجزء السابع في التمسك بالقرآن.

١٩. مسند عبد بن حميد، الحديث ٤٩١.

٢٠. الآية ٢٨ سورة الفتح.

٢١. الآية ١١٦، سورة النحل.

٢٢. الآية ١٦ سورة التغابن.

٢٣. صحيح البخاري.

٢٤. الآية ٢ سورة المائدة.

٢٥. الآية ٣٨ سورة الأحزاب.

٢٦. الآية ١٣٧ سورة آل عمران.

٢٧. الآية ٢٨٥ سورة البقرة.

٢٨. صحيح البخاري: ١ / ٢٧ وصحيح مسلم: ١ / ٢٨.

٢٩. الآية ٥ سورة المائدة.

٣٠. الآية ١٣ سورة الشورى.

٣١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٥٤.

٣٢. متفق عليه: صحيح البخاري: ١ / ١١، صحيح مسلم: ١ / ٣٤.

٣٣. الآية ٢٤٤ سورة البقرة.

٣٤. الآية ١٠٣ سورة التوبة.

٣٥. الآية ٢ سورة النور.

٣٦. الآية ٧٥ سورة النساء.

٣٧. الآية ٩ سورة الحجرات.

٣٨. صحيح مسلم، كتاب الحدود.

٣٩.الآية ٥٩ سورة النساء.

٤٠.الآية ١٠٢ إلى١٠٨ سورة آل عمران.

٤١. نهج البلاغة: الكتاب رقم ٤٥، من كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة.

٤٢. شرح نهج البلاغة. ابن أبي الحديد. ج٣ ص١٨١.

٤٣.نهج البلاغة شرح محمد عبده، الخطبة: ٥٨.

٤٤. صحيح مسلم بشرح النووي ج١٢.

٤٥.السُّنة، لابن أبي عاصم، رقم الحديث ٧٦.

٤٦.شرح البخاري الحديث رقم ٢٢٧٩.

٤٧.فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي ٥ / ٤.

٤٨.حلية الأولياء لأبي نعيم، رقم الحديث: ٨٢٤٨

٤٩.رواه الإمام أحمد.

٥٠.رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

٥١.الآية ٦٣ سورة يونس.

٥٢.رواه مسلم.

٥٣.رواه مسلم.

٥٤.رواه مسلم.

٥٥.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المسألة ٤٩٥٧.

٥٦.رواه مسلم.

٥٧.رواه الترمذي.

٥٨.متفق عليه.

٥٩.رواه البخاري.

٦٠.أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن البشير.

٦١.رواه البخاري.

٦٢.الآية ٩٢ سورة الأنبياء.

٦٣.الآية ٥١ سورة المؤمنون.

٦٤.الآية ٣١ سورة الروم.

٦٥.الآية ٦١ سورة الأنفال.

٦٦.الآية ١١٤ سورة النساء.

٦٧.الآية ١٠ سورة الحجرات.

٦٨.الآية ١١ سورة التوبة.

٦٩.الآية ١٠٢ و ١٠٣ سورة آل عمران.

٧٠.مصباح الزجاجة ٤/ ١٧٩.

٧١.ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٠-١٤١.

٧٢.الآية ١٠ سورة النحل.

٧٣.الآية ٤٦ سورة العنكبوت.

٧٤.الآية ٦٤ سورة آل عمران.

٧٥.الآية ٦١ سورة آل عمران.

٧٦.المجلسي: بحار الأنوار ٢ / ٢٦٥ و ٢٧ / ٦٧.

٧٧.المجلسي: بحار الأنوار ٢ / ٢٦٦.

٧٨.المصدر السابق.

٧٩.في سبيل الوحدة الإسلامية: ٥٩.

٨٠.المتقي الهندي: كنز العمال ٢ / ٥٤٨٧، والمجلسي: بحار الأنوار ٧٦ / ٤٣ عن النبي ﷺ.

٨١.الكليني: الكافي ١/ ٥١.

٨٢.التهذيب: ٢/ ١٠٤.

٨٣.الآية ٤٠ سورة البقرة.

٨٤.رواه البخاري ومسلم.

٨٥.رواه البخاري ومسلم.

٨٦.رواه البخاري.

٨٧.رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة.

٨٨. رواه البخاري ومسلم. وذلك لقوة دينه فلا سبيل للشيطان عليه.

٨٩.رواه البخاري ومسلم.

٩٠.رواه البخاري ومسلم.

٩١.رواه البخاري ومسلم.

٩٢.رواه البخاري ومسلم.

٩٣.رواه مسلم.

٩٤.رواه النسائي.

٩٥.رواه البخاري.

٩٦.رواه البخاري.

٩٧.رواه البخاري ومسلم.

٩٨.الآية ٦١ سورة آل عمران.

٩٩.تأريخ اليعقوبي، ص١٣٣،١٣٢ ج٢ طبعة بيروت ١٩٦٠م.

١٠٠.تأريخ التواريخ، ج٢ كتاب(٢ص١٥٨) تحت عنوان"عزام أبي بكر".

١٠١. تأريخ اليعقوبي، ص١٣٨ ج٢.

١٠٢. الإرشاد للمفيد ص١٠٧ طبعة إيران.

١٠٣. شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٢٨ تبريز.

١٠٤. شرح نهج البلاغة، ٢/ ٧١٨ وأيضاً عمدة الطالب طبعة نجف ص٣٦١.

١٠٥. الإرشاد، ص١٨٦.

١٠٦. عمدة الطالب، الفصل الثالث ص٣٥٢.

١٠٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٤/ ١١٨.

١٠٨. أبو داود كتاب الخراج، فمسند أحمد مسندات عليّ.

١٠٩. الاحتجاج للطبرسي ص٥٣، أيضاً مرآة العقول للمجلسي ص٣٨٨ طبعة إيران.

١١٠. تلخيص الشافي، ص٣٥٤ طبعة إيران.

١١١. نهج البلاغة" بتحقيق صبحي الصالح تحت عنوان "غريب كلامه المحتاج إلى التفسير" ص٥٥٧ ط دار الكتاب بيروت.

١١٢. شرح نهج البلاغة" لابن الميثم ج٥ ص٤٦٣.

١١٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٤/ ٥١٩.

١١٤. نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص٣٥٠.

١١٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٣/ ٩٢، ج١٢.

١١٦. نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص١٩٣.

١١٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، جزء٨ ص ٣٦٩، ٣٧٠.

١١٨. نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص٢٠٣، ٢٠٤.

١١٩. رواه المجلسي في بحار الأنوار عن محمد الباقر.

١٢٠. الأخبار الطوال لأحمد بن داود الدينوري، ص١٥٢.

١٢١. كتاب "الشافي في الإمامة" ص٢١٣.

١٢٢. الرياض النضرة لمحب الطبري، ٢/ ٨٥.

١٢٣. البيهقي، ١٠/ ١٣٠. الكامل لابن الأثير، ٢/ ٢٠١، طبعة مصر، التأريخ الكبير للإمام البخاري، ٤/ ١٤٥، طبعة الهند. كتاب الخراج لابن آدم، ص٢٣. كتاب الأموال. ص٩٨. فتوح البلدان، ص٧٤.

١٢٤. كتاب الخراج لابن آدم، ص٢٣. أيضاً فتوح البلدان للبلاذري ص٧٤، طبعة مصر.

١٢٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٣/ ١٤٦، وكذلك في كتاب الآثار ص٢٠٧. سيرة عمر لابن الجوزي، ص١٩٣، طبعة مصر.

١٢٦. كتاب الشافي لعلم الهدى ص١٧١. وتلخيص الشافي للطوسي،٢/ ٤٢٨ طبعة إيران. معاني الأخبار للصدوق ص١١٧ طبعة إيران.

١٢٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٣/ ١٤٧.

١٢٨. كتاب الشافي، ٢/ ٤٢٨.

١٢٩. المناقب للخوارزمي، ص٢٥٣،٢٥٢، طبعة النجف. كشف الغمة للأربلي ١/ ٣٩٥. بحار الأنوار للمجلسي، ص٤٠،٣٩، طبعة إيران.

١٣٠. نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح ص٢٣٤.

١٣١. الإرشاد، ص١٢٢، طبعة إيران.

١٣٢. المصدر السابق نفسه، ص١١٣.

١٣٣. الكافي في الفروع، ٧/ ٢١٥، باب ما يجب فيه الحد من الشراب.

١٣٤. تأريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٥.

١٣٥. الكشي: ترجمة رقم: (٢٥٧)، معجم الخوئي: (٨/ ١٥٣، ٣٢٦)، الفصول المختارة١٢٧.

١٣٧. تفسير الحسن العسكري ص ١١ عند تفسير سورة البقرة. طبع حجري ١٣١٥هـ.

١٣٨. نهج البلاغة للشريف الرضي شرح محمد عبده.

١٣٩. شرح نهج البلاغة لابن الميثم ١ / ٣١.

١٤٠. أصل الشيعة وأصولها ص ١٢٤. تحقيق: محمد جعفر شمس الدين، دار الأضواء. بيروت، ط. ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م.

١٤١. الغارات للثقفي جـ٢ ص ٣٠٥،٣٠٧.

١٤٢. تلخيص الشافي للطوسي ج٢/ ٤٢٨.

١٤٣. حياة القلوب للمجلسي ج٢ ص٦٢١.

١٤٤. كشف الغمة جـ٢ ص ٢٩١ تحت عنوان فضائل الإمام زين العابدين. دار الأضواء. بيروت .ط. ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

١٤٥. تفسير العياشي سورة البقرة آية ٢٢٢ المجلد الأول ص ١٢٨. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .بيروت، تصحيح: السيد هاشم الهولي المحلاني ط. ١٤١١هـ. ١٩٩١م.

١٤٦. تفسير القمي جـ٢ ص ٣٧٦ سورة التحريم.

١٤٧. روضة الكافي: ج٨ ص١٠١.

١٤٨. كشف الغمة للأربلي ٢/ ١٤٧.

١٤٩. إحقاق الحق للشوشتري ١/ ١٦.

١٥٠. نهج البلاغة ص ٥٥٧.

١٥١. الآية ١٠٥ سورة آل عمران.

١٥٢. د. محمد الدسوقي،... جريدة الأهرام.

١٥٣. الآية ٣٦ سورة الإسراء.

١٥٤. سنن النسائي، ١٨٨/ ٣.

١٥٥. الآية ١٠٣، سورة آل عمران.

١٥٦. التحرير والتنوير ٣/ ١٧٣.

١٥٧. الآية ٤٦ سورة الأنفال.

١٥٨. مفاتيح الغيب ١٥/ ١٣٨.

١٥٩. الآية ١٣ سورة الشورى.

١٦٠. رواه مسلم.

١٦١. سنن الترمذي؛ ٤/ ٤٦٥.

١٦٢. أخرجه البخاري في الصحيح: ٢ / ٨٤٩.

١٦٣. كتاب الكافي، الكليني، المجلد الأول، ص٤٠٤، وكتاب نهج الفصاحة، رقم الحديث: ٢٧٦٩.

١٦٤. الآية ٣٩ سورة الأحزاب.

١٦٥. صحيح مسلم: ١ / ٣٢٣.

١٦٦. أخرجه أحمد ومسلم والبيهقي.

١٦٧. متفق عليه.

١٦٨. المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان.

١٦٩. الآية ١٠٠ سورة التوبة.

١٧٠. الآية ٢٩ سورة الفتح.

١٧١. أخرجه البخاري عن أبي سعيد، ومسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما.

١٧٢. كما في الصحيحين عن عمران بن حصين.

١٧٣. الآية ١٨ سورة الجن.

١٧٤. الآية ٤١ سورة البقرة.

١٧٥. الموافقات: ٢/ ٢٧٣، طبع منير الدمشقي، القاهرة؛ نقلاً عن كتاب ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين: ٦٦.

١٧٦. وسائل الشيعة ٢٠: ١٧١، كتاب النكاح، أبواب مقدمات النكاح وآدابه، باب ٨٨، حديث ٨.

١٧٧. الآية ١٣ سورة الحجرات.

١٧٨.رواه الحاكم في مستدركه والطبراني في المعجم الأوسط عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ.

١٧٩.متفق عليه.

١٨٠.الآية ٩ سورة الحشر.

١٨١.متفق عليه.

١٨٢.الآية ١١٠ سورة آل عمران.

الفهرس

المقدمة..... ٥

الفصل الأول - الإسلام والوحدة

الإسلام والوحدة..... ٢١

مصطلح وحدة الأمة الإسلامية..... ٢٤

لماذا الوحدة الإسلامية؟..... ٢٥

دعائم الوحدة الإسلامية..... ٣٥

فوائد الوحدة والتآلف والاجتماع بين المسلمين..... ٣٩

كيف السبيل إلى تحقيق الوحدة الإسلامية؟..... ٤٥

النبي ﷺ والوحدة الإسلامية..... ٥٠

الإمام عليّ بن أبي طالب والوحدة..... ٥٣

ما ورد في السُّنة النبوية الشريفة بشأن الوحدة والتآلف..... ٥٥

الفرقة الناجية..... ٦٦

الخلاف والتجزأة والانقسام في الأمة الإسلامية..... ٧٢

دور الخلافات الفكرية والمذهبية..... ٧٥

في الساحة الإسلامية هناك نوعان من الخلاف الفكري..... ٧٧

عوامل أم أدوات..... ٨٣

خطوات عملية في طريق الوحدة..... ٨٥

منطلق الاتحاد أو الاتحاد في دائرة الحق..... ٩١

الوحدة والدعوة والتبليغ للمذهب..... ٩٣

الوحدة الإنسانية كما دعا إليها الإسلام..... ١٠٠

معنى المذاهب الفقهية..... ١٠٤

عوامل نشأة المذاهب الفقهية..... ١٠٦

تاريخ نشأة المذاهب الفقهية..... ١١٠

الاختلافات الفقهية كانت ولا تزال اختلافات تعاونية..... ١١٣

الفصل الثاني- الخلفاء الراشدون كقدوة وأسوة حسنة لوحدة الأمة الإسلامية

الخلفاء الراشدون كقدوة وأسوة حسنة لوحدة الأمة الإسلامية..... ١١٩

سيرة الخلفاء الراشدين الأربعة..... ١٢١

الخليفة الأول..... ١٢١

الخليفة الثاني..... ١٢٣

الخليفة الثالث..... ١٢٥

الخليفة الرابع..... ١٢٨

عن العلاقة الوثيقة بين الإمام عليّ عليه السلام بالصديق..... ١٣٠

عن العلاقة الراسخة بين الإمام عليّ عليه السلام والخليفة الفاروق..... ١٣٤

عن العلاقة الحميمية بين الإمام عليّ عليه السلام والخليفة عثمان بن عفان... ١٤١

خياران أمام الأمة الإسلامية..... ١٥٠

لم يكن عليّ شيعيّاً ولا عمر سنيّاً..... ١٥٩

ركائز التقريب بين مكونات الأمة الإسلامية..... ١٦٣

الفصل الثالث - مبادئ فقه الوحدة الإسلامية

مبادئ فقه الوحدة الإسلامية..... ١٧١

الفصل الرابع - مقتطفات من مقابلات وخطب ومقالات السيد الحسيني

ردّاً على سبب التناحر المذهبي.....٢١١

ما موقفكم من مسألة سبّ الصحابة؟.....٢١١

كيف نستطيع تغيير فكرة الغرب عن الإسلام والمسلمين؟..... ٢١٢

الحسيني: أعذار غلاة السنة والشيعة لزهق دماء المسلمين فقاعات أمام... ٢١٢

النصوص الشرعية الدامغة الداعية للوحدة الإسلامية..... ٢١٢

العلامة الحسيني يدعو من المدينة المنورة.....٢١٧

لتكن عاشوراء للسنة والشيعة معاً.....٢٢٢

إنها السياسة، لا السنة ولا الشيعة.....٢٢٥

الحسيني: ندعو وزراء العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية..... ٢٢٩

رمضان شهر الوحدة الإسلامية..... ٢٣٣

الحج عبادة وليس سياسة..... ٢٣٦

تقريب بين المذاهب أم صب الزيت على النار.....٢٣٨

مسؤولية العلماء الإصلاح وإرشاد الناس وإخماد الفتنة.....٢٤٠

قال السيد مفجرو المساجد إرهابيون عقيدتهم القتل.....٢٤١

إن ما يجري اليوم في العالم العربي ما هو إلا ضجة مفتعلة.....٢٤٢

إلهنا واحد وإسلامنا واحد ونحن أمة واحدة..... ٢٤٤

التقى الحسيني الدكتور فؤاد علوي والشيخ الحاج تهامي بريز..... ٢٤٥

السيد محمد علي الحسيني بعد تأديته صلاة الجمعة مع إخوانه.....٢٤٨

العلامة الحسيني يجتمع مع قاضي قضاة فلسطين.....٢٤٩

الحسيني يزور المركز الإسلامي في باريس.....٢٥٠

العلامة الحسيني يلتقي مفتي مدريد.....٢٥٢

العلامة الحسيني يلتقي في بروكسل بالمستشار الأول لشيخ الأزهر....٢٥٣

الحسيني خلال لقاء جمعه بالعلامة الشيخ خلفان في الدوحة.....٢٥٤

الحسيني للدكتور حبش.....٢٥٥

صور العلامة السيد محمد علي الحسيني مع علماء السنة.....٢٥٦

محمد علي الحسيني بقلم: الأستاذ صلاح الساير.....٢٦٤

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية لسماحة الدكتور السيد الحسيني.....٢٦٦

المصادر..... ٢٧٠

فقه الوحدة الإسلامية

إننا ندعو من خلال كتابنا هذا (فقه الوحدة الاسلامية)، العودة إلى نبع الإسلام الرقراق، و اغتراف الحقيقة الزُلال منه. كما أننا نجد واجبنا الشرعي دعوة كافة أبناء أمتنا الإسلامية للعمل من أجل الخروج من دائرة الانغلاق المذهبية الصماء، والانطلاق إلى عالم الإسلام الرحب، ولا نريد من ذلك إلغاء أي مذهب أو التنكر له، بل إعادة هذا المذهب وأتباعه إلى جذور الإسلام.

والنقطة الأهم التي نريد بكل وسعنا التركيز عليها وجعلها في دائرة الضوء، هي التأكيد على المتفق عليه بين المذاهب، و جعله قطب الرحى باتجاه فقه وحدوي، مع الإقرار بالاجتهاد ومندوحته، والتركيز على أهمية هذه القاعدة باعتبارها المنطلق الذي يمكن من خلاله الدفع والتحفيز بصورة جادة نحو المزيد من التلاحم والتعاضد والتكاتف بين المسلمين من مختلف المذاهب الإسلامية، داعين الله العلي القدير أن يتقبل جهدنا المتواضع هذا، ويجعله زادًا لآخرتنا إن شاء الله تعالى.

محمد علي الحسيني

منشورات الحسيني
www.mohamadelhusseini.net